تاريخ
مديرية خط الاستواء المصرية

من فتحها الى ضياعها

من سنة ١٨٦٩ الى ١٨٨٩ م



الجزء الثانى



للأمير

عمر طوسون



سنة ١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م

سنة ١٨٨٠ م

من

حكمدارية أمين باشا

رحلته الى غرب المديرية وشرقها واستيلاؤه على بعض المحطات

التي كانت قد أخليت

ابتدأ عام ١٨٨٠ م والحكمدار أمين بك فى دوفيليه . وشب حريق فى كوخ اثناء ايقاد الزينة التى أقيمت احتفالا بيده هذا العام وأوشك أن يلتهم الاخضر واليابس ويحدث اضرارا جمة إلا أنه لحسن الحظ أطفىء فى الحال .

وقدم الى هذه المحطة من لادو بريد مصدره الخرطوم وورد به أمر من غوردون باشا بنقل هذا الحكمدار محافظا لمدينة سواكن . وكان سبب صدور هذا الأمر عدم ارتياح غوردون الى الحكمدار بسبب الخطة التى كان قد اختطها وهى امتناعه عن اخلاء المحطات الجنوبية حسب أوامر غوردون واصراره على معارضة تلك الاوامر باستمرار إذ كان يرى بصائب رأيه ان إخلاء تلك المحطات ليس فى مصلحة الحكمدارية التى فوض اليه الاشراف على حكومتها .

واستاء أمين بك من هذا الأمر استياء شديدا لأنه كان يجنح

كثيرا للاقامة فى مديرية خط الاستواء لما بذله من الجهـــود فى دراسة الاشياء وما قام به من الابحاث العلمية فى تلك المديرية ولكن سرعان ما تلا هـــذا الأمر خبر استقالة غوردون باشا من وظيفة حكمدار عام السودان وتعيين محمد رءوف باشا محله ذلك القائد الذى كان قد رافق سير صمويل بيكر فى الحملة التى ضمت مديرية خط الاستواء الى حكومة مصر وتولى ادارة هذه المديرية قبل حكمدارية غوردون عليها .

وقد أثار تعيين رءوف باشا لحكمدارية عموم السودان مخاوف أمين بك وصار يترقب بين اللحظة واللحظة استدعاءه غير أن مخاوفه لم تتحقق فقد ألغى رءوف باشا أمر غوردون وثبته فى الوظيفة الشاغل لها .

وكانت المواصلات مع الخرطـــوم سيئة للغاية وبين كل بريد وما يليه آجال واسعة وهـــذا ما أوجب تواتر الشكاوى من الحكمدار . وكانت المراسلات تصدر أولا الى شمبى بحـــرا بالمراكب فتقطع هـذه المسافة فى ثلاثة أيام ثم من هـذه تسافر برا فتصل الى « مشرع الرق » فى ستة أيام أو بالمراكب فتصل اليه فى ظـــرف عشرة أيام . وتسافر من مشرع الرق الى الخرطـــوم بطريق النيـــل اذا كانت المواصلات غير مقطـوعة وإلا فترسل عن طـــريق دارفـور وعنـدئذ تستدعى الحالة انقضاء شهور عدة قبل ان تصل .

وجـــاء فى خطاب مرسل من الحكمدار أمـــين بك الى الطبيب « شوينفـورث » Cheuinforth أنه كتب من عامين الى غوردون باشا وطلب منه أن يبعث له بعض بذور من مختلف انواع الحاصلات ليزرعها فى مديريته ويستغنى بمنتجاتها عما يطلبه من حاصلات البلاد الاخرى وكان

مع ذلك لم يصل اليه الى الآن جواب . وانه استورد بناً وأرزا من أوغندة فنجحت زراعة هذين الصنفين نجاحا تاما .

وسافر الحكمدار فى بحر العام للتفتيش في الناحية الغربية من المديرية غير انه ما كاد يصل الى مكرا كا بعد رحلة ثمانية ايام حتى استدعى للرجوع الى لادو لوصول باخرة من الخرطوم تحمل البريد فآب فى ٧ أيام .

وكان هذا البريد يحمل له اخبارا سارة زرعت فى نفسه آمالا كبارا بصدد مستقبل مديريته فقد بلغ له انه لم يعد تابعا لمديرية بحر الغزال بل صار مستقلا فى احكام مديريته وخول له فوق ذلك إقامة محطات أينما أراد .

وسافر من لادو لتفتيش القسم الشرقي من مديريته بعد ذلك فوصل الى مركزى « لاتوكا » Latouka و « شولى » Shouli لاستطلاع احوال ساكنيها واحتياجاتهم . وكان يريد ان يذهب الى ابعد من ذلك ولكن مشاغله الاخرى حالت دون ذلك .

وفى شهر نوفمبر عندما كان فى وادلاى وردت له دعوة ودية من رئيس من رؤساء قبائل النيام نيام يقال له السلطان « مبيو » Mbio يرجوه فيها القدوم ليشرفه بزيارته . وقد لبث هذا الرئيس ممتنعا وغير ممكن الوصول اليه منذ ١٨ عاما . ففرح الحكمدار بهذه الدعوة وقرر قبولها لا سيما ان هذا السلطان يملك قدرا كبيرا من العاج وكان جل امانى الحكمدار ان يرتبط معه بالصلات الودية والتجارية . وكانت

الدعـــوة المذكورة قد وردت اليه بواسطة رجاله الذين كان قد سيرهم الى ناحيـــة من النواحى الغربيـة يقـال لها « لوجـو » Loggo ليقيموا فيها محطة جـــديدة . وشيد الحكمدار عدا هذه المحطة فى بحر هذه السنة محطتين أخريين فى قسم لاتوكا احداهما فى « برى » Berri والثانيـة فى « فاديبـك » Fadibek وهـــذه المحطـة الاخـــيرة لها فـروع فى « أجارو » Agaru و « فاچـولى » Fajulli و « فاتانجـــا » Fatanga وكل هـذه المحطات واقعة شرقى النيل .

ولم يقـــم بعمل ما فى محطة فاديبـك السابق ذكرها سوى ان احتلها احتـــلالا جديدا لأنه كان يوجد بها فى مدة غوردون حاميـة وكانت محطة زاهيـــة نضرة للغاية من جهـة الصحة والعمارية والموقع إذ انها كانت فى بقعة ترتفع ٣٠٠٠ قدم عن مستوى سطح البحـــر . ودخلها من العـاج يتجاوز النفقات التى تلزم لصيانة حاميتها . وعلى هـــذا كانت كل الاحـوال تغـــرى باحتلالها . ولكن لما أمر غوردون باخلاء المنطقة الجنوبية شمل الأمر هذه المحطـة أيضا . والتمس اجـوك Agok رئيس القسم من الحكمدار ان يقيم فى قريتـه محطة ويعين فيها جنـــودا نظاميـة وقد قدم هو بنفسه ليقـــدم اليه هذا الطلب وأحضر معه على نفقته قدرا من العـاج الى محطـة فاتيكـو . وبادر الحكمدار فى الحال وأجاب هـذا الطلب الذى وقـع فى نفسه موقعا عظيما إذ انه كان متحققا ان هذه المحطة ستكون من أبهج محطات المديرية وأعمرها لا سيما بعد سفر غوردون .

وسافر اليها هو نفسه من محطة لابوريه متخـــذا طريقا ذات تعاريج كثيرة وصاعدة بين أنحاء كثيرة النبات وافرته فاستقبله رئيسها اجوك الذى

كان قد ضرب بسهم فى المدنية من وجهتى الزى والاخلاق وكان يتكلم اللغة العربية بلهجة وكيفية لا بأس بها وكان ايضا يحسن استقبال ضيوفه ويقدم لزائريه القهوة . ويحيط بفاديبك ضياع كثيرة يسكنها اناس من قبائل الشولى ولها سياجات من الخيزران حسنة الصنع وكذلك حقول ممتدة على مدى البصر زرعها يسر الناظرين . وكل هذا يعد دليلا محسوسا على اليسار ورخاء المعيشة فى هذه المنطقة .

ولما علم روشاما Rochama كبير رؤساء الشوليين جميعا بقدوم الحكمدار الى فاديبك بعث بابنه ليلتمس منه الذهاب لزيارته معتذرا بحيلولة صحته وسنه دون الاتيان بنفسه . وكان الحكمدار يعرف شخص هذا الرئيس من أمد بعيد فلبى الدعوة مسرورا وذهب اليه .

وعندما دنا من قرية « بيايو » Biayo مقر روشاما وقع نظره على اكواخ جديرة بريشة المصور أقيمت بأمر هذا الرئيس الاكبر ليتخذها الحكمدار مدة اقامته سكنا له . وكان لا يقصد الاقامة فى هذه البقعة بل كان ينوى ان يتابع السير فى نفس ذات اليوم ذلك الأمر الذى كدر روشاما الذى كان قد بلغ أرذل العمر كدرا ليس عليه من مزيد فألح على الحكمدار الحاحا شديدا بالبقاء عنده .

وبعد مناقشة طويلة أجاب طلبه مراعاة لصداقته القديمة معه فسر روشاما سرورا كثيرا وأرسل إليه على سبيل الهدية عنزة وكمية من شرابهم المعروف بالمريسة فأهدى اليه الحكمدار مقدارا من الخرز وبعض الحلى من النحاس وثوبا من النسيج .

فتحه بعض المحطات فى الجنوب وربطه المواصلات مع أوغندة

وبعد أن قضى الحكمدار ليلته فى الاكواخ التى أعدت له استأذن فى الغداة من روشاما وقفل راجعا الى فاتيكو وأقام بضعة أيام فى هذه الناحية ثم قرر السفر الى الجنوب لكى يفتح ثانية محطة فويرا وكانت قد أخليت مع المحطات الأخرى التى تركت بأمر غوردون باشا . وكان يرمى من وراء هذا الى ربط وصيانة المواصلات مع أوغندة وكان قد مضى زمن طويل جدا ولم يأته من هذا البلد أى خبر . وآخر الاخبار التى وردت اليه كان يحملها رسل من قبل متيسا ملك أوغندة وهى عبارة عن خطابات وبعض هدايا أرسلها اليه هذا الملك إلا أن هؤلاء الرسل لدى وصولهم الى محطة مرولى وجدوها خالية خاوية فسلموا الاشياء التى كانوا مكلفين بتوصيلها لاتباع ريونجا وقفلوا راجعين الى ملكهم . وهؤلاء أرسلوها الى الحكمدار .

وبعد أن وصل الى فويرا واستولى على محطتها أطراها قائلا انها واقعة فى بقعة حسنة على مرتفع يشرف على النيل ويحدق به كثير من القرى الكبيرة والغابات النضرة العامرة بالأشجار الكثيرة . وأرضها غاية فى الخصب تجود بحاصلات وافرة لا سيما الذرة . والنهر يموج بكثرة ما فيه من الاسماك وعلى جوانبه يوجد كثير من مختلف الافاعى الضخمة الحجم كالأصلة والتنين قد يبلغ طول الواحدة منها ثلاثين قدما كالتى قتلت فى هذه المحطة فى شهر سبتمبر من عام ١٨٧٤ م وقت مرور شاليه لونج بها . ويقتنص الأهالى هذه الافاعى ويأكلون لحومها ويتخذون من شحمها دواء لوجع المفاصل .

استقبال رؤساء النواحى له وعودته الى لادو

وقدم ريونجا رئيس ناحية فويرا ليزور الحكمدار وكان قد مر زمن طويل على الحكمدار لم يره فيه فوجد أنه لم يطرأ عليه تغيير . ثم قرر الذهاب الى « پنياتولى » Panyatoli لزيارة انفينا رئيس ناحية ماجونجو وكان لم يره من عام ١٨٧٧ م فقوبل فى كل الانحاء وهو سائر فى طريقه بالبشر والترحاب الى أن وصل الى قرية پنياتولى واستقبله فيها رجال انفينا مصطفين صفوفا ومرتدين كساوى التشريفة الكبرى وهم يطلقون الأعيرة النارية وتخفق على رؤوسهم الاعلام المصرية . واستقبله بعد ذلك انفينا ومشى به الى دار أعدت له مشيدة على طراز دور أوغندة . أما أعضاء حاشيته فنزلوا فى مساكن خارج داره . وأرسل اليه فى الحال على سبيل الهدية مقدارا من البطاطا والدجاج والبيض والموز والدقيق وستة أنياب من أنياب الفيلة وعنزة وقدم لرجاله بقرة وموزا . ولم يستطع الحكمدار أن يقدم له فى مقابل كل هذا سوى شىء من الخرز وحلى نحاسى واعتبر هذه هدية تافهة بجانب ما قدم اليه ولكن ما العمل وهذا كل ما كان يمتلكه .

وقد قوبل الحكمدار من الأهالى على اختلافهم مقابلة بلغت الغاية فى الترحاب والتودد وأقبل الكل يحيونه وهم مرتدون جلودا جديدة وأقيمت الزينات فى كل المساكن وعمت النظافة جميع ما حولها الأمر الذى ترك أثرا حسنا فى نفس الحكمدار وسره كثيرا . وعلاوة على ما ذكر فان انفينا كان الرئيس الوحيد من بين الزنوج الذى دخلت المدنية ربوعه وتوشجت فيها جذورها فكان يرتدى الملابس ويستعمل الصحاف والاطباق

والملاعق عند الأكل ويستعمل أيضا الاكواب عند الشرب . وإن هى إلا أن أفلت الشمس حتى شرعت الجموع تترنم وتصدح بالغناء وابتدأت المراقص واستمر الراقصون والراقصات فى الرقص حتى مطلع الفجر .

ولم يكد رؤساء النواحي المجاورة يعلمون بقدوم الحكمدار حتى أقبلوا من كل فج وتزاحم حمالوهم القادمون من كل صوب وحدب وهم يحملون الهدايا واشترك هذا الجمع الحاشد فى الحفلات التى أقيمت تكريما له .

وتقع قرية بنياتولى الآنفة الذكر فى منطقة عامرة بالغابات غير أن أشجار هذه الغابات كانت قد اقتلعت من حول القرية بقصد أن يستعاض عنها بمغروسات من أشجار التين والمزروعات الأخرى . وفى هذا الحين كانت العين لا تقع إلا على مزارع التبغ والموز . وكان فى حيز الامكان الحصول على محصول جيد من الدخان وأن تجني منه أرباح طائلة . ولكن العناية بزرعه وتحضيره للاستهلاك كانت سيئة . وكان نوع الموز جيدا وهم يأكلونه نجا ومغلى فى الماء . أما السمسم فكان يزرع طول السنة ولم يكن ميعاد زراعة الذرة قد حل بعد . ومع أن الأهالى كانوا يستهلكون قدرا كبيرا من الموز فى تغذيتهم فان جل تعويلهم فى المؤونة كان على البطاطا ولذلك كانوا يزرعونها فى كل موضع وعلى مدى شهور السنة . وكان يوجد أيضا غير هذه الانواع المار ذكرها أصناف شتى من الخضر تكفى جميع حاجاتهم .

أما اللحوم فلم تكن كذلك . فان الرؤساء هم وحدهم الذين كانوا يأكلونها وما ذلك إلا لأن الماشية يندر وجودها والموجود منها لاتفى لحومه بحاجات الأهالى . وكان يوجد عدد وافر من الماعز والشاء وهذه الاخيرة ذات احجام كبيرة وأعجازها وافية إلا أن لحوم الماعز فى الغالب

كانت أنخر وأكثر دسامة من لحـوم الضأن فى كل الناحيـة . وأما الدجاج فيوجد منه عدد وافر إلا أن أحجامه صغيرة . وصيد الاسماك فى النهر منتشر انتشارا واسعا فى تلك الارجاء ، ويوجد منها القديد فى جميع الاكواخ تقريبا حتى على بعد بعض كيلومترات من النهر وهو فى الغالب من الاسماك الكبيرة الحجم .

وتوجد طرائد القنص هناك بكثرة عظيمة ولا يمكن مطاردتها واقتناصها فى القسم الاكبر من السنة بسبب ارتفـاع الاعشاب ولكن عندما تجف وتحرق يصير فى حيز الاستطاعة مطاردتها واقتناصها . ويوجد من الافيال عدد وافر جدا .

وقد كان الحكمدار يود أن يطيل إقامته عند انفينا ويحضر فى هذه الناحية الاحتفال بعيد الأضحى إلا أن الطريق كانت طويلة وكان السير فيها الى فاتيكو عسيرا . هذا ، وقد كان من المتعين عليه تفتيش الاكواخ المجاورة ليقيم فيها محطة صغيرة لحماية عبور النهر وعلى ذلك بادر وسافر قبل الموعد الذى كان يريد هو وأنفينا أن يسافر فيه .

وبعد أن أتم الأعمال التى يجب عليه القيام بها عاد عن طريق فاتيكو الى لادو قبيل آخر العام .

١ — ملحق سنة ١٨٨٠ م

رحلة الطبيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء (١)

القسم الثانى

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

قيامه من الخرطوم الى فاشودة

علم الطبيب جونكر عند وصوله الى الخرطوم فى ٤ يناير سنة ١٨٨٠ م أن المواصلات مقطوعة بينها وبين لادو منذ أكثر من سنة بسبب الحشائش المتراكمة فى مجرى النيل فى منطقة السدود . وقد اشتغلت فى إزالتها من عدة شهور حملة مؤلفة من جملة مراكب وبواخر وكثير من الرجال غير أنهم لم يصلوا الى نتيجة موجبة للارتياح . وكان من موجبات هذه الحالة أن يغير خطته التى كان قد اختطها فى بادىء الأمر وهذه الخطة كانت تقضى بذهابه الى بلد « ممبتّو » Mambettu عن طريق لادو ، لكى يجد رابطة بين هذا البلد وبين رحلاته السابقة فى مكراكا .

ولما كان يرى أن جميع هذه الظروف تستدعى امتداد زمن اقامته

(١) — راجع الجزء الثانى من كتاب « رحلات فى افريقية » للطبيب جونكر .

فى الخرطوم استقر رأيه على أن يكترى دارا تعرف بدار « أبى الخمساية » وهذا الاسم كان رمزا الى ربها وهو أحد المديرين القدماء . وكان يأمر بجلد كل من تثبت عليه جريمته خمسمائة جلدة . واستقر به الرأى كذلك أن يسافر الى المنطقة التى كان يقصد الذهاب اليها عن طريق مديرية بحر الغزال وكانوا يترقبون بين يوم وآخر قدوم باخرة من هذه المديرية التى كانت المواصلات معها لا تزال مستمرة .

وعلم فى غضون اقامته فى الخرطوم أن غوردون باشا رجع من رحلته فى بلاد الحبشة الى القاهرة عن طريق مصوع وأنه لن يعود الى الخرطوم بل سيعين فيها رءوف باشا بدلا منه .

وفى ١٨ يناير جاءه خبر سار ألا وهو وصول الباخرة « الاسماعيلية » من مديرية بحر الغزال تحمل من مديرها جيسى باشا أنباء طيبة وبها أيضا أخبار سارة من أمين بك . ومما زاده فرحا على فرح أن هذه الباخرة ستقلع على ما علم فى مدى خمسة عشر يوما .

وبادر جونكر الى تجهيز لوازمه وبعث بجميع متاعه الى الباخرة « الاسماعيلية » التى أبحرت فى ٣١ منه مع الباخرة « امبابه » تجران عدة مراكب كانت قد أعدت لجلب كميات كبيرة من العاج الى الخرطوم ولتنقل اليها عددا كبيرا من النوبيين والعرب كان جيسى باشا قد أمر بنفيهم من مديرية بحر الغزال .

وبعد الوقوف مرارا فى مختلف المحطات وابتغاء تموين البواخر بما يلزمها من الوقود وصل الجميع الى فاشودة فى ٩ فبراير وكان منسوب

مياه النهر لا تزال مرتفعا جدا بسبب الفيضان الذى بلغ فى تلك السنة ارتفاعا قل أن يوجد نظيره . وكانت تمر كميات كبيرة من الحشائش من امامهم يدفعها التيار . وهذه الحشائش منها ما انتزعه التيار فى منطقة السدود ومنها ما قلعته الحملة التى كانت تشتغل فى تلك المنطقة .

سفره من فاشودة الى « ممبتّو »

ودعت الحالة للوقوف فى فاشودة وقتا طويلا بسبب تخلف الباخرة امبابه فى الطريق إذ لم يكن فى قدرتها السير بالسرعة التى كانت تسير بها الباخرة زميلتها . وفى غضون هذه الاقامة وصلت الباخرة « بردين » قادمة من الجنوب حيث تشتغل الحملة المكلفة بفتح السدود لتنقل الآلات والادوات والمؤن اللازمة لتلك الحملة .

وفي ١٥ فبراير وصلت الباخرة امبابه والمراكب التى تجرها وفى الغد أبحرت البواخر الثلاث معا ووصلت الى مصب نهر السوباط فى ١٧ منه . وبعد سفر عدة ساعات من هذه الناحية أفضت الى محطة أنشأها حديثا الجنود المرافقون لحملة قطع السدود وكانت الباخرة « المنصورة » التى استخدمت لذلك ملقية مراسيها بجانب ضفة النهر .

وبعد الابحار من هذه المنطقة عانت المراكب كثيرا من المشقات فى الملاحة بسبب سد النهر بالحشائش المائية ، وفى نهاية الأمر وصلت الى مشرع الرق فى ٢٨ فبراير .

واضطر جونكر أن يطيل مدة اقامته أكثر مما كان يرغب لينتظر وصول جيسى باشا مدير مديرية بحر الغزال الذى تأخر قدومه بضعة

أيام وأحضر له بعد ذلك العـــدد اللازم من الحمالين وصار فى إمكانه أن يسافر فى ١٨ فبراير الى « چور غطاس » Jour Ghattas [(١)] ويدخلهـــا فى ٢٣ من الشهر المذكور . ووجـد جونكر فى هـذه الناحيـة صديقه قديما احمد الأطروش بك حاكم مكراكا سابقا الذى كان قد استقبله فيها حين رحلته السالفة فى هـــذا المركز . وكان الأطروش بك وقت هذه المقابلة الأخيرة موقوفا بسبب ذنب اقترفه وكان يشكو من ذات الرئة ومرضـــه هذا آخـذ فى التفاقم بسرعة فلم يجـد جونكر أية تعزية يقـدمها اليـه سوى بعض تسليات تخفف عنه لوعة المرض فى آخر أيامـــه وذلك نظير ما لقيه منه من كرم الضيافة والمودة فى المـــدة السالفة . وانتهز جونكر فرصة قـدوم جيسى باشا وتشفع عنـده ليسمح للأطروش بالسفر الى الخـرطـوم . وهـــذا أمر كان يتمناه المذكور من سويداء قلبـه غـير أنه لم يستطع لسوء الحظ ونـكد الطالع أن يستفيد من هذه الشفاعة لأن منيته عاجلته فى چور غطاس قبل أن يتمكن من السفر .

وكانت الخطة التى اختطها جونكر بادىء ذى بدء ارتياد بلدة « ممبتّو » Mambettu وذلك بأن يذهب اليها عن طريق لادو غير أنه كان مضطرا لانسداد النهر فى منطقة السدود أن يقوم بدورة ويذهب الى ممبتّو عن طريق مشرع الرق وچور غطاس .

وأكثر الطرق أمنا وأسهلها مسلكا للذهـاب من هذه النقطة الى ممبتّو تمر بناحيـة « رومبيك » Rumbek ووادى « رول » Vallée de Rôl إلا أنه

(١) — هى أحـدى نواحى مديرية بحر الغزال وقد نسبت الى غطاس الذى كان له بها مستودع للرقيق والعاج وريش النعام وهو أحد كبار تجار النخاسة المشهورين .

لما كان قد ارتاد قبلا هذه المنطقة لم يكن لديه ثمت ميل للمرور بها مرة أخرى لا سيما أنه كان يريد أن يزور بلد النيام نيام عند ذهابه الى ممبتّو . وهـــذه الخطة لها أيضا مزية وهى سهولة تنفيذها لأن الحـــرب وضعت أوزارها بين سليمان بن الزبير باشا والحكومة وخضوعه لها حتى انه بلغ من أمر ولائه لها أن سعى فى ربط العلاقات الودية بينها وبين بعض رؤساء بلد النيام نيام .

نعم قد يكون الطريق الأقصر والأكثر استقامة أن يتجه الى الجنوب مارا ببلاد « البنجوس » Bongos و « البلنداس » Bellandas غير ان جونكر آثر أن يرافق جيسى باشا الى « ديم سليمان » Dem Soliman عاصمة مديرية بحـــر الغزال ومن هناك يشخص الى ممبتّو مارا بناحية « ديم بكير » Dem Bakir ضاربا صفحا عما يلحقه من زيادة المشقة بسبب بعد هذا الطريق .

وفى ٥ أبريل سافرا من جـــور غطاس وبعد مسير اثنى عشر يوما أفضيا فى ١٧ منه الى « ديم سليمان » . وهناك أقام جونكر اسبوعا تحسنت صحته فى خلاله كثيرا وعاودا الرحيل فى ٢٣ من الشهر السابق ذكره .

وقد رافقه جيسى باشا بعض مسافات ثم ودعا بعضهما الوداع الأخـــير وذلك ان جيسى باشا أدركته منيته فمات فى السويس فى أول مايو سنة ١٨٨٢ م وكل منهما سلك سبيله .

وقطع جونكر المسافة الى ديم بكير فى ستة أيام فدخلها فى ٢٩ منه وزاره فيهـــا رئيس بلد النيام نيام المسمى « ندوروما » Nodoruma وكان جونكر ينوى زيارة هـذا الرئيس . وبمناسبة هـذه الزيارة منحه جونكر

بعض الهدايا وفى مقابل ذلك أكد له الرئيس بأنه سيلبى جميع رغباته ثم قفل راجعا الى مسكنه .

وبعد أن مكث جونكر اسبوعا فى « ديم بكير » Dem Bakir رحل عنها فى ٧ مايو ووصل فى الغد الى محطة الترجمان عبد الله افندى وهو أحد وكلاء ومفتشى المديرية وقضى فيها الليل . وفى اليوم التالى وصل الى محطة ترجمان آخر يقال له عبد السيد . ويوجد تحت رقابة هذا الترجمان النقط الواقعة فى نهاية المديرية الجنوبية على الطريق الموصلة الى أراضى « ندوروما » Nodoruma التى سبق ذهابه اليها بنفسه أكثر من مرة ليتسلم بعض مقادير من العاج . وكان جونكر قد قابل عبد السيد فى ديم بكير ثم سافر منها عبد السيد قبل جونكر ليعد المعدات اللازمة لاستقباله ويستحضر له الحمالين المطلوبين .

ولاحظ جونكر عند وصوله اليها أن عبد السيد لم يقم بعمل ما واحتج بأنه ما كان ينتظر قدومه بهذه السرعة . ولما كان يبدو منه ما يدل على عدم الاكتراث أو الاهتمام بقضاء الاشياء المطلوبة اضطر جونكر أن يتوعده بالشكوى الى الحكمدار وحصل فى نهاية الأمر على مبتغاه .

إنشاؤه محطة فى لاكريما ومقابلته مامبانجا بممبتو

وشرع جونكر فى الرحيل فى ١٢ منه وبعد سفر بطىء أفضى الى محل إقامة ندوروما قبيل آخر الشهر المذكور وهناك أقام محطة فى « لاكريما » Lakrema وظل فى هذه المحطة الى آخر شهر أغسطس وسافر منها بعد ذلك فوصل فى ١٥ سبتمبر الى ممبتو حيث يسكن « مامبانجا » Mambanga

وعانى فى بادىء الأمر بعض مشقات فى سبيل مقابلة مامبانجا. غير أنه بعد عدة مفاوضات استطاع فى النهاية ان يحصل على المقابلة المبتغاة فى يوم ٢٠ سبتمبر أى غداة وصوله الى نهير « ولّيه » Rivière Wellé .

وكان مامبانجا قد أغلق طرق بلاده فى وجه البعثات التى كان يرسلها العرب لغاية هذا الحين وكان مشهورا ببغضه وشنآنه للحكومة المصرية ولكن المقابلة تمت وجرت فيها الامور على ما يشتهى جونكر وحصل على ترخيص بدخوله فى بلد مامبانجا .

وعلى ذلك رجع جونكر الى معسكره وفى الغد أى ٢١ منه حل مضاربه وأتى فمسكر بجانب دار « مامبانجا » الذى أرسل اليه زادا وعامله معاملة الصديق لصديقه مدة إقامته فى ضيافته إلا أنه كان يوجس خيفة وترتعد فرائصه من السلطة المصرية التى وطدت أوتاد سلطانها قرب حده الشرقى .

وبعد أن لبث مقيما ستة أيام أرسل يطلب من مامبانجا حمالين ومؤونة حتى يتمكن من الرحيل ولكن هذا كان يعد وعودا لا تلبث أن تذروها الرياح ويقصد بذلك احباط سفره . ولم يرسل إليه مطلوباته ويسمح له بالسفر إلا بعد أن هدده جونكر وتوعده باشعار المحطات المصرية .

سفره الى محطة تنجازى

وفى ٩ اكتوبر شرع جونكر فى الرحيل وفى ١٤ منه أفضى الى محطة يديرها شخص يقال له على افندى ومحطته هذه واقعة فى أرض تابعة لمديرية بحر الغزال .

واتفق جونكر فى غضون مدة إقامته فى « چور غطاس » مع شخص يقال له مولى افندى ـ وهذا الشخص من أقارب يوسف بك الشلالى كان قد كلفه جيسى باشا بأن يقوم بجولة فى أنحاء المركز ـ على أن يقابله فى هذه المحطة ليقوما بهذه الجولة معا . ولكن مولى افندى أخل بوعده واضطر جونكر أن يسافر بدونه . وعدا ذلك فان مولى افندى لم يحضر بالمرة لهذه المحطة لأن بلدة ممبتو قد فصلت من مديرية بحر الغزال وألحقت بمديرية خط الاستواء تحت سيطرة أمين بك الذى لم يبعث إليها مرؤوسيه إلا بعد وقت . وعلى ذلك ظلت هذه البلدة بدون حكومة منظمة فى برهة الانتقال من سيطرة مديرية بحر الغزال الى مديرية خط الاستواء وعانى جونكر كل الصعوبات التى تلازم مثل هذا الانتقال .

وفى ١٧ اكتوبر شخص جونكر الى محطة « تنجازى » Tangasi الواقعة جنوب نهير ولّيه وهى أهم محطات بلد « النوبيين » Nubiens فدخلها فى اليوم التالى واستقبله فيها بالحفاوة المعتادة رئيسها وهو شخص يقال له محمد ولد عبده وأرسل اليه مؤونة من الذرة والطيور حتى الطماطم وكان النوبيون قد أدخلوا زراعة هذا الصنف الأخير فى هذه المنطقة فى العام الماضى .

وأتى محمد فى اليوم التالى وطلب من جونكر إبراز ما معه من المستندات فقدمها . ولما كانت ممهورة من سلطة بحر الغزال اعترض محمد قائلا إن هذه المستندات لا قيمة لها لضم هذا المركز الى مديرية خط الاستواء . وفى الحال أبرز جونكر الفرمان الذى يحمله من لدن حكومة القاهرة وبذلك قطعت جهيزة قول كل خطيب .

ويظهر أن موقف محمد المذكور نحو جونكر لم يكن متشربا روح المودة وكان جونكر يرى ان حركاته وعلاقاته مع الرؤساء الأهليين موضوعة تحت المراقبة وهـذه الأمور لم تقع موقع الاستحسان فى نظره . وبعد أن أقام بضعة أيام أعلن رغبته فى الرحيل لأنه ما كان يقصد فى أول الأمر أن يطيل لبثه فى تنجازى . وعندما طلب أيضا حمالين حتم محمـد أن يستولى على أجورهم مقدما على حين أن الأمر العالى الصادر من القاهرة يقضى عكس ذلك . وعلى أثر اطلاع محمد على ذلك الأمر انحل الاشكال .

رجوعه الى محطة لا كريما

وحصل السفر فى ٢٢ اكتوبر . ومر جونكر على المحطة التى يتـولى إدارتهـا على افندى وهى المحطة التى زارهـا عند الذهاب وقابـله فيها على افندى هـذا مقابلة حسنة . وفى ٢٧ منـه سافر جونكر بعد أن قـدم له على افندى كل ما يلزمـه واجتـاز فى اليوم التالى تخـوم بلدة ممبتّو وبلغ فى ٣ نوفمبر المحطـة الجـديدة التى أنشئت فى أرض « حكوه » Hokwa الواقعـة تحت رئاسة شخص يقال له محمـد خير وهو الذى لعب فيها بعد دورا هاما بوصف أنه أمير على بربر فى إبان الثورة المهدية .

ومسقط رأس محمـد خير هذا كسلا . وهـو لم يوجـد فى بلاد العبيد إلا من زمن يسير . وقد ظهرت فيهـا مواهبه الساميـة فى الادارة وتفوقه فى الذكاء على مواطنيه فكانت المحطـة مرتبـة ترتيبا حسنا وتامة النظافـة ومحاطة بحاجز مزدوج فى القسم الأول منه يقطن الجنود السودانيون وفى الثانى النوبيون .

وقدم محمد خير الى جونكر جميع حاجاته وألح عليه بالمكث عنده بعض أيام . وهذا جل ما كان جونكر يتمناه وذلك رغبة فى الاستفادة من الراحة أولا ، ولأن الناحية أعجبته من ناحية أخرى .

وأقام فى هذه المحطة لغاية ٧ نوفمبر . وفى هذا التاريخ شرع فى السير مع محمد خير بعض مسافة ثم قفل هذا راجعا . أما جونكر فانه أخذ يرتاد فى طريقه البلد الى أن وصل فى أول ديسمبر الى دار ندوروما الذى خرج لاستقباله فى الطريق وسر كثيرا لرؤيته .

وفى ٣ منه أى بعد غياب أربعة أشهر رجع ثانية الى المحطة التى كان قد أنشأها فى لاكريما فوجد جميع عمالها الذين كان قد تركهم فيها بخير وعافية وابتهج فؤاده عندما رأى بستانه حافلا بالأشجار الزاهية واستمر مقيما فى هذه المحطة الى آخر الشهر الذى كان آخر السنة أيضا .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها فى الملحق الأول من السنة القادمة .

٢ — ملحق سنة ١٨٨٠ م

رحلة اليوزباشى كازاتى في مديرية خط الاستواء

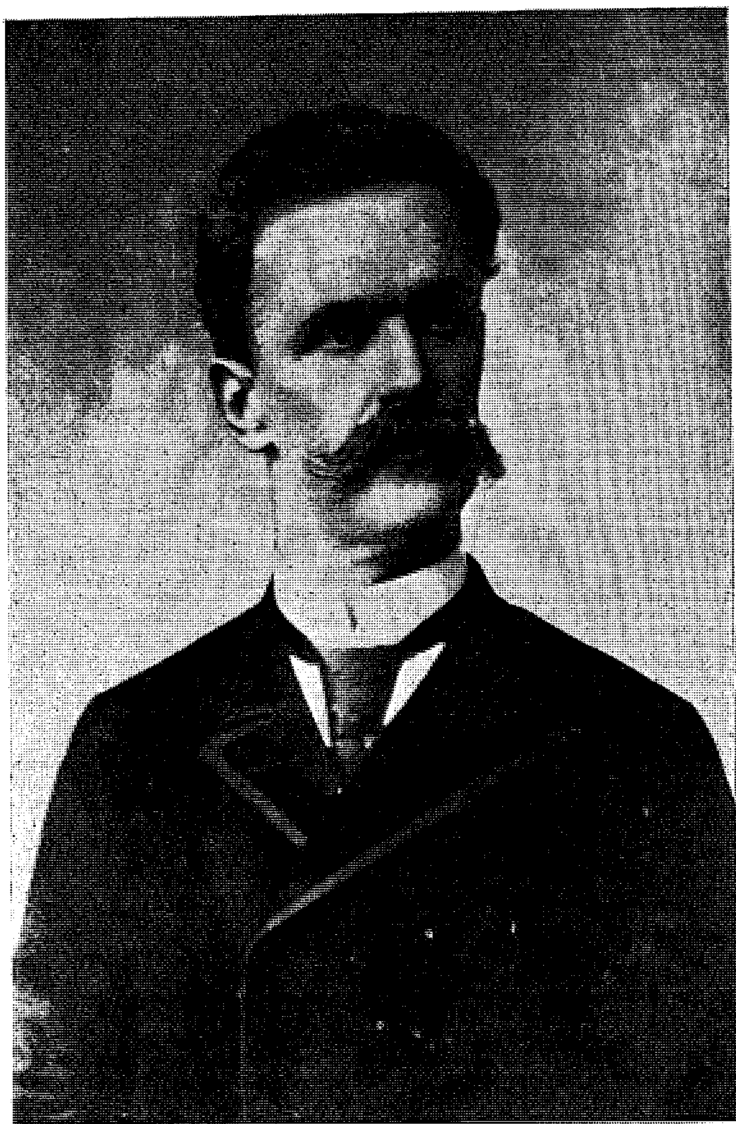
القسم الأول

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

وصوله الى مصر وسفره الى مشرع الرق

ان رواية رحلة اليوزباشى « كازاتى » Casati فى مديرية خط الاستواء لها أهمية كبرى فى تاريخ هـــذه المديرية وهى تعد الثانية فى الأهمية عند مقارنتها بالروايات الاخرى بعد رواية « فيتا حسّان » Vita Hassan الصيدلى لأن ذلك اليوزباشى أقام بها مدة الثورات التى شبت فيها وانقطع فى غضونها عن العالم المتمدين مع أمين باشا وعاد فى آخر الأمر برفقته مع حملة استانلى .

وصل اليوزباشى كازاتى الى الديار المصرية فى أوائل يناير عام ١٨٨٠ م وبلغ سواكن فى ٢٣ من الشهر المذكور ورحل عنها ميمما بربر فى ٢٩ منه فدخلها فى ٧ فبراير ، ومن هـذه المدينة أقلع على سفينة شراعية فى ١٢ من هذا الشهر الأخير وبعد ابحار ١٤ يوما نزل فى الخرطوم فى ٢٦ منه . ووافق دخوله فى هذه المدينة رحيل غوردون باشا عنها وكان قد رجع من مأموريته فى بلاد الحبش وسافر بعد أن قدم استقالته من وظيفة حكمدار السودان العام للخديو توفيق .



اليوزباشي كازاتي

وكان يقوم بأعباء هـذه الوظيفة موقتا « جيجلر باشا » Giegler Pacha وكيل الحـكمدار الى أن يأتى رءوف باشا الحـكمدار العام الجديد . وكتب كازاتى الى جيجلر فى غضون حكمداريته الوقتية يلتمس الترخيص له بالسفر الى الجنوب فوصل اليـه الرد برفض طلبه قطعيا لأن الأوامر التى أعطيت له لا تجيز له اعطاء رخص كهـذه فاضطر كازاتى ان ينتظر قدوم الحـكمدار العام . وعند وصول هذا قدم له طلبا آخر وبعد قيام بعض صعوبات فى هـذا السبيل أعطيت له الرخصة المطلوبة .

وأقلع كازاتى من الخرطوم فى ٤ يوليه سنة ١٨٨٠ م على مـتن الباخرة « الصافيـة » وبعـد أن مر بفاشودة ومحطـة السوباط بلغ مشرع الرق فى ٥ اغسطس وقضى باقى العام بالقيام بريادة فى مديرية بحر الغزال .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها فى الملحق الثانى للعام القادم .

سنة ١٨٨١ م

من

حكمدارية أمين باشا

تعيين فيتا حسّان صيدليا لمديرية خط الاستواء

أشرقت شمس عام ١٨٨١ م وأمـين بك مقيم فى لادو . وفى ١٤ يناير إبان وجوده فيها وصل اليها فيتا حسان الصيدلى المعين محل خليل افندى وسيم صيدلى الحكمدارية الذى كان قد تقرر رجوعه الى مصر .

وظل فيتا حسان مع أمين بك فى مديرية خط الاستواء عشر سنوات أعنى طول المدة التى قضاها منعزلا عن العالم المتمدين الى ان عاد مع حملة استانلى .

فكتب إذ ذاك سفرا سماه : « الحقيقة حول أمـين باشا » وهذا السفر ما هو فى الحقيقة إلا تاريخ الحكمدارية فى كل هذه الحقبة ومنه استقينا أغلب الأنباء الآتية :

يمت فيتا حسان الى العنصر الاسرائيلى وقد ولد فى تونس فى ١٤ يناير عام ١٨٥٨ م أى فى نفس اليوم الذى وصل فيه الى لادو عام ١٨٨١ م . وكان والده قنصلا لدولة ايطاليا فى هذه المدينة فأرسله الى الاسكندرية ليتمم دراسته بها إلا أنه نظرا لفقر والديه اضطر لمغادرة المدرسة وهو فى الخامسة عشرة من سنه ابتغاء كسب قوته .



فيتـــا حسان

ووقع اختياره على مهنة الصيدلة وتوصل الى دراستها لما تحلى به من الذكاء فى زمن قصير جدا حتى تسنى له وهو فى سن التاسعة عشرة أن يأخذ على عاتقه إدارة صيدلية لطبيب أرملة المرحوم عباس باشا الأول الخاص فى القاهرة . وتوصل بما له من الصلات أن يحصل على وظيفة صيدلى فى العريش بمصلحة الصحة ثم عينه صيدليا فى السودان نيروتزوس بك Neroutzos Bey مدير الصحة العمومية بتاريخ ٢٥ مايو سنة ١٨٨٠ م.

وأقلع فيتا حسّان من السويس مزودا بخطاب من نظارة الداخلية الى رءوف باشا الذى كان فى ذلك الوقت حكمدارا عاما للسودان مستقلا ظهر الباخرة « الحديدة » ووجهته سواكن ومن هذه شخص الى بربر فالخرطوم . ولدى بلوغه هذه المدينة مثل بين يدى الطبيب زربوهل Zerbuhl مدير الاعمال الصحية فعرض عليه هذا ان يختار « كلكل » Kolkol بمديرية دارفور أو لادو بمديرية خط الاستواء وهما المحلان المطلوب لكل منهما صيدلى . غير انه نصحه ان يختار المحل الثانى فعمل بنصيحته وأخذ يتأهب للسفر ليشغل وظيفته .

ولداعي عدم وجود بواخر جاهزة للابحار اضطر فيتا حسّان أن ينتظر شهرين فى الخرطوم وبعد ذلك أقلع على متن الباخرة « امبابه » . وكانت تقطر ثلاث سفن وماعونة بها نحو خمسمائة مسافر منهم ٢٠٠ من الخطرية و ٢٠٠ سجين وبها كذلك كثير من البضائع والذخيرة برسم الحكومة فى لادو . واستغرقت الرحلة زمنا طويلا لأن الحالة

استدعت إزالة الحواجز التى كونتها الحشائش فى منطقة السدود . ولم يستطع فيتا حسّان بلوغ لادو إلا بعد سفر دام ٨١ يوما وكان دخوله فيها فى ١٤ يناير سنة ١٨٨١ م مع أنه من المعتاد قطع هذه المرحلة فى ظرف ١٥ الى ٢٠ يوما .

ولدى وصوله وضع نصب عينيه أولا المثول بين يدى رئيسه الجديد ووضع نفسه تحت تصرفه . وعلى هذا ولى وجهه شطر مقر المديرية ودخل القاعة الكبرى فوجد فيها اناسا كثيرين يتسامرون وهم جلوس على أريكة كبيرة . وما وقعت عينه على أمين بك حتى عرفه من الأوصاف التى قد سبق أن استقاها عنه وكان عن يمينه لبتون بك Lupton Bey وكيل الحكمدار وعن يساره نور بك محمد قائد الجنود وكان بصحبتهم كذلك قاضى المديرية الحاج عثمان وبعض الضباط .

وقدم فيتا حسّان أمر تعيينه صيدليا للحكمدارية الى أمين بك فقابله بالبشاشة والايناس ودعاه فوق ذلك لتناول الطعام معه لعدم وجود مطاعم فى الجهة . فشكره فيتا حسّان وانصرف قاصدا الذهاب الى زميله خليل افندى وسيم الذى سيحل محله فى الوظيفة . فقابله هذا بأدب وعرض عليه كوخا ملاصقا لسكنه ليحل فيه لغاية اليوم الذى يرحل هو فيه .

وكانت لادو عاصمة مديرية خط الاستواء مشيدة على شاطىء النيل الأبيض الشرقى ومؤلفة من ٢٠٠ كوخ مستدير يقال للواحد منها « توكول » Tokoul مبنية من عيدان الخيزران ومغطاة بالقش

وقشور الاشجار وأرضيتها من الداخل مكونة من تراب وطين . وسكن الحكمدار ومستودعات الحكومة هى وحدها المتفرقة عن بعضها فهى إما منعزلة أو متجمعة تتكون من كوخين الى ثلاثين كوخا . وكل مجموعة من هذه الاكواخ يحيط بها سور ذو زوايا مستقيمة مشيد من ذات المواد السالف ذكرها . والشوارع التى تفصلها عن بعضها واسعة للغاية غير أنها عارية من الاشجار ولا يوجد بها حوانيت .

وتصلى الشمس قبيل الظهر بنيرانها المتقدة تلك الشوارع فتتلظى بشدة حتى تخترق حرارة الرمال جلود الاحذية . ويتخيل المقيم بتلك النواحى لانعدام الحركة من هذه الشوارع أنها شوارع مدينة أخنى عليها الذى أخنى على لبد فماتت بموتهم . وقد يقع البصر فى بعض الأحيان على سودانى يمر منها مسرعا كالبرق فيحدث بمروره هذا تغييرا فى ذلك المنظر المضجر الثابت على حالة واحدة .

وفى اليوم التالى لوصول فيتا حسان قام ومعه زميله خليل افندي الى المستشفى لتسلم مركزه وليزور المرضى لأن الصيدلى كان عليه أيضا ان يقوم بأعباء الطبيب .

وبعد أن أقام ثمانية ايام فى لادو استصحبه الحكمدار أمين بك للقيام بجولة للتفتيش فى محطة بور وأقلما على ظهر الباخرة « تلحوين » . وفى إبان الثلاثة الأيام التى قضياها فى هذه الناحية فحص فيتا حسان المرضى وعالجهم ووصف لهم الادوية التى تستلزمها حالاتهم بينما كان أمين بك يراجع دفاتر المخازن ويوزع الكساوى على الجند ويستقصى الحالة ويستفهم من

كل انسان عما اذا كان يوجـد لديه ما يوجب الشكوى . وهكذا كان عليـه أن يجلس لسماع الشكاوى والطلبات وفحصها والبت فيها بطريقة عادلة اذا تراءى له ما يوجب ذلك . وعرض الجند وحضهـم على الوفاء والأمانة وطاعة الحكومة وشجع المستحقين وحث الآخرين على الاقتداء بهم . وعلى وجه العموم كان يبـذل كل ما فى وسعه لاستتباب الأمن وعمل ما فيه راحة ومرضاة الجنود والأهالى .

وأقلع ثانية فى اليـوم الثالث وسط اطلاق ثلاث طلقات مدفع اتباعا للعادة التى كان قد سنها غوردون وهى اطلاق ثلاث طلقات حين قدوم المديرين وعند سفرهم . ولدى صعوده الى الباخرة صاحت الجنود وهى مصطفة على الضفة وباسطة أسلحتها قائلة : « يحيا الخديو » .

اهتمام الحكمدار بتوسيع نطاق الزراعة

وبعد مرور أسبوعين من رجوعهما الى لادو فوض الحكمدار أمين بك الى وكيله لبتـون بك Lupton Bey أمر إدارة قسم لاتوكا بمعاونة ابراهـيم افندى حمر . وكان لهذا القسم أهمية لا تشاركه فيها الاقسام الأخـرى وما ذلك إلا بسبب كميـة ونوع العاج الذى كان يورده وهـذا ما يفسر الباعث على تعيين موظف له هـذه الشخصية البارزة لادارته .

وشرع فيتا حسان يعمل فى وظيفته مع ان سلفه خليل افندى كان باقيا فى لادو ولم يسافر بعد الى مركزه الجديد .

وكان الحكمدار منهمكا انهماكا شديدا فى السعى ابتغاء توسيع وسائل المعيشة

فى مديريته وجنى أكبر محصول منهـا ليتسنى له على قدر الاستطاعة جعلها مستقلة من وجهـة الارزاق ووسائل العيش والاستغناء عن استجـلاب المواد اللازمـة لاستهلاك الموظفين والجنـد وعلى ذلك كانت المسائل الزراعية لها بحكم الطبع المنزلة الأولى فى مشاغله .

وكانت تحتوى البساتين التى كان قد أنشأها فى لادو و مكراكا والمحطات الاخرى على أشجار البرتقال و الليمون و الجوافـة و العنب . وتحتوى المزارع على شجيرات القطن .

وفى فـبراير سطر مكتوبا الى الاستاذ شوينفورث ليسديه الشكر لامـداده بجوالقين من تقاوى الأرز و الـبن وأنواع أخـرى مختلفة . وقد حمـله على طلب الصنفين الأولين ما عاينـه فى أراضى أوغنـدة و الاونيـورو إذ رآهمـا هناك مزروعين فى مساحات واسعـة ولاحظ ما يصادفانه من النجاح . ويخبره أيضا بأنه يوجد لديه قصب السكر من نوع جيـد وان تقاوى الذرة التى بعث له بهـا الفريق استون باشا رئيس أركان حرب الجيش المصرى وهـو أمريكى الجنس أعطت محصولا وافرا وعرفه كذلك أن تربية الخيول لا تصادف نجاحا ولكن الأباعر و الحمير التى استوردها فى العام السابق حالتها حسنة للغاية .

السفر من لادو الى لاتوكا وضم هذه المحطة وغيرها الى المديرية

وفى ١٤ أبريل سافر الحكمدار من لادو مستصحبا فيتـا حسان ليقوما بجـولة للتفتيش فى اتجاه قسم لاتوكـا القائم شرق النيل ولبثا فى هـذه الرحلة شهرين . وكان سير صمويل بيـكر قد ضم هذا القسم الى مديرية خط الاستواء

ثم أخلاه ثم احتله غوردون باشا وبعد ذلك أمر باخلائه كما فعل مع باقى محطات الجنوب . وفى عام ١٨٨٠ م احتل الحكمدار أمين بك كل المحطات التى كانت قد أخليت وضم لانوكا الى المديرية .

ومن لادو انتقل أولا الى غندوكورو التى كانت فى البدء قاعدة الحكمدارية ثم أخليت وانحطت منزلتها فصارت محطة صغيرة ليس بها إلا ١٢ جنديا . وفائدة الاحتفاظ بها وهى على تلك الحالة هى استخدامها سلما للمتاجرة مع قبائل البارين المجاورة ووسيلة لتسهيل زراعة الأراضى التى تكتنفها ولتكون مع احتلال لانوكا قاعدة حربية للطريق الموصل الى هذه المحطة .

وأول مرحلة قطعها بعد غندوكورو كانت مرحلة « ليريا » Liria وهذه وان لم تكن احتلت إلا من منذ عام واحد إلا أن حالتها كانت تسمح باجتياز المسافة اليها بدون حرس ما .

وبنية سكان هذه المنطقة قوية للغاية مثل بنية جيرانهم البارين . وكذلك سمعتهم فى اللصوصية تضارع سمعة هؤلاء . ويزرع الذرة فيها فى مساحات واسعة وبالعكس زراعة الدخان إذ لا يوجد منها إلا مقادير صغيرة . ويلوح من حالته ان زرعه غير ناجح . أما طرائد الصيد فوافرة ويعود على القناصين منها فوائد كثيرة . ويوجد هنالك الفيلة والجاموس والزرافة وحمار الوحش والخنازير البرية وجموع كثيرة من الوعول وغيرها . وكان يوجد حول المحطة فقط ١٧ أخدودا معدة لاقتناص الصيد . وهذه الكثرة من الطرائد نعمة يتمتع بها الأهالى فى غذائهم إلا أنه من الغريب العجيب ان الحيوانات الأليفة مثل الثيران و الحمير و البغال لا تعيش

في ذلك الاقليم .

ومن هناك انتقل الحكمدار الى قرية « الشيخ لاتوم » Latome الواقعة على مرتفع فى جوف سهل كثير المرتفعات والمنخفضات . ويبلغ الانسان ذلك المكان باجتياز سلسلة مرتفعات يكتنفها سياجات من الخيزران لا يستطيع الرصاص اختراقها لشدة كثافتها . ولقد قتل فى هذه المنطقة من بضع سنوات نحو عشرين من الدناقلة .

وقابل لاتوم الحكمدار عند مدخل قريته واقتاده الى مسكنه وقدم له شهدا وعاجا هدية فمنحه الحكمدار فى مقابل ذلك هدية أخرى . وكان هذا الشيخ مشهورا بالبخل الشديد غير ان الحكمدار رأى منه دواما كل مجاملة واكرام .

وأفضى به السير فى المرحلة التالية الى « ترانجول » Tarangole . وهذه كانت أهم محطة فى مركز لاتوكا وانشاؤها يرجع الى زمن بعيد والذين شيدوها هم الجنود الدناقلة التابعة لتجار الخرطوم واتخذوها قاعدة لتجارة العاج لأن طباع الأهالى الحربية حالت دون جعلها مركزا للمتاجرة فى الرقيق .

وكانت أراضى مركز لاتوكا جبلية غزيرة الانبات وبها غابات كثيفة تكثر فيها الحيوانات والطيور على سائر انواعها كثرة لا مزيد عليها . ومناخها معتدل بل لطيف لدرجة كبرى إذ ان متوسط درجة الحرارة فيها يبلغ ٢٥ درجة سنتجراد . ويجرى فى جبالها ماء رائق فرات غزير . وغاباتها النضيرة ذات الاشجار الشامخة التى يتجاوز ارتفاع الواحدة منها

٥٠ مترا وتبسط ظلالهــــا الوارفة فوق عشب يشبه الفرش الخضراء . وجـو مناخها البديع وماؤها الغزير العذب ، كل هذا سير لاتوكا جنة لا تدع فى نفس من يطؤها ميلا للرحيل عنها .

ولما كان هـذا البـــلد جزيل الخيرات كثير الحاصلات كان يصعب ترضية سكانه بما يقنع به الزنوج الآخرون من الاطعمة . فهم لا يأكلون إلا الذرة والحبـــوب الأخرى والشهد واللبن ولحوم الحيـوانات المذبوحة . وكانوا يقتنون أيضا قطعانا كبيرة من الماعز يسرحونهـــا ترعى فى الغابات حيث تنمـو مقادير كبيرة من الزهـــور بين الاشجار الأمر الذى يصير لحومهـــا لذيذة الطعم . وقد قدم للحكمدار تيس فأكلت حاشيته من لحـــومه حتى امتلأت منها البطون وبقى بعد ذلك ٢٥ رطـلا من الدهن أذابها طاهيه .

وكان لسكان لاتوكا شهرة كبيرة فى الحروب مصحوبة بشىء من الشمم والترفع وكانوا يشتغلون بنوع أخص باقتناص الجاموس والافيال .

وانتقل الحكمدار وفيتا حسان من ترانجـول الى محطات المركز الاخرى وهى « واتاكو » Wataku و « فاراجوك » Faragok حيث لبثا يومين وفى هذه المحطة الأخيرة غادرهما لبتون بك مأمور المركز .

ومن ترانجـول ذهب أمـين بك الى مركز فاديبك وهى بلدة الشوليين . وأول محطة زارها محطة اجـــارو وهى المحطة الأولى وبينهـا وبين آخـر محطة من مركز لاتوكا مرحـــلة ثلاثة أيام والمسافة بينهـا وبين فاديبك تستغرق سفر يوم ونصف يوم وأربعـة أيام من فاجـولى . وفاديبك هـــذه واقعـة

فى سفح سلسلة جبال فى جوف سهل صغير كثير الخصب فيه المراعى النضرة للانعام والغنم .

وانطلق أمين بك بعد اجارو الى فاجولى وهى محطة قائمة فى قلب حوض وليس فى موقعها شىء يستوقف النظر وتنحصر أهميتها فى مبادلة المتاجر مع اهالى اللانجو المقيمين فى الجنوب والشرق . وأهم تجارتها ريش النعام ويأتى بعده فى الأهمية العاج .

وكانت المتاجرة فى الريش قد أدركها العفاء وتركت فى زوايا الضياع لغاية ذلك الحين مع أنه من المستطاع الحصول على كمية كبيرة من هذا الريش من هذه المنطقة لأنه يوجد بها النعام بكثرة وفيها منه أسراب هائلة العدد . وعلى ذلك اتخذ أمين بك العدة ورتب الترتيبات اللازمة المؤدية لحث الأهالى وتحريضهم على جمع الريش ونقله الى المحطة وانشاء حقول فى مختلف المحطات لتربية النعام .

وكان لا يوجد مجارى ماء فى فاجولى وكان الاهالى يغترفون ما يلزمهم من الماء من الآبار والصهاريج التى تتكون فيها مياه الامطار . وأكبر صهريج هو الواقع على بعد ميل جنوب المحطة وطوله ٨٠٠ متر وعمقه متران وكان ماؤه يكفى حاجات المحطة والقرى المجاورة طيلة أيام السنة .

وانتقل أمين بك من أجارو الى فاديبك واستراح فى هذه يوما واحدا واستبدل فيها بحماليه آخرين . ومن فاديبك سار موليا وجهه شطر قرية « عبو » Obbo وهى أبعد محطات مركز شولى شمالا .

وكان يوجد فى عبو رجل ينزل المطر يسمى « راتشى » Ratchi . وهذا الرجـل قضى نحبه من زمن غير أن واحدا من أبنائه الذين كان يبلغ عددهم ١٢٠ نفسا حل محله فى وظيفته وأهالى عبو يكرمون الضيف ويرحبون بقدومه .

سفره الى محطة لابوريه وتفقده الأعمال بها

ومن عبو سافر الحكمدار صوب الغرب ميمما محطة لابوريه القائمة على النيل الأبيض . ومر فى طريقه بقرية أوجلى Ogilli التابعة لمركز « فانيكوارا » Fanyiquara . وفى أوجلى أبدل حماليه آخرين أيضا لكى يستطيع ان يجتاز بأكثر سرعة حقول الحنطة التى فى طريقه . وعندما وصل الى قرية « دريتو » Derelo تسلل جميع الحمالين الواحد تلو الآخر ولم يتيسر له ان يستمر فى رحلته ويبلغ قرية « كيرو » Kero إلا بواسطة شيخ القرية الأولى المسمى « جوتا » Guta الذى أحضر له اناسا بدلا منهم . وكيرو السالفة الذكر واقعة على مسافة ثلاث ساعات من لابوريه وقائمة فوق تلاع ولهذا كان منسوبها مرتفعا كثيرا عن هذه القرية الاخيرة والطريق الموصلة بينهما منحدرة انحدارا شديدا لغاية ضفة النيل الشرقية حيث توجد محطة لابوريه التى دخلها الحكمدار فى السادس والعشرين من شهر مايو .

وتفقد كعادته المحطة والاشغال التى أنجزت فيها وفحص الطرق المتبعة فى سبيل حماية الأهالى وتحسين حالة معيشتهم . وأودع لحسابه فى مخازن الحكومة عشرة قناطير من العاج وخمسة أرطال من ريش النعام . وهذه المقادير هى التى أهداها اليه رؤساء قبائل الزنوج

أثناء جولته .

رجوع فيتا حسّان مع الحكمدار الى لادو وتوليه عمله

وسار الحكمدار من لابوريه متتبعا مجرى النيل وتفقد محطات موجى ، و كري ، و بيدن ، و الرجاف عند مروره بها ورجع الى لادو فى يونيه .

ووجد فيتا حسّان عندما دخل لادو ان سلفه خليل افندى سافر ليتسلم مركزه الجديد وترك له المنزل الذى كان يسكنه . ولما كان مشيدا بالطين وعيدان الخيزران اتجهت افكاره للحصول على شيء أحسن من هذا فصنع قوالب للطوب بطول ٣٥ وعرض ٢٠ سنتيمترا وفى مدة شهر أنجز ٤٠٠٠٠ طوبة بنى بها بيته الجديد وساعده فى ذلك صناع الحكومة إذ كان لها فى المديرية بناء ونجار وحداد ونقاش وسمكرى يتقاضون رواتب شهرية . وكان هؤلاء لا يعملون شيئا لحساب الأهالى . والموظف الذى يستخدمهم فى أمر من الأمور ينبغى عليه أن يقدر ما يساويه عملهم بواسطة رئيس الموظفين والمبلغ الذى يقدره يخصم من مرتب ذلك الموظف .

وعندما نفض يديه من تشييد سكنه وجه فكره للمرضى وأراد أن يستفيدوا هم الآخرون من تحسينات كهذه فأعاد بناء المستشفى والصيدلية من الطوب وأوجد فى الأول كل وسائل الراحة والصحة وأوجد فى الثانية دواليب زجاجية وضع فيها أحقاق وأوانى الأدوية بأكمل نظام وأتم ترتيب وأعد فيها كذلك معملا عمليا نظيفا .

وروى فيتا حسّان أنه لا يوجد أى مرض أو داء عضال فى لادو ولا فى محطات الحكمدارية الأخـــرى . وانه فى ابان إقامته فى لادو لم يتقدم اليه للعـــلاج إلا شخص واحد مصاب بالحمى الخبيثة وآخر بالتيفوس واثنان بالصفراء وبعض اناس مصابون بأمراض سرية . وكان الزنوج لا يعرفون هذا الداء قبل أن تدخل العناصر العربية ديارهم . وهؤلاء العرب هم الذين نقـــلوه الى بلادهم . وقلما تجد انسانا يشكو من ألم فى عينه فعيون وأسنان السودانيين ليس لها نظير فى كل بلاد العـــالم . والمرض الوحيد الذى خص به العنصر الزنجى هو داء دودة المدينـة المسمى هناك بالفرانتيت Frantit . فهذا المرض لا يصاب به سوى الزنوج ولا يحدث منه وفاة .

تاريخ احتكار الحكومة للتجارة بهذه المديرية

أورد فيتا حسّان فى الفصل الثالث من كتابه بيانا هاما بصدد كيفية دفع رواتب الموظفين والمعاملات التجارية الجزئية التى صارت تحصل من وقت احتكار الحكومة للتجارة .

ويرجع تاريخ هـذا الاحتكار الى عهـد ضم اراضى المديرية اما الواضع له فغوردون باشا واستمر معمولا به من ذلك الوقت .

ولا توجـــد تجارة حقيقية بمعنى الكلمة فى لادو ولا فى محطات خط الاستواء الأخـــرى وبحر الغزال ابتداء من لادو . وكان يوجد فى لادو ثلاثة تجار وهم صبره وهو مصرى من اهالى الوجه القبلى ، و روفائيل وهـــو قبطى ، و ديمـــترى يونانى . وكلف غوردون فيما بعد اثنى عشر يونانيا بينهم هـــذا الأخير بحراسة المستر « پور » Power قنصل انكلترا

فى الخرطوم والذب عنه ومرافقته هو وأميرالألاى « استوارت » Stewart ومسيو « هربن » Herbin قنصل فرنسا . وكان هـذا الجمع كله على ظهر الباخـرة « عباس » التى كان قد أرسلها غوردون الى الديار المصرية وشحطت بين أبى حمد ومروى حيث ذبحهم جميعا الدراويش .

وكان تجار لادو الثلاثة كلهم يمتلكون رأس مال يبلغ نحو ١٥٠٠ ريال . وهـذا المبلغ هـو قيمة ما لديهم من السلع التى تنحصر فى بعض مقاطع من الأنسجة القطنية والدامور وبعض زجاجات من المشروبات الروحية وكمية زهيدة من المواد الغذائية .

وكانت المواد الهامة المعدة للتصدير هى وحدها المحتكرة وترسل الى الخرطوم وهى العاج وريش النعام وجلود الثيران . فالعاج بلا امتراء من ممتلكات الحكومة ويجب على الأهالى جميعهم بدون استثناء توريده لمستودعات الحكومة حالا عقب صيد الفيلة بدون مقابل . ولربما سأل سائل لماذا يتكلف الزنوج عناء اقتناصها ما داموا لا يستفيدون فائدة من وراء صيدها . والجواب على ذلك ان أولئك الزنوج يصيدونها ابتغاء الحصول على لحومها وشحومها اكثر مما يبغون الحصول على انيابها إذ أنهم يحصلون منها على مقادير وافرة من اللحوم والشحم للتغذية . وكانوا قبل احتكار العاج يبادلون عليه بالخرز أو بزجاجة من الخمر المغشوشة التى يجلبها التجار . هذا اذا لم يتخذ منها كثير من مشايخهم سياجات ينشئونها حول اكواخهم ويستثنى من ذلك سكان مملكتى الاونيورو والاوغندة إذ ان هؤلاء كان يوجد بينهم وبين الزنزباريين علائق تجارية .

وفرضت الحكومة فيما بعـد ذلك على الأهالى توريد العاج بصفة

جــزية فاضطروا أن يقتنصوا الافيال ليوردوا انيابها سدادا لما هــو مطلوب منهم لها .

وعــاد الاحتكار على الاهالى بأضرار أقل كثيرا من التى وقعت على العرب لأن هؤلاء كانوا يجــرون مغانم كثيرة من وراء بيعهم العاج فى الخرطوم .

وكان من المتعين أيضا تسليم ريش النعام فى مستودعات الحكومة فتدفع هذه نصف الثمن والجزء الباقى يحجز سدادا لضريبة الحكومة .

وهذه هى القاعدة المتخذة أساسا للدفع :ــ

١٨ ريالا ثمن رطل الريش الأبيض بضاعة عالية ويقال لهذا الصنف « العوام » .

١٢ ريالا ثمن رطل الريش الأسود بضاعة متوسطة ويقال لهذا الصنف « الأسود » .

٣ ريالات ثمن رطل الريش الاشهب بضاعة عادية ويقال لهذا الصنف « ربدا » Rebeda .

وكانت هذه الأثمان لا تدفع نقدا بل غلة . وكانت السلع تقوم مقام النقود المتداولة فى مديرية خط الاستواء فيدفع منها رواتب الموظفين والجند وكذلك الحال فى باقى المعاملة التجارية .

وكانت البواخر التى تبحــر الى الخرطوم تشحن بالعاج وريش النعام

والجلود وغير ذلك من الأشياء الصغيرة ولدى عودتها توسق بالمظلات و الاحذية و الطرابيش و المنسوجات القطنية الغليظة و الخرز و الصابون و السكر و البن و الشاى و المشروبات الروحية وسلع من المعدة للاستبدال من جميع الانواع :

ولم ير فيتا حسان طول المدة التي أقامها إلا شحنة واحدة من النقود تحتوى على ٥٢٠٠٠ ريال بعث بها رءوف باشا من الخرطوم ليدفع منها المعاشات المتأخرة ومرتبات المستخدمين الملكيين والعسكريين لغاية آخر عام ١٨٧٩ م . وكون هذا المبلغ القيمة التى استعملت للمبادلة عينا فى جميع أنحاء المديرية زهاء عشر سنوات وكانت كل باخرة تأتى من الخرطوم تجلب سلعا بنحو ٣٠٠٠٠ ريال .

ولدى الوصول كان يضاف الى ثمن الشراء الذى كان مرتفعا فى الخرطوم رسوم قدرها ١٠ ٪ تقريبا علاوة على نفقات الشحن . وهذه النفقات كانت تحتسب بواقع ١٢٠٠ قرش يوميا عن ٩٠ يوما أى طيلة مدة الذهاب من الخرطوم والعودة اليها فيكون مجموع ذلك ١٠٨٠٠٠ من القروش . وعلى هذا يزيد ثمن السلع زهاء ٣٠ ٪ والموظف الذى يستولى على راتبه غلات أى من هذه السلع لا يصل الى يده إلا ثلثا استحقاقه .

والحاصلات التى كانت تجبى من الأهالى مثل الذرة والسمسم والفول والشهد والزيت والأشياء الأخرى كانت تعطى للموظفين بمقتضى قواعد معينة وتخصم من أجورهم . واثمانها الرسمية هى كالآتى :—

صـ	
٢٨	ثمن اردب الذرة الأحمر .
٦٠	« « « السمسم .
٣٠	« « « الذرة الابيض .
٢٥	« « « الفول .
١ر٥	« « رطل الشهـــد .
١ر٢٥	« « « الزيت .

وكان الموظف أو الضابط يحصل على ما يلزمه من المؤونة عندما تأتى باخرة أو يصير أداء جزء من الضريبة ويقدم لأمــين المخزن سندا مبينا فيه ثمن السلع التى استولى عليها وهــذا الثمن يخصم من مرتبه أو كرائه . ويرى على هـذا ان العملة النقدية ليس لها أية فائدة وأن انعدامها بالمرة لا يشعر به أحد .

الحاق ممبتو بمديرية خط الاستواء
وتسليم اليوزباشى حواش افندى إدارة مركزها

وكانت بلدة ممبتـو أو جرجورو ملحقـة بمديرية بحر الغزال لغاية يوليـه سنة ١٨٨١ م وانفصلت عنها من هـذا التاريخ مع مركز رول وألحقت بمديرية خط الاستواء لأنها أقل بعدا عنها من مديرية بحر الغزال .

وكان الرحالة جونكر فى هـذا الحـين بتلك الأصقاع فاعتدى عليه الأهالى وأساءوا معاملته وسلبوا من متاعه أشياء كثيرة . وكانت حملة قد أعدت لتسلم هـذا البلد وصارت على وشك السفر فكتب الحكمدار أمـين بك الى جونكر فى ١٢ أغسطس يعلمه بالأمر ويخبره أن يحيط

اليوزباشي حواش افندى منتصر الذى سيعهد اليه أمر قيادة هذه الحملة وتسلم المركز المذكور ، بالأشياء التى تلزمه . وأخبره فى الوقت ذاته أن وكيله لبتون بك عين حكمدارا لمديرية بحر الغزال بدلا من جيسى باشا الذى عزل من الخدمة وأدركته منيته فى السويس . وأخبره علاوة على ما ذكر أنه على وشك المجىء الى مكراكا ومن هذه يتوجه لتفقد مراكز أمادى ، و اجاك ، و رومبيك وغيرها من المراكز البحرية وأنه من المحتمل أن يذهب بعد شهرين للتفتيش على منطقة ممبتو ويتمتع فيها بمشاهدته .

وبعد أن تسلم اليوزباشي حواش افندى منتصر قائد جنود مكراكا أمر تكليفه بادارة مركز ممبتو سافر على رأس ٥٠ جنديا لا غير لينضم الى حامية ذلك المركز المؤلفة من عساكر خطرية .

ووجد فى قرية « أنزيا » Anzia وهى آخر محطات مكراكا اليوزباشى كازاتى الرحالة الايطالى مريضا . فاهتم بأمره طيلة يوم وسافر فى اليوم التالى الى « برنجى الصغير » وهى أول محطة من محطات مركز ممبتو . وعلم وقت وصوله اليها ان الأهالى أبادوا الحامية الخطرية التى فى هذا المركز المؤلفة من ٨٠ جنديا .

ولم يدع هذا النبأ اليأس يتطرق الى قلبه وكتب الى الحكمدار يقول : لقد قتلت حامية ممبتو وسأنطلق الى هنالك لأعاقب الزنوج على ما جنت أيديهم وأنتقم لسمعتك . فاذا سلمنى الله من هذه الواقعة وظللت على قيد الحياة احطتك علما بالنتيجة .

وانتقل حواش افندى منتصر الى قــرية « الطويل » وفيها قام بعملية مبادلة الدم مع شيخهـا . وبعد مضى ١٢ يومـا استطاع أن يجمع ٣٠٠ زنجى مسلحين ببنـادق بقيت فى حيازتهم من وقت أن كانت المتاجرة بالسلاح مباحة .

ومبادلة الدم بين شخصين هى عبـارة عن اتحاد بينهما يحتم عليهما أن يتعاونا فى حالتى الهجوم والدفاع . وهـذا الاتحاد المثبت بطابع من دمهما لا انفكاك له . وهذه هى طريقة مبادلة الدم عند رؤساء الزنوج :ــ

يحدث كل من المتبادلين الدم جرحـا بسيطا فى ذراع الآخـر أو فى جنبه بآلة حادة ويغمس فى دم زميله حبة ما ـ ومن المعتاد أن تكون هـذه الحبة من حب البن ـ ويبتلعها فـورا . وبانتهاء هـذه العملية يتم عقد مبـادلة الدم . ومتى انتهى توقيع العهد بهـذه الصيغة لا يخشى أى الفريقين خيانة أو غدرا من الجانب الآخـر حتى ولو كانا قبل توقيـع العهد عدوين لدودين بل يطرحان الماضى فى زوايا النسيان ويلتزمان أن يشدا أزر بعضهما . ولم يحدث مطلقا فى السودان ان أحدا من الموقعين عهـد الدم نـكث عهده ويصح أن يحتذى الرجـال الذين يطلق عليهم كلمة متمدينين بمتوحشى افريقية فى المحافظة على العهود .

وسافـر حواش افندى منتصر موليا وجهـه شطر « بنجيدى » Bengedi الواقعة على نهير وليـه . وبعد أن علم شيخ هذه الناحية بمـا عقد عليه حواش افندى منتصر النيـة وقع معه معاهـدة الدم وسمـح أن يرافقه ١٨٠٠ رجـل من رجاله مزودين بالحراب . ودفعـه الى ذلك عـامل الطمع فى

الحصول على غنائم . وسافر حواش افندى منتصر مصحوبا بهذه الامدادات الى ممبتو .

وغادر بلد النيام نيام وولج فى ممبتو متخذا طريق بلدة « بمبا » Bamba التى يرأسها الشيخ أزنجا Asanga أخو الشيخ جمبارى Jambari .

تأديب اليوزباشى حواش افندى لمامبانجا وأتباعه

وقام حواش افندى منتصر فى بلدة بمبا بعدة مظاهرات بواسطة جنوده أطلق خلالها كثيرا من الطلقات النارية إرهابا للاهالى . وعقد معاهدة الدم مع أزنجا واصطحبه فى مسيره مع ١٥٠٠ رجل آخرين تابعين له ودخل حواش افندى منتصر فى أراضى « كوبى » Kobi التابعة لجمبارى أخى أزنجا على رأس ٣٦٥٠ رجلا . وكان جمبارى هذا أسيرا فى مديرية بحر الغزال فأتى ابنه جمعة لمقابلته وعقد معه معاهدة الدم وطلب منه أن يتوسط لدى الحكومة لاطلاق سراح أبيه .

وعلم حواش افندى منتصر عند ذاك أن الحامية قتلها مامبانجا فى تنجازى . ومامبانجا هذا هو رئيس ممبتو وأن القتل حصل بتحريض واغراء الرئيس الحاكم جنجارا Gangara . وأراضى مامبانجا واقعة خلف تنجازى . فزحف على هذه الناحية الأخيرة وقاتل جنجارا وأخذه أسيرا وأجرى تحقيقا بشأن إهلاك الحامية وسار من أجل هذا الغرض فى طلب مامبانجا الذى كان نازلا عند تخوم بلدة « ارامو » Abramo وهاجمه على غرة منه واضطره أن يرحل الى داخلية البلد . فاقتفى أثره حواش افندى منتصر وطارده مدة سبعة عشر يوما . ولما لم يستطع اللحاق به ألقى عصا

تسياره فى عاصمة مامبانجا القديمة على مسافة قريبة من قرية الشيخ مبورو Mboro وعقد مع هـــذا معاهدة مبادلة الدم وأقام فى تلك الربوع محطة حصينة وعين فيها خمسين رجلا . وأرسل بقيادة الضابط محمـــد افندى عبده جنود الزنوج ليقيم محطات ممبتو ويحصنها . وتربص حواش افندى منتصر لمامبانجا وشددت عزيمته فى ذلك مخالفة مبادلة الدم التى عقدها مع مبورو . وعمل مامبانجا كل ما فى وسعه بل بذل ما هو فوق ذلك لارهاب حواش افندى منتصر وحمله على الاقلاع عن مطاردته .

وقدم ذات يوم رسول وقدم الى حواش افندى منتصر الهـــدايا حسب المعتاد وأراه أربع سلال مفعمة بالتبن المفتت وقال : « ان سيدى يخبرك ان لديه رجالا يضارع عـــددهم التبن الموضوع فى هذه السلال التى أمامك . وهو يؤثر أن يكون صديقك على أن يكون خصمك وينصحك مراعيا فى ذلك مصلحتك أن تكف عن مطاردته » .

وما أتم الرسول كلامه حتى أخـــرج له حواش افندى منتصر من جيبه علبة صغيرة بها عيدان من الكبريت وبعد أن أعطاه هدايا لسيده مامبانجا قال : « حال وصولك لسيدك افعل مثل ما أنا قادم على عمـــله تحت بصرك وجاوبه بالذى سأقوله لك » .

وقلب حواش افندى منتصر سلال التبن وأشعل ما كان فيها بعـــود من الثقاب وقال له : « بعد ما تكون قد قمت بعمل ما أريتـــك أمام سيدك قل له إنه وإن كانت جنودى ليست أكثر عددا من عيـــدان الكبريت التى فى هذه العلبة إلا أن واحـــدا منهم يكفى للاشاة وإفناء جيشه مثلما اكتفى الحال بعود واحـــد من هذه العيدان لتحويل هذا

التبن رمادا » .

وقد يكون فى هذا الزعم شىء من المغالاة ولكن يلزم ألا يفوتنا أن حواش افندى منتصر كان يواجه اناسا تعمل فيهم الجرأة فى القول والاقدام على العمل ما لا يعمله التروى والتبصر فى العواقب .

وبعد شهرين من ذلك عاد مامبانجا . وعلم حواش افندى منتصر وكان وقتها فى « مبورو » Mboro ، أن ذلك الرجل أرسل فى الطليعة جيوشه المساعدة . ولما كان لدى حواش افندى منتصر من الذخيرة ما يكفيه رتب عساكره وسط المحطة خلف حصن مؤلف من حاجز من الأعمدة الخشبية كان قد أعده من قبل احتياطا للطوارىء وأحاط ذلك من جميع الجهات بزنوج مبورو .

وكان مامبانجا فى أثناء هذه المدة قد جمع لفيف قبائل « الأبرامو » Abramos ولم يتخلف عنه من جموعهم إلا قبيلة مبورو وشرع فى الهجوم على المحطة . وكان ذلك قبيل الظهر . وأعطيت للزنوج الأوامر المشددة بأن لا يغادروا الحصن وأن يدعوا العدو يقترب متلاحم الصفوف . وهذا ما حصل فعلا . وعندئذ صوب عليهم حواش افندى منتصر نارا حامية متواصلة أخذت تحصد صفوفهم فكان يسقط عقب كل طلقة تصوب الى جموع الأعداء المحتشدة رجل بينما كانت عساكره مع حلفائهم متحصنين خلف المتاريس . وقبيل الساعة الثامنة مساء انسحب العدو بعد أن خسر ٣٦٠ رجلا ونزل على بعد بعض مسافة .

وأضرم حواش افندى منتصر فى أثناء الليل النار فى جانب من

اكواخ القرية وأخفى رجـــاله خلف الأشجار وأمر بعـدم إطلاق النـار على العـــدو إلا بعد أن يعطى هـو اشارة بطلقـة نـارية . وظنت رجـال مامبانجا أن هذه النار شبت بالقضاء والقـــدر فانقضوا صوب هـذه المنطقة المفعمة بالأخطار والأمـــل يساورهم بأنهم سيرجعون منهـــا محملين بالغنائم . ولدى وصولهم الى مسافـة مرمى البنادق أعطى حواش افنـدى منتصر الاشارة وفى الحال أحيط بالأعـداء من كل صوب وناحية وهلك منهم عـدد كبير . وقد وجد بعد انفضاض المعركة زهاء ٤٠٠ قتيل فى ميدان الوغى .

وجمع مامبانجا رجاله وانسحب من الميـدان ممتلئا خوفا ورهبة فى اتجاه أبرامـــو . والرؤساء الذين كانوا ملتفين به لغـــاية تلك الساعة انفضوا هم وتوابعهم من حـــوله وقدموا الواحـد تلو الآخـر الطاعة للحكومـة وعقدوا عهـــد الدم مع حواش افندى منتصر . وقد بلغه فى هـــذه الآونة أن الطبيب جونكر وقع أسيرا فى قبضـة يد الماديين فأرسل خلفه فى الحـال من يقص أثره وأوصله الى ممبتو .

الانعام على اليوزباشى حواش افندى منتصر

وكتب الطبيب جـونكر الى أمـــين بك كتابا لحمتـه وسداه الثنـاء المستطاب على حواش افندى منتصر لمـــا اتخذه من الاجراءات فى معاقبـة الرئيس جنجارا ولمـــا بذله فى سبيل استرداد متاعه . ومن العجب العجاب ان اليوزباشى كازاتى الذى كان حينـذاك فى ممبتـــو أيضا ورأى فيهـا الطبيب جونكر كتب خطـابا الى أمـــين بك فى نفس ذات الـبريد الذى أرسل معـه هذا الطبيب خطابه يتهم فيـــه حواش افندى منتصر بارتكـاب سلسلة من الخطايا وبأنه هـاجم جنجارا هجـــوما لا مـبرر له سوى إرادة

السلب والنهب .

وبعث أمين بك بالخطابين السابقى الذكر الى رءوف باشا حكمدار عموم السودان وهذا رفع حواش افندى منتصر الى رتبه صاغقول أغاسى معولا فى ذلك على ما أبداه الطبيب جونكر الذى كان قد طلب لحواش افندى منتصر مكافأة .

سفر الحكمدار مع فيتا حسان لتفقد الأحوال

وبعد أن أدمج أمين بك مركزى رول ، و ممبتو فى مديرية خط الاستواء عقد النية أن يتفقد أحوالهما بنفسه لكى يتمكن من تنظيم إدارتها فاستصحب فيتا حسّان معه فى هذه الرحلة . وعلى ذلك انتهز هذا الفرصة لاستطلاع أحوال هذين المركزين ومركز مكراكا أيضا الذى هو أهم مناطق جميع المديرية وأكثرها ثراء وخصبا .

وفى ١٥ سبتمبر اتجهوا نحو الغرب ومعهم سكرتيره و رجال حاشيته الثلاثة و خدمه و ١٤ جنديا . وفى ظرف ١٥ يوما أفضوا الى زريبة « كانجو » Kango فى لادو فكانوا يسيرون طيلة النهار ويحطون رحالهم عند المساء فى أول قرية تصادفهم اذا وجدوا فيها حاجاتهم وكانت أهاليها تقابلهم بالترحاب . وكانت زريبة كانجو مأهولة بالدناقلة وقائدها رجل يقال له مولى افندى . وحال وصولهم الى هذه الزريبة تقدمت امرأة زنجية الى أمين بك وشكت له سوء معاملة ربها لها وهو شخص من أولئك الدناقلة . وكان أمين بك يعرف استبداد هؤلاء فلم يتردد لحظة فى تصديق صحة دعواها وحقيقة شكواها فسلمها

رخصة تحريرها من الرق وسمح لها بالعودة الى مسقط رأسها . وانتشر هذا الخبر فى البلد بسرعة البرق وفى الحال انكشف المخبأ وظهر عدد كبير من الرجال والنساء الواقعين فى الرق وحذوا حذو الزنجية السالف ذكرها وطلبوا مطالبها .

وجلس أمين بك يوما ليستمع شكاوى أولئك البائسين فحرر منهم زهاء أربعين نفسا ورجعوا الى أوطانهم .

وكان قد ألم من قبل بأحوال الدناقلة فكان اذا ذكرت سيرتهم لا يذكرهم بخير . وهؤلاء القوم يتمتعون بامتيازات تخول لهم ألا يدفعوا أية ضريبة للحكومة وكانوا يخلقون لها عناء ومشاغل أكثر مما يوجده الأهالى . وحدا هذا كله الحكمدار أمين بك الى أن يضع حدا لهذه الامتيازات وإبطال هذه الانعامات التى لا يستحقونها والتى لا يوجد لها أى مبرر . وعلى ذلك أصدر أمرا بدفع الضرائب أو النزوح عن الديار فاختاروا الرجوع الى الخرطوم . نعم إن الدناقلة لم تنشرح صدورهم لهذا الأمر إلا أن الزنوج بالعكس ارتاحوا له جد الارتياح .

وبعد أن أقام ثمانية أيام فى زريبة كانجو غادرها هو وفيتا حسّان ويمما « بوفى » Bufi وهي محطة من أعمال مركز رول ورئيسها شخص من الدناقلة يقال له عزب افندى .

وتفقد الحكمدار العام أمين بك إدارتها وفحص دفاترها وزار مخازنها واستعرض حاميتها ولم يفته شاردة ولا واردة من الاشياء التى تهم رئيسا من الرؤساء .

وانتقل الاثنان من بوفى الى أجاك فبلغاها فى ظرف ثلاثة أيام وذلك بعد أن ألقيا رحالهما للاستراحة فى بعض المحطات الصغيرة . وبلغ الحكمدار أمين بك قبل أن يصل الى القرية أن دناقلة هذه المحطة أصروا على قتله خلال عرضه لحاميتها انتقاما لرفاقهم الذين كانوا فى زريبة كنجو حتى لا يتعرضوا هم الآخرون لمثل ما وقع عليهم . ولم يثر هذا الخبر بلابل الحكمدار ودخل أجاك هادئا مطمئنا بدون أن يتخذ أقل حيطة . وهذه القرية هى أهم قرى مركز رول وكان قائدها وقتئذ رجلا من الجعليين يقال له ضيف الله ركاجا . وقد أعد له هذا بيتا نظيفا وقابله مقابلة حماسية . وفى اليوم التالى انطلق الحكمدار يتفقد ويفتش مثلما عمل فى المحطة السابقة وفى الوقت نفسه كان فيتا حسان يزور الجنود والمرضى . وعرض الحكمدار الجنود بدون أن يدع نفسه تخالجها عوامل الخوف والرهبة على أثر ابلاغه خبر المؤامرة التى عقدت لاغتياله . وفعلا ناقض قيام الجنود بالاستعراض بجد خبر المؤامرة المزعج الذى اتصل به . وقد أقام فى أجاك زهاء أسبوعين .

ولا بد لنا هنا من أن نخص بالذكر مجهودات المسيو ماركو جسبارى Marco Gaspari التاجر اليونانى واهتمامه بتوسيع وسائل الزراعة وانتشارها . فقد غرس جسبارى فى جزء من قطعة أرض تبلغ مساحتها نحو ٢٠ فدانا ويحيط بها سياج كثيف من التين الشوكى اشجارا من اشجار الفاكهة المختلفة الانواع وزرع فى جزء آخر منها خضرا والباقى منها خصه بزراعة الذرة والبطاطا والفول والسمسم والفول السودانى . ويوجد فى بستان الفاكهة غير التين الشوكى الكثير العدد الذى يكتنف المزرعة من كل جانب أشجار من أشجار الموز المختلف الأنواع والتين والبلح والخوخ

والرمان والليمون . وهذا مما يبرهن على أن الارض صالحة لكل انواع المزروعات والمغروسات وانه فى حيز الاستطاعة تعويد مغروسات أوربا على مناخها .

وزراعة الفول السودانى منتشرة فى اجالك انتشارها فى سائر انحاء بلاد الدنكاويين المقيمين فى مركز رول . وتبلغ مساحة كثير من الحقول المزروعة هذا النوع بعض كيلومترات وتمتد من قرية الى أخرى . وعندما اجتاز الحكمدار أمين بك تلك الحقول استدعى الأهالى واستعلم منهم عن سر عدم إقدامهم على استخراج الزيوت من هذا النبت . وحثهم كثيرا على عصره وأكد لهم بأنهم يحصلون منه على زيت يفوق الشيرج كثيرا دسامة و طعما . وفرض على كبير الناحية توريد مقدار من زيت الفول السودانى بصفة جزية وهكذا ألزم الأهالى أن ينكبوا على هذه الصناعة فجنوا منها فيما بعد أطيب الثمار وأجزل المنافع .

وبعد مسيرة يومين من مبارحة أجالك أفضوا الى رومبيك قاعدة مركز رول وكان معهودا بادارتها الى شخص من الخطرية يقال له ابراهيم غطاس . وأقاموا فى هذه الناحية مدة يومين تفقد الحكمدار فى خلالها الأحوال كالمعتاد بل بدقة تفوق الحد المعتاد فى رحلات تفتيشه الماضية . وأمر بنوع أخص بالاعتناء بدفاتر الحساب وإصلاحها ابتداء من تاريخ تعديل إدارة هذا المركز . وأعطى تعليمات صارمة تتعلق بادارته ونبه مشددا على كبير الناحية بأن يخاطب فى كل الاحوال حكومة لادو مباشرة .

العودة الى لادو عاصمة المديرية

وتلقى الحكمدار قبل مغادرته رومبيك خطابا من موسى بك شوقى (١) وكيل مديرية بحر الغزال يدعوه فيه للمجىء الى مديريته ليعينا بالاتفاق تخوم المديرتين . واجتاز أمين بك « خور التمساح » بعد أن مر بناحية « جوك مختار » Go'k Moukhtar وهى آخر محطة من محطات رول . وعلى بعد كيلومترين من عبور الخور المذكور قابل هو ومن معه موسى بك وكان قادما لمقابلتهم بالنيابة عن لبتون بك الذى كان قد توجه الى الخرطوم ليزور حكمدار السودان العام . وانتقل موسى بك وأمين بك معا الى « جوك حسن » حيث أقاما يومين وبعد أن عينا التخوم الفاصلة بين المديرتين قفلا راجعين .

وسلك الحكمدار أمين بك فى الاياب نفس الطريق التى سلكها فى الذهاب لغاية جوك مختار ومن هناك قرر السير فى طريق آخر ليمر بمحطات شتى ويستطلع أحوالها . فبدلا من أن يمروا برومبيك ولوا وجوههم شطر محطة « ليجى الصغيرة » Liggi الواقعة جنوب رومبيك . وأقاموا يومين فى ليجى ثم شخصوا منها الى « جوزا » Goza التابعة لمركز مكراكا . ومن جوزا اتجهوا الى « جندا » Ganda الواقعة ناحية الشرق . ولبث الحكمدار فيها ثمانية أيام لأنها وقعت من نفسه موقعا حسنا . وكانت هذه المحطة الصغيرة قائمة على مرتفع تصبو النفس كثيرا من أجله

(١) — أصله ضابط سوارى وأرسل الى السودان وتقلب فى عدة وظائف هناك ونال أخيرا رتبة الباشوية وكان فى الخرطوم مدة حصار المهديين لها وقتل عند سقوطها .

للاقامة فيها لاعتدال مناخها وطيب نباتهـا وعذوبة ماء جدولها وصفائه . ومن تلك المحطة انتقلوا الى « وانـدى » فبلغوها فى ظرف خمسة أيام ونزلوا فيها فى اكواخ من اكواخ الزنوج . ورحلوا بعد ذلك الى « أمادى » Amadi وهى محطة تابعة للادو وأقاموا فيها يومين . وفى هـذه المحطة ورد الى الحكمدار أمين بك خطاب من لبتون بك يخبره فيه بوصوله الى بحر الغزال وتعيين مركوبولو أخى مركوبولو بك سكرتير رءوف باشا وكيلا لمديرية خط الاستواء . وأطنب فى الثناء على هـذا الوكيل . ومما قاله فى هذا الخطاب ان شخصا يقال له محمد احمد ادعى بأنه المهدى ونشر راية العصيان فى وجه الحكومة وان محمد احمد هذا يسكن جزيرة أبا من اعمال مركز « كوى » Kawa ولديه عدد كبير من الأتباع يأتمرون بأمره .

وفى المساء قبل سفرهم من أمادى حدث خسوف جزئى للقمر وقبل دخول لادو بزمن يسير وردت له الانباء بوصول الباخرة « بردين » وعلى ظهرها مركوبولو وكيل المديرية الجديد . وقد أتى لمقابلة امين بك الذى كان قد قدم فى ١٩ ديسمبر . وعند وصوله قدمت له الجنود التحية العسكرية المعتادة .

وبعد أن استقر به المكان اطلع على المراسلات الواردة بالبريد فوجد بينها خطابا من رءوف باشا يدعوه فيه للحضور الى الخرطوم . هذا ، ولما كان الحكمدار امين بك ليس لديه شىء يحمله على الاسراع فى السفر ظل زهاء شهر فى لادو مشتغلا بتوزيع السلع التى وردت مع الباخرة « بردين » الى مختلف المراكز وتأدية الاعمال المعتادة فى

أنحاء المديرية .

وفى ٢٥ ديسمبر كتب امين بك رسالة الى الطبيب جونكر أحاطه فيها بوصوله الى لادو وبلغه ايضا الاخبار التى وردت له مع الباخرة « بردين » وأخبره ايضا بوصول وكيل المديرية الجديد وذكر ان هذا الوكيل غير متحل كليـة بشىء من الأهلية والجدارة وانه لم ينل مركزه إلا بسبب منصب أخيه الذى كان فيما سلف أمينـا لمخازن حملة سير صمويل بيكر . وطلب أيضا الحكمدار أمين بك من جونكر أن يتكرم بمراقبة بخيت بك بتراكى وقال انه غير مرتاح لأعمـال هذا الرجـل وأنه لم يبعث به الى ممبتـو إلا لأنه لم يجـد لديه شخصا أكثر منه كفاءة . وسأله عن ال ٤٠٠ رقيـق الذين استولوا على أوراق عتقهم فى ممبتـو وكانوا ضمن الزنوج الذين فى زريبة مـولى افندى فى « كانجو » Cango هل رجعـوا الى أوطانهم أم لا .

تقسيم الادارة والاراضى فى مديرية خط الاستواء

وذكر فيتـا حسّان فى الفصل الخامس والسابع من كتابه الآنف الذكر التقسيم الادارى فى هـذه المديرية وكذلك تقسيم أراضيهـا وترتيب قواتهـا العسكرية وسكانها وحالتها الماليـة . وهذه ترجمة ما قاله فى هذا الصدد :ـــ

كانت مـديرية خط الاستواء مقسمة فى عـام ١٨٨١ م الى ١٠ مراكز أو إدارات وكل إدارة منها تحتـوى على جمـلة محطات . وهـذه الادارات كانت تسمى مـديريات من عهـد حكمدارية غوردون باشا وكانت

قاعدتها العمومية لادو . وكان الرئيس يلقب بمدير عموم خط الاستواء . وكان عدد المحطات يبلغ ١٧٠ محطة . وهذا عدا القرى التي ليست بها حامية والقبائل التابعة للمديريات وكذلك القبائل المفروض عليها جزية .

وهذه هى إداراتها العشر :—

بور وهى قائمة على ضفة النيل الأبيض الشرقية .

لادو ، و كري ، و دوفيليه وكلها قائمة على ضفة النيل الأبيض الغربية .

فويرا ، و لاتوكا ، و فاديبك وكلها قائمة فى شرق النيل الأبيض .

رول ، و مكراكا ، و ممبتو أو جرجورو وهى واقعة غرب النيل الأبيض .

ويقع الحد الشمالى للمديرية عند محطة السوباط المسماة بالتوفيقية من عهد حكم سير صموئيل بيكر . ولم تنشأ هذه المحطة إلا ابتغاء توريد الاحطاب التى تلزم لوقود مراجل البواخر . وانفصلت هذه المحطة فيما بعد هى و محطة ناصر من مديرية خط الاستواء وألحقتا بمديرية فاشودة .

والمركز الأول (١) « بور » قاعدته فى القرية المسماة بهذا الاسم وموقعه شرق النيل الأبيض . وأرضه تحتوى على غابات فسيحة الأرجاء

(١) — ويعلم من هذا التقسيم ان المركز كان يسمى ادارة وان هذه المديرية كانت تسمى مديريات خط الاستواء .

مترامية الأطراف من خشب الابنوس وهى عامرة بسائر أنواع الحيوانات البرية . وهذا المركز ممتد كثيرا ويتصل بمركز لاتوكا غير ان سكانه قليلو العدد . وفيما عدا بور لا يوجد به أى محطة عسكرية أخرى . ويسمى سكانه « البوريين » Bòrs وهذا هو اسم نفس ذات البلد . إذ ان العادة المتبعة على وجه العموم فى السودان هى تسمية كل بلد باسم القبيلة التى تسكنه .

والبوريون هم فرع من الدنكاويين Dinks بخلاف جيرانهم التويتشيين Tuitchs وهم أصحاب بطش وبأس فى الحرب والمجالدة . ويشتغلون بحراثة الأرض للزراعة وعلى الأخص زراعة الذرة والسمسم والتبغ والقرع . ويميلون ميلا خاصا الى تربية المواشى لاسيما البقر ولهم قطعان كبيرة جمالها يلفت الانظار . أما عاداتهم واخلاقهم فهى مثل عادات الدنكاويين وأخلاقهم .

والمركز الثانى هو « لادو » وموقعه فى جنوب المركز الأول . و لادو هذه هى فى الوقت ذاته قاعدة الحكمدارية برمتها . وتتألف أرض هذا المركز بنوع أخص من سهل رملى قائم عليه جبلان أحدهما على مرحلة ٢٥ كيلومترا شمال غربى المدينة ويقطنه قبائل مستقلة . والثانى قرب محطة الرجاف ويقال له جبل الرجاف . وتبتدىء قرب محطة بيدن سلسلة جبال صغيرة تنتهى عند دوفيليه . وسكان هذا المركز هم من البارين ويتعاطون من الأعمال الزراعة وتربية الحيوانات على الأخص . وشأنهم فى ذلك شأن قبائل البور . وأنواع زرعهم هى الذرة الحمراء و السمسم و الفول و الفول السودانى ونوع من القرع يسمونه « اورچور » Urdjour . وعلاوة على

ما ذكر يقتنون قطعانا كثيرة من الضأن والثيران والماعز . ويقطن الباريون ضفتي النهر ابتداء من لادو لغاية محطة « خور اييو » Khor Ayu أي مدى ١٤٠ كيلومترا . والوان بشرتهم أقل سوادا من بشرة الدنكاويين . ومن عاداتهم اقتلاع الاربع الثنايا كالدنكاويين وأهالى مكراكا و مادى و شولى و ماجونجو و اللانجوس .

ورجال البارى العاديون لا يتزوجون إلا بامرأة واحدة أما كبراؤهم فيتزوجون بعدة نساء . وعندما ينوى احد منهم المبيت عند احداهن يغرس حربته امام بابها فتفهم المرأة وتستعد لمقابلة سيدها وربها . ويعقد عندهم الزواج بدون حضور موظف أو رجل من رجال الدين بل مثل جميع الزنوج بواسطة شبكة زواج وهذه الشبكة عبارة عن ماشية من مواشى الانعام عددها يزيد أو ينقص بحسب ثروة الاسرتين . وهذه الشبكة يقدمها الرجل لوالد الخطيبة . ويجب على هذا الاخير ان يرد هذه الشبكة الى صهره أو قيمتها اذا ماتت الزوجة بدون اولاد ولم يكن لديه ابنة أخرى يقدمها لصهره بدلا من المتوفاة . ولا تتألف شبكة المخطوبة من ماشية فحسب بل كثيرا ما تشتمل على بعض حراب وسهام حسب نص الشروط التى يكون قد اتفق عليها الطرفان . وتعتبر الذرية من البنات عند الباريين اعظم من البنين خلافا لعادة الشرقيين لأن البنت عند زواجها تجر لأهلها مغنما وعلى النقيض من ذلك الذكر فان أهله لا يرجون من ورائه شيئا .

ولا بد من ذكر ملح الطعام بين حاصلات مركز لادو فهو يوجد فى « أونجاتى » Unjati الواقعة قرب لادو . ولا يوجد فى سائر اراضى

خط الاستواء إلا ثلاث ملاحات هى : « أونجاتى » وهى فى المديرية المصرية ، و « كيبيرو » Kibiro ، و « أوزونجورا » Usongora وهما فى بلاد الأونيورو .

ويستخرج من ملاحة أونجاتى مقادير وافرة من الملح تفى بحاجات جميع سكان مديريتى بحر الغزال وخط الاستواء . ويستبدل الأهالى بسائر الحاصلات وجميع أنواع الماشية الملح وهو مصدر إيراد هام للحكومة .

ويوجد كذلك بكثرة فى محطات كري الشجر الذى يستخرج منه الشحم النباتى . وأهم محطات مركز لادو العسكرية هى : غندوكورو ، و الرجاف ، و بيدن .

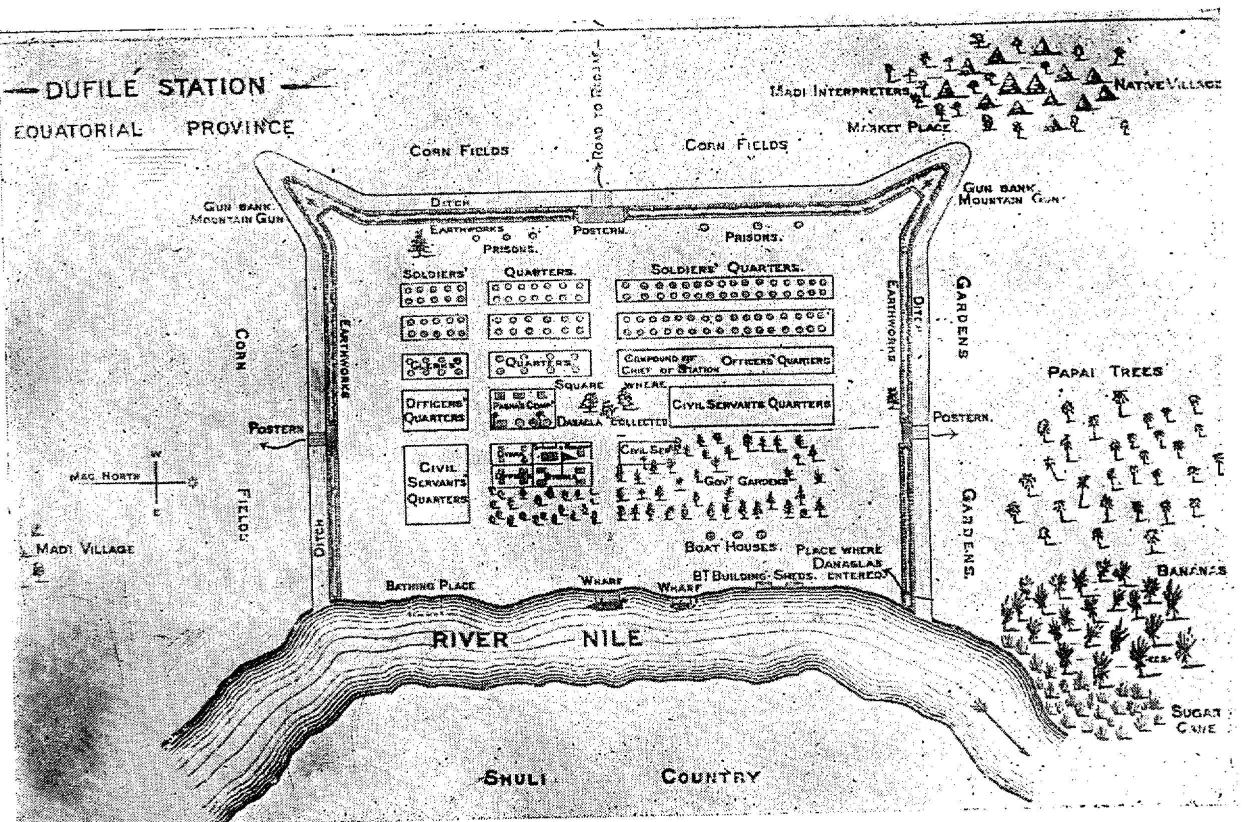
والمركز الثالث كرى وموقعه شرق النهر بين لادو و دوفيليه وهو عبارة عن سلسلة جبال متصلة تقريبا ببعضها ويقطنه الباريون السود . ويعمل هؤلاء نفس الأعمال التى يشتغل بها سكان لادو . ولا بد أيضا من التنويه بذكر الزيت النباتى ثم الذرة والسمسم والفول بين مختلف حاصلات هذا المركز .

ويلحق بالمركز السالف الذكر ثلاث محطات عسكرية كبرى وهى : خور أيبو ، و لابوريه ، و موجى .

والمركز الرابع وهو دوفيليه واقع شرق النهر فى جنوب المركز السابق الذكر . وقرية دوفيليه التى بها قاعدة المركز هى أهم سائر محطات مديرية خط الاستواء بعد لادو وهى النقطة التى يبتدىء منها الابحار

لغاية بحـــيرة البرت نيانزا . وتيار شلالات فـــولا السريع يحول دون نزول المراكب أبعد من هذه النقطة ويوجـد فى دوفيليـه ترسانة للباخرتين النهريتين « الخـــديو » و « نيانزا » وهـــذه الترسانة معـدة أيضا لتصليح الباقى من المراكب . وأراضى هـــذا المركز بنوع أخص جبلية ويتألف سكانه من الشوليـين ومقـــرهم شرق النهـر ومن المـــاديين والـكوتويين والـكوكويين ومقرهم فى الغـــرب . ويشتغلون على الأخص بزراعة الذرة والسمسم والتبغ . والماشية فى هـــذا البلد قليلة . وتضم أراضيه فى شرق النيل كل بلاد الماديين وقسما من أراضى الشوليين . وفى غرب النهـر يقوم جبلا ميتو Mitü وكوكو Kuku .

وأولئك الأقوام الرحـل وإن كانوا يختلفـون اختـــلافا بينـا فى الجنس واللغة فهم يتباينـون تباينـــا قليلا فى الشكل . فصورة المادى تشبـه صورة البارى إلا أنه أضخم منـــه جسما ولا يستعمل الحلاقة وهـو أيضا مكسال ومتواكل . ومحصوله من الزراعة تافه قليل لا يـكاد يفى بحاجته بل لا يمكنه من سداد الجزية المضروبة عليه للحكومة والماديون لا يميلون للحروب إلا قليـــلا . وهم فى ذلك على النقيض من جيرانهم المـــاتويين ذوى البسالة والاقـــدام ولا بد من ملاحظة بون شاسع بين هؤلاء ورجال الكوكو مـــع ان المسافة الفاصلة بين هـــاتين القبيلتين تكاد تنحصر فى بعض كيلومترات قليـــلة . فصورة الرجل الكوكو أحسن فى الظاهـر من صورة الرجل الميتو وهى تذكر المرء الذى يقع بصره عليها بصورة الدنكاوى غـير ان طبـاعه توافق طباع القبائل الاخرى وفى الحـروب لا يمتاز عن هـــذه القبائل ويتفق الجميع فى الاخلاق والعادات . وكانت هذه الأقوام الرحل مياسير ولديهم من قطعان الأنعام الشىء الوافر الجزيل وذلك قبـــل



خريطة محطة دوفيليـــــه العسكرية

أن يظهر فى بلادهم التجـــار الذين قدمـوا اليهــــا قبل احتلال المصريين للمديرية .

وكانت الثيران تعـد عندهم بالالوف فى أصغر قرية . وفى أول عهـــد الفتح كانت الجنود تعود من غزواتهــــا للقبائل المتمردة ومعها من الاسلاب ١٠٠٠٠ ثور تحصل عليها بلا عناء . إلا أنه من وقتما عملت فى تلك الأقصاع يد التاجر سلبا ونهبا متواصلا وقعت فى أنيــــاب الفقر والمتربة . ويمهـــر رجال الطبقـة الفقيرة خطيباتهم بشىء من السمك اذا لم يكن لديهم ماشية ولا سلاح . وعندئذ يتعهد الخاطب بخـــدمة حميه ويشتغل فى صيد الأسماك زمنا ما لسداد ما عليه من المهر .

وتنحصر صناعة أهالى مركز دوفيليـه فى استخراج المعادن وتنقيتها ومع ذلك لم يصلوا الى درجة البارين أو سكان ممبتو فى المهــــارة . ولم تتعـد مصانعهم دور الطفـــولة . ويشتغل الصانع تحت سقف تحمله أربع قـوائم . ويحمى الحديد فى نار وقودها الخشب وتظل هــــذه النار موقدة على الدوام ويخرجـونه منها بواسطة كماشات مصنوعـة من الخشب الأخضر ويطرقـونه بين أحجار ضخمـة يستعمل واحـــد منها سندانا وآخر مطرقة . وصــــبر الزنجى وأناته حلا محـــل نقص الآلات ومكناه من انجاز اشغــــال كان يقـدر استحالة انجازهــــا بآلات بسيطة كهذه . وتوصـل السودانى الى اتقـان كثير من الادوات مثـــل السلاح ومواعـين الطبخ اتقـانا لا بأس به .

والمحطات العسكرية الأكثر أهميـــة التابعـة لمركز دوفيليـه هى : فابـــو ، و فاتيكو ، و وادلاى . ويعمر هـذه المحطة الأخيرة قوم يقال

لهم اللوريون .

والمركز الخامس فويرا وهو واقع شرق دوفيليه وأعلى منهـا مسافة قليلة ويكون تخوم مديرية خط الاستواء الجنوبية . وفيما وراء هـذه التخوم يوجد بلد الأونيورو وملكه كباريجا . وقاعدة هذا المركز فويرا . والمحطة الحربية الوحيدة الملحقة به هي فودا . وكان هذا المركز في الزمن الذى سلف أكثر امتدادا نحـو الجنوب وكان ملحقا به بصفة محطات عسكرية مرولى ، و مازندى ، و اوروندوجانى ، و ماجونجو ، و كيروتو ، و فاكوفيا ، و كيبرو إلا أن هـذه المحطات صار اخلاؤها بأمر غوردون باشا ولم يعد احتلالها بعد ذلك مرة اخرى .

وأكثر أراضى فويرا جبلية ويعمرها قبائل الماجونجـو و العاميرا . أما مزروعاتها فهي التبغ بكميات وافرة والفول والعدس والذرة . وهـذا النوع الأخير هو أهم الحاصلات للأراضى فى كل ناحية . وتقتنى هـذه القبائل كثيرا من الثيران ويربون النحل . وشرعوا فى زراعة المـوز فى أراضى فويرا وهذا النوع لا يعد نعمة جزيلة تعم الأهالي فحسب بل فائدته تعود أكثر على عابري السبيل .

والمركز السادس لاتوكا . وهـذا المركز تفقد أمين بك حالته فى خلال هـذا العام . ويكفى هنا القول إن لاتوكا بلا مراء جنة افريقية . وأراضيها أكثرها جبلية إلا أنه اينما ذهب الانسان لا تقع عينه فيها تقريبا إلا على ترب مجلل بالنبت الوافر . وأهم المحطات العسكرية التابعة لهـذا المركز هى : أوكلو Okello ، و ترانجول ، و ابوريه Oburé ، و عبو .

والمركز السابع هو فاديبك وموقعه بين لاتوكا و فوبرا . وأراضى هذا المركز جبلية ويسكنها قبيلة الشولى . وحاصلاته هى تقريبا نفس حاصلات المراكز الاخرى . ويمتاز سكانه الشوليون بالجرأة والاقدام فى الحروب والقنص والمهارة فى الزراعة . ويزرعون الأرض بعناية خاصة فتدر عليهم الخيرات الوافرة . وتعوض عليهم جزاء مجهوداتهم ثمارا لا يتوصل الى جنى نظيرها أية أمة اخرى . وقد يحصدون فى بعض المرات محصولا كبيرا فيزيد عن حاجاتهم ويفسد فى البيادر فيضطرون الى رميه . ولا يقتنى الشوليون كثيرا من الحيوانات الأليفة إذ انهم يمتارون باللحوم التى تسد حاجاتهم من قطعان الزرافى والجاموس البرى والغزلان والافيال والاوعال التى تعيش فى الغابات وذلك باقتناصها وتقديد لحومها وحفظها .

ولازم الشوليون على الدوام الاخلاص للحكومة من وقتما احتلت جنودها بلدهم وقلما كانت ترى نفسها فى حاجة الى اخماد ثورة فيها . وهذا على النقيض من جيرانهم اللانجويين الذين التزموا خطة العصيان ولم تتمكن الحكومة من اخضاعهم . وكانت تحمل عليهم من وقت الى آخر بجنودها بدون أن تجنى من وراء ذلك ثمرة اللهم إلا الاستيلاء على بعض الحمير من مراعيها . وتنحصر انعام اللانجويين فى قطعان هائلة من هذه الحمر ولون هذا الضرب من الحمير أشهب ويمتد على طول ظهورها خط اسود . وتحل عندهم محل البقر الذى يوشك أن يكون معدوما فى بلادهم . ويتخذ اللانجويون حاجاتهم من اللحوم والألبان من تلك الحمر . ومن غير المستطاع ركوب هذه الحيوانات وذلك لعدم تعويدها على هذا الأمر .

ولقد أمكن استعمال الحمر الصغيرة السن فقط من بين الحمر التى غنمتها الجنـود فى غزواتها فأتت بخدمات جليـلة بعد تدريبها . أما جميع المحاولات التى بذلت فى سبيل ركوب المتقدم منها فى السن فقد ذهبت هباء منثورا ولم تأت بفائدة ما . فلا المهماز ولا العصا استطاعا أن يجعلاهـا تخطو خطوة حتى لكأنها كانت تفضل الموت وهى واقفة فى أماكنها على أن تتزحزح .

واللانجويون هم قوم يجنحون للحرب والكفاح الى أبعد حد . ورغما عن الغارات المتعددة التى قامت بهـا جنود الحكومة لقصاصهم لم تتوصل قط الى اعتقال واحـد من محاربيهم . ومع انه كان يوجـد فى صفوف جنود الحكومة زنوج من سائر القبائل فما كان يرى حتى ولا واحد من اللانجويين بين الجنود أو الأسرى .

ولا يلحق بمركز فاديبك هـذا من المحطات العسكرية إلا محطتان اثنتان هما « لابور » و « جالى » Galli .

والمركز الثامن وهـو رول يشتمل على الأراضى الواقعـة غرب النيل الأبيض لغاية مديرية بحر الغزال . وهـذا المركز أهم مركـز فى المديرية وهـو حافـل بعدد كبير جـدا من السكان . أما العشائر الضاربة فى وديانه فهى قبائل الاجارية Les Agars ، و الجوكية Les Goks ، و الاتووتية Les Atwots ، و البيلوية Les Belus ، و النتوية Les Netus وكل هذه القبائل تابعة لقبيلة الدنكا أو جانجيه Jangés الكبيرة .

والسلالة الدنكاوية هى أجمـل سائر سلالات الزنوج ذاتا واشرفها حسبا . وتنقسم هذه القبيلة الى قسمين . الدنكة أو الجانجيـه وهؤلاء نازلون

فى شمال مديرية خط الاستواء وفى مديرية بحر الغزال . والدنكة السجيحة Sagiha ويسكنون مع النوير و الشلوك فى مديرية فاشودة .

والدنكة قوم أصحاب حرب وجلاد وهم نوابغ فى الصيد والقنص ولهم ولع بالأعمال الزراعية ومن مزروعاتهم الفول السودانى وأنواع منوعة من الذرة والفول . ويتأنق الدنكاويون فى ملبسهم وطعامهم وهم فى ذلك على نقيض جيرانهم . وأخص غذائهم اللبن والشهد والدقيق والذرة والفول والزيت المستخرج من الفول السودانى وقليلا ما يتناولون اللحوم . وتراعى النساء فى طهى الطعام النظافة والترتيب .

وذكر فيتا حسّان انه كان لا يخشى أن يقيم بمنزل رجل من رجال هذه القبيلة بل كان لا يهاب من أن يتناول الطعام مع أحدهم . وتتشح النساء المتزوجات بجلد مدبوغ من جلود الأغنام فيوارين به سوآتهن . أما قبل الزواج فتعيش الفتاة عارية . واذا خانت زوجة بعلها فهذا يقتل الذى انتهك حرمته ويرد زوجه الى أهلها بدون أن يلحق بها أى أذى حتى ولو كانت شريكة الجانى فى الجريمة لأنه يعتبرها مخلوقا ضعيفا قد يستسلم أمام القوة أو يسقط أمام نزغات النفس وعلى ذلك يعدها أهلا للمعذرة .

وقد صيرت المزارع الشاسعة المتنوعة المحصول والقطعان الكثيرة التى لا عدد لها وحاصلات العاج الجسيمة مركز رول من مراكز خط الاستواء الكثيرة الاهمية . وأراضى هذا المركز هى عبارة عن سهل فسيح الارجاء تقطعه جداول عديدة ماؤها رائق سائغ الشراب . ويشتغل الأهالى بالزراعة وتربية الماشية واقتناص الفيلة .

ومحطات هذا المركز العسكرية المهمة هى : اجاك وهذه قاعدة المركز و شمبي ، و رومبيك ، و بـــوفى Bufi ، و صيادين Sayadin ، و ليسى Lessi ، و أفارد Affard ، و الجوك مختار El Gòk Moukhtar .

والمركز التاسع وهو مكراكا يشمل جميع البقعة الواقعة جنوب مركز رول لغاية ممبتو (جورجورو) . وهذا المركز كثير الجبال غزير الماء وافرها لدرجـــة خارقة للعادة . واسم الأهـــالى كاسم الناحيـة . وهم منقسمون الى قبائل صغيرة كثيرة العـدد ولا يشبه رجال قبيلة منهم رجال القبيلة الاخرى . وتنحصر أعمـــال أهالى مكراكا تقريبا فى الزراعة ولا يميلون الى القنص إلا قليلا . أما الأنعام فليس لديهم منهـــا إلا الشيء التافه . ويتغذون بأقل من القليل حتى انهم ليقنعون بقبضـة من الذرة . وهم قـــوم لطاف دمثو الاخـــلاق يجنحون الى الطاعة .

وذكر فيتا حسّان انه لم يطرق مسامعه طيلة المدة التى أقامها وهى عشر سنوات ان أهالى مكراكا كدروا مرة صفو الحكومة أو جـروا عليها متاعب . والمكراكاويون يمتون فى الجنسية الى النيام نيام جيرانهم ، واجسامهم وطباعهم تعيد الى الذاكرة ذكرى هؤلاء . والمكراكاويون هم ايضا من آكلى لحوم البشر مثل النيام نيام إلا انهم يقلون عنهم فى ذلك درجة لتدخل الحكومة واستعمالها الشدة مع آكلى لحوم الانسان . وتلتزم النساء بحراسة اولادهن ورعايتهم بعين ساهرة عندما يسلم حمالو مكراكا حبوبا أو عاجا الى محطة من المحطات حتى انهن ليتركنهم رهن أكواخهن الى ان يسافر أولئك الحمالون . وكان يلاحظ اختفاء أولاد فى كل مرة يقدم فيها حمالو مكراكا رغما عن السهر الشديد على أولئك الاولاد

ولا تتمكن الحكومة من العثور على الجناة . وكان يعثر فى بعض الاوقات على فخذ أو ذراع فى جراب رجل من المكاركة . وكان كثيرا ما ترى عظام بشرية معروقة فى المحال التى كان ينزل فيها هؤلاء .
ولما كانت الحكومة تجند منهم عسكرا كان اقبالهم على التغذية بلحوم البشر يقل بسبب وفرة اللحوم من جهة وصعوبة الحصول على اللحم البشرى فى محطة من محطات الحكومة من جهة أخرى . ورغما عن ان المكاركة هم من آكلى لحوم البشر يوجد فيهم الحياء أكثر من الزنوج الآخرين ولهذا يبذلون كل ما فى وسعهم للحصول على بعض أطمار يسترون بها عوراتهم . وعندما يأتون الى محطة من محطات الحكومة لدفع الجزية المضروبة عليهم يجعلون قبلة انظارهم الحصول على شىء يمكنهم استبدال قطعة من النسيج به يوارون بها سوآتهم فى الحال .
وهم لا يميلون لتكبد متاعب الاشغال ولا لأخطار القنص غير انهم مع ذلك لم يكونوا معدودين من سقط الجند . نعم ليس لهم ذلك النشاط الذى يمتاز به الزنوج الآخرون إلا انهم لم يكونوا أقل من هؤلاء حركة وهم يكلفون أنفسهم بأى عمل كان . ولهذه الأسباب كون أمين بك جنود الحكمدارية من المكراكاويين دون سواهم تقريبا .

وأهم محطات هذا المركز العسكرية هى : كابايندى وهذه عاصمة المركز ، و واندى ، و كودورما Kudurma ، و مدرفى Mdirfi ، و ريمو Rimo ، و مكراكا الصغيرة ، و جوزا Gosa ، و كاليكا Kalika ، و واتاكو Watako ، و كوروبيك Korobek ، و جاندا Ganda ، و أومبمبا Ombimba ، و موجوما Muguma ، و دانجو Dango ، و دانجو الكبير .

والمركز العاشر وهـــو ممبتو أو جورجورو واسع ممتـــد الأطراف يتصل تقريبا ببلاد نهر الكونجو ولا يفصله عنها سوى لسان تعـــلوه الغابات عرضه عشرون كيلومترا . وتمتلك الحكومة المصرية فوق ذلك جزءا من هذا اللسان ، وأخضع حـــواش افندى منتصر أقزام أكا Akka لغاية مسيرة خمسة عشر يوما فى الغـــابة . وهـذا المركز هـو الوحيـد فى خط الاستواء الذى لم تطأه أقدام فيتا حسّان . أما ما رواه عنـــه فاستقاه من صديقه ورفيقه حواش افندى منتصر الذى أقام فيه ثلاث سنوات متوليا رياسته واستفاد الطبيب جونكر من رياسة حواش افندى لهـــذا المركز أكبر فائدة .

ويعمر هـــذا المركز النيام نيام و المبتـو وهم من آكلى لحوم البشر . فالأولون ضاربون فى القسم الشمالى وفى جنوب مديرية بحـــر الغـزال . أما المبتو فيشغلون جميع جنوب المركز لغاية حـــدود الغابة . وهذه هى الغابة الكبيرة التى سيجتاز أرضهـــا استانلى عند توجهـه لاخراج أمين باشا من المديرية كما سيمر ذكره فيما بعد . وتنقسم هاتان القبيلتان الى فصائل شتى كل طائفة منها تسمى باسم كبيرها . وأهم طعامهم المـوز ولديهم منه غـابات ويزرعون أيضا الذرة الصفراء والبيضاء غـــير أنهم لا يزرعون منهـا إلا قليلا بحيث ان ما يحصلون عليـه من محصولها يكاد لا يكفى إلا ما يلـزم لصنع المريسة .. وتستدعى زراعـة الذرة البيضاء قليـلا من العناية ومـع هـذا تأتى بمحصول يزيـد عشر مرات على محصول الذرة الصفـراء . ويرجـع الفضل فى استيراد ذلك النوع الى البـــلد الى نشاط حواش افنـدى منتصر المتواصل وتوقـد ذكائه وأصالة رأيه وهـــو الذى أدخل كذلك اليها زراعة أشجار

البرتقــــال والليمونـ ومختلف أنواع الخضر والتبغ الذى استحضر بذوره من القضارف من أعمال مديرية كسلا .

ونوع الثيران ليس له شبح فى هـــــذا المركز وسكانه لا يعرفون له شكلا ويتخذون طعامهم من اللحوم مما يذبحونه من الضأن والماعز . ونوع هـذا الحيوان الأخير هو غـــير النوع الموجـود فى باقى أراضى خط الاستواء ويمتاز على الخصوص بطول شعره .

ومع ان الحيوانات نادرة الوجود فى هذا المركز فان الاهالى لا يتمنعون عن الاستمتاع باكل لحومها . ورغمـــا عن الصرامـة والشدة التى تستعملها الحكومة فان أولئك المخلوقات لا يقلعون عن أكل لحوم الانسان .

ولا يقتلـع اناس النيام نيـــام وممبتو ثناياهم مثلمـــا يفعل أغلب زنوج السودان بل يبقونها ويبردونها ويتركون لها رؤوسا مدببـة حاده . وهكذا يفعل أيضا بعض المكاركة .

وأهم محطات هـــذا المركز العسكرية هى : تنجازى ، و كوبى و أونيبورون Uniboron ، و ميبريا Mperia ، و جانجا Ganga ، و رينسى Rensi ، و مسوه Maswa .

القـــوات العسكرية

كان يوجد على رأس كل مركز من مراكز مـــديرية خط الاستواء رئيس ملكى أو عسكرى يلقب بمأمور الادارة وله حامية يختلف عددهـــا باختلاف أهميته أو مقدرة سكانه فى الحروب . وتتألف هـذه الحامية من ثلاثة عناصر وهى :ـــ

١ ـــ جنود نظامية من السودانيين .

٢ ـــ الخطرية (المتطوعون) .

٣ ـــ التراجمة وكان هؤلاء فى الأصل زنوجا يقومون بوظيفة الترجمـــة أو يتخذون وسطاء فيما بين الحكومة والاهالى وآل الأمر فيما بعد الى أن يؤلف منهم جنود منظمة .

وكان عدد القوات العسكرية فى المراكز عام ١٨٨١ م وتوزيعها كالآتى :

	جنود نظامية	خطرية	تراجمة
بـــور	١٢٠	٠٠٠	٤٠
لادو	٣٠٠	٠٠٠	٧٠
كري	٧٠	٠٠٠	١٠
دوفيليـه	١٧٠	٠٠٠	٣٠
	٦٦٠	٠٠٠	١٥٠

	جنود نظامية	خطرية	تراجمة
ماقبـــــله	٦٦٠	...	١٥٠
فـــــويرا	٦٠	...	٢٠
لاتوكا	...	٢٠٠	٢٠
فاديبـك	...	١٧٠	٤٠
مكراكا	٦٠	١٠٠	١٠٠
رول	١٣٠	...	٤٠
بمبتـــــو	٨٠	٧٠	٣٠
	٩٩٠	٥٤٠	٤٠٠

وتجند العساكر النظاميـة من بين الأهـالى ويتلقـون دروسا فى النظام العسكرى وأصول الحرب وكسوتهم ومؤونتهم على نفقـة الحكومـة ويصرف لكل منهم غير ما ذكر ٢٠ قرشا شهريا .

أما الخطرية فهم من متطوعى العرب ويقـال لهـم أيضا الدناقـلة لأن أغلبهم من رجال مديرية دنقـلة . وهؤلاء مسلحون بينـادق بكبسول تصرف لهم من الحكومـة وراتبهم الشهـرى ١٠٠ قرش غـير انهم لا يأخـذون جراية ولا كسوة .

والـــــتراجمة هم من متطوعى الزنوج . وسلاحهم كسلاح الخطـرية ولا يصرف لهم من المـــــؤونة إلا اللحم والذرة ويستولون كذلك على مرتب قـدره ٢٠ قرشا شهريا . ويوكل الى هـؤلاء على الأخص حراسة الـــــبريد والمواصـلات بين مختلف المراكز والادارة العموميـــــة فى لادو . وفى حـالة

حدوث خطر تنضم جنود التراجمة الى العساكر النظامية فيمتازون بالبلاء الحسن والشجاعة العظيمة . ولما أغار الدراويش بعد بقيادة الأمير كرم الله دعت الحالة للانسحاب نحو الجنوب وتجمعت الجنود فى بعض المواقع وزيد عدد النظامية فبلغ ١٦٠٠ وقسم هذا العدد الى أورطتين .

وكانت هذه الجنود تكفى لحفظ النظام واستتباب الأمن بين سكان مديرية خط الاستواء الذين يقدر عددهم ب ١٥٠٠٠٠٠ نسمة ـ وكان من بين هؤلاء ٥٠٠٠٠٠ خاضعين لسيطرة الحكومة . وهذا أمر يمكن ادراكه بسهولة اذا علمنا ان الأهالى منقسمون الى عدد عديد من القبائل المختلفة الأجناس وان الحروب لا تنقطع بينها .

الأهـــــــــالى

بيان موجز باحصاء الزنوج الخاضعين لسلطة الحكومة وكل عشيرة وبلد فيه على حدة وذلك بوجه التقريب :ـــ

العشائـــــــر	البـــــــلد	العـــدد
الدنكا أو الجانجيه	رول ، و بـــــــور	١٠٠٠٠٠
المكــــــراكا	المكــــــراكا	٥٠٠٠٠
الممبتـــــــو	ممبتـــــــو	١٠٠٠٠٠
بـــــــور	بـــــــور	٢٠٠٠٠
بـــــــارى	لادو ، و كري ، و مكراكا	١٠٠٠٠٠
مادى ، و شولى	دوفيليه ، و فاديك ، و فاتيكو	٤٠٠٠٠
ماجونجـــــــو	فورا ، و وادلاى ، و فودا	٣٠٠٠٠
لـــــــور	وادلاى	٤٠٠٠٠
اللاتـــــــوكا	لاتوكا	٢٠٠٠٠
		٥٠٠٠٠٠

الحـــالة المـــالية

أما حالة الحكمدارية المالية فكانت ميزانية المصروفات كالآتى :ـــ

راتب الحكمــــدار	٦٠٠	جنيه مصرى
« وكيل الحكمــــدار	٣٦٠	«
« قائـــد الجنـــود	٣٦٠	«
« القـــاضى	١٢٠	«
رواتب موظفين ملكـــيين	٤٣٠٠	«
« موظفى الأمـور الصحيـة	٢٠٠	«
« الجنـــود	٥١٠٠	«
	١١٠٤٠	

وهـذه القيمة البالغة ١١٠٤٠ جنيها مصريا تنزل فى الواقع ونفس الأمر الى ٨٠٠٠ جنيـه اذا أوضحنا كيفيـة احتسابها بل فى الاستطاعة اعتبار كل هـذه المصروفات صفرا إذ أن اللوازم الاكثر أهميـة وكذلك وسائل المعيشة كانت ملقاة على كاهل الحكمدارية بصفة جزية أى تؤخـذ مجانا وكأنها مبيعة من الحكومة للموظفين ورجال العسكرية . حتى لو قدرنا ان هذه الاحد عشر الف جنيه منصرفة حقا وصدقا فان الايرادات تغطيها وتزيد عنها زيادة كبيرة وأيضا لأنها كانت تأتى من كل جانب والفضل يرجـــع فى ذلك الى التنسيقات الجديدة التى أجراها الحكمدار أمين بك .

وميزانية ايرادات كل مركز من صنف العاج كانت كالآتى :ـــ

اسماء المراكز	المقادير بالقنطار
بـــــور	١٠٠
لادو	٦٠
كـــــري	٢٠
دوفيليـــــه	١٥٠
فـــــويرا	٢٠
لاتـــــوكا	٢٠٠
فاديبـــــك	٥٠
مكـــــراكا	٥٠٠
رول	٢٠٠
ممبتـــــو	٤٠٠
	١٧٠٠

وثمن ال ١٧٠٠ قنطـــار هذه بواقع ثمن القنطار الواحد ٣٠ جنيهـــا يبلغ ٥١٠٠٠ جنيه مصرى وبطرح مبلغ ١٠٠٠ جنيه منه وهو ثمن بضع هدايا للزنوج يكون الصافى مبلغ ٥٠٠٠٠ جنيه مصرى .

ويجبى من مراكز بور ، و دوفيليـه ، و فـويرا ، و لاتوكا ، و فاديبك بصفة جزية المبالغ الآتية على وجه التقريب :ـــ

ثمن ٤٠٠ رطل من ريش النعام بواقع ثمن الرطل الواحد ٢ ج. م — ٨٠٠ جنيه مصرى

ما قبـــله	٨٠٠ جنيه مصرى	
ثمن ٥٠٠٠ جلد من جلود الثيران بواقع ثمن الجلد الواحد ٤ قروش	٢٠٠	»
الجمـــلة	١٠٠٠	

وهذه الاثمان حددتها حكومة لادو . وقد يجوز لدى بيع هذه السلع سواء أكان ذلك فى الخرطوم أم فى ديار مصر أن يحصل من بيعها على اثمان تزيد على هذه الاثمان .

ويمكن اضافة المطاط وزيت النخل الى حاصلات هـــذه المنطقة . ويرد هـــذان الصنفان من ممبتو . وعندما سافر أمين بك فى مايو سنة ١٨٨٢ م الى الخرطـــوم عرض عليه المستر ماركيت ٤ ج . م ثمنا للقنطار من المطاط و ٤½ ج. م ثمنا للقنطار من زيت النخل . وكان قصده من شرائها تصديرهما الى بلاد الانكليز لصناعة الصابون المعطر الجيد من الصنف الأخير . ولم يحصل من المطاط إلا على ٤٠٠ قنطار غير أنه كان فى حيز الاستطاعة الحصول على أزيد من ١٠٠٠ قنطار سنويا لو لم تكن التجارة قد اعتراها الكساد لانقطاع المراسلات مع الخرطوم بسبب الثورة المهدية .

وكانت الذرة قبل تعيين أمـــين بك حكمدارا عاما توردها لموظفى الحكمدارية حكومة الخرطوم فرفع هـــذا مقدار الجزية النوعية وعلى وجه أخص ما كان يورد من الذرة . وعلى ذلك لم تكن الحكمدارية فى غير حاجة الى الحصول على ما كان يرسل اليها منه من الخرطوم فحسب بل أصبح فى استطاعتها أن تصدر حبوبا اذا لم تكن تكاليف النقل باهظة

لدرجة قصوى .

ومما تقـــدم يتضح أن الحكمدارية كانت تحصل من باب الجزية علاوة على العاج وريش النعام على جزية نوعيـة من الفول والسمسم والشهد والزيت النباتى والفـــول السودانى والتبغ وبوجـــه أخص على قدر كبير من الذرة .

وهذا بيان موجز للحاصلات النوعية التى ترد لها من كل مركز :ــ

المركـز	الحاصـــــــــــــلات			
	ذرة	فول سودانى	سمسم	فول
	اردب	اردب	اردب	اردب
بور	١٢٠٠			٢٠٠
لادو	٣٥٠٠	١٠٠	١٥٠	١٠٠
كري	٥٠٠	٤٠٠	٣٠٠	٥٠٠
دوفيليه	٤٥٠٠		٣٠٠	٣٠٠
فوريا	٤٠٠		٥٠	
لاتوكا	١٠٠			
فاديبك	١٠٠٠		١٠٠	١٠٠
مكراكا	٧٠٠٠		٧٠٠	٣٠٠
رول	٤٠٠٠	٢٠٠	١٠٠	٢٠٠
ممبتـــو	٢٠٠			
الجمـــلة	٢٢٤٠٠	٧٠٠	١٧٠٠	١٧٠٠

(تابع) الحاصلات النوعية

المركز	الحاصلات			
	شهد	زيت	زيت نباتي	تبغ
	رطل	رطل	رطل	قنطار
بور	٦٠٠	٦٠٠		
لادو	١٢٠٠	٦٠٠	١٢٠٠	
كري	٦٠٠	٩٠٠		
دوفيليه	١٨٠٠	٢٤٠٠	٦٠٠	٢٠
فوريا				
لاتوكا				
فاديك	١٢٠٠	١٢٠٠	٦٠٠	
مكراكا	١٢٠٠	٢٤٠٠		
رول	١٨٠٠	١٨٠٠		
ممبتو			٢٤٠٠	
الجملة	٨٤٠٠	٩٩٠٠	٤٨٠٠	٢٠

وثمن هذه الحاصلات كالآتى :ـــ

الصنف	المقدار	السعر	جملة الثمن بالقروش
ذرة	٢٢٤٠٠ اردب	٣٠ قرش الاردب	٦٧٢٠٠٠
فول سودانى	٧٠٠ «	٣٠ »	٢١٠٠٠
سمسم	١٧٠٠ »	٦٠ »	١٠٢٠٠٠
فـول	١٧٠٠ »	٢٥ »	٤٢٥٠٠
شهد	٨٤٠٠ رطل	١½ قرش الرطل	١٢٦٠٠
زيت	٩٩٠٠ »	١¼ »	١٢٣٧٥
زيت نباتى	٤٨٠٠ »	١¼ »	٦٠٠٠
تبغ	٢٠ قنطارا	٣٢٥ قرش القنطار	٦٥٠٠
		الجملة	٨٧٤٩٧٥

وعلى هذا يكون اجمال ايرادات الحكمدارية كالآتى :ـــ

جنيه مصرى	
٥٠٠٠٠	عـاج
٨٠٠	ريش النعام
٢٠٠	جلود ثيران
٨٧٥٠	حاصلات نوعية
٥٩٧٥٠	الجملة

وقد كان اجمال ايرادات ومصروفات الحكمدارية عام ١٨٨١ م كالآتى :ـــ

جنيه مصرى	
٥٩٧٥٢	ايـــــرادات
١١٠٤٠	مصـــــروفات
٤٨٧١٢	صافى الدخل

وهـذه المبالغ خاصة بالزمن الذى كانت فيه العلائق مع الخرطوم لم تزل منتظمـة . ولقد كان فى حيز الامكان مضاعفتها بدون مغالاة اذا كانت هذه العلاقات لم تنقطع وتمكن الحكمدار أمين بك من تحقيق مشروعه الذى يرمى الى امتداد أطراف مديريته .

ويستطيع المرء لدى فحصه هـــذه الارقام أن يدرك بسهولة السر فى كيفية تمكن هـذه الحكمدارية من سد حاجاتهـــا من نفس حاصلاتهـــا زهـــاء ست سنوات عند انقطاع المواصلات مع باقى العـــالم . والارقام المذكورة آنفا تبين المقادير المفروضة على الاهـــالى بصفـة جزية . وبهـــذه المقادير وبما يتسلمه الموظفون من الحاصلات الزراعية فى مختلف المحطات تسد الحكمدارية حاجاتها على ما يرام . وعلاوة على ما ذكر فانه لو فرض على الاهالى جزية تربو على التى فرضت عليهم لاستطاعوا أن يؤدوا أربعـة أمثالها بسهولة .

والمقادير التى سلف ذكرها هى التى كان رؤساء القبائل يوردونها جهارا الى ادارة المركز الذى هم تابعون له .

والارقام التى سبق تدوينها برهان ساطع على الرخاء والعمار الضارب اطنابه فى أرجاء مديرية خط الاستواء . ويستطيع المرء أن يذكر علاوة على ما سبق أنه لو كانت حكومة أمين بك قد وجدت الوقت الكافى لتنفيذ مشاريع الاصلاح والتحسين الخاص بانتشار الزراعة واحياء الصناعة لاستطاعت هذه الحكمدارية على كل حال تموين سكان يزيدون عن الموجودين بها ثلاث أو أربع مرات إن لم نقل انه قد يكون فى استطاعتها امداد أسواق اخرى بحاصلاتها . ويتكون نصف هذه المديرية المتسعة الأرجاء المترامية الأطراف الذى يبلغ مسطحه تقريبا مساحة القطر المصرى برمته . من أراض صالحة للزراعة والفلاحة بل يزرع فى جبال لاتوكا و بارى ذات الأراضى الصخرية أجود انواع الذرة والدخن .

وأينما سرت فى أرجاء هذه المديرية تجد الماء وعلاوة على روافد النيل الأبيض المتعددة يوجد عند الحفر تحت سطح الأرض فى بعض المواضع ماء عذب فرات رائق غزير على عمق مترين أو ثلاثة . وعلى هذا لا يستلزم الحال أكثر من إيجاد الأيدى العاملة والادارة الحكيمة لتعمير هذا البلد بالزراعة وتحويل أراضى خط الاستواء الى أراض غاية فى الخصب .

ومن الاجحاف والظلم عدم الاعتراف بالمجهودات التى بذلها أمين بك فى سبيل تحسين حالة حكمداريته فقد كان يجلب من سائر نواحى العالم انواعا منوعة من الفسائل والبذور ويحاول تعويد جملة أصناف من الخضر وأشجار الفاكهة على مناخ الاقليم فتكللت مساعيه بالنجاح . وأنفع وأفيد النباتات التى أدخل زراعتها القطن والأرز . ويرجع الفضل فى

نجاح زراعتها نجاحا باهـــرا الى ما بذله حواش افندى منتصر من عظيم المساعدة والهمة التى لا تعرف الـــكلال أو الملال ، كما نجحت زراعة الذرة والفضل فى نجاحها يعود على أمين بك . وقد أفاد القطن افادة عظيمة جدا فيما بعد وذلك عندما استدعت الاحوال أن نزاول رجال الحكومة وجنودها هم أنفسهم صنع ملابسهم عقب انقطاع المواصلات مع الخرطوم .

ولم تنتشر زراعة الأرز بهـــذه الدرجة مع ان زراعتها نجحت . وما ذلك إلا لأن هـــذه الزراعة تستوجب اشغالا كثيرة بينما الحبوب الأخـــري كالذرة والدخن والفول والسمسم التى يمكن ان تقوم مقامه كانت توجد بكثرة متناهية فتستدعى الحالة رميها تخلصا من تعفنها فى المخازن . ومع ان ضواحى شمبي و لادو التى تعمها الغدران والبقاع التى تغمرها المياه فى زمن الامطار هى من الاراضى الاكثر صلاحية لزراعة الارز مما عداها وكان فى الامكان جنى محصول جسيم منها إلا أنه كان يلزم للقيام بجميع هذه التحسينات والاصلاحات أوقات يسود فيها السكون واليسار . وهذه احوال كانت معدومة مع أشد الأسف فى سنة ١٨٨١ م فى ديار مصر والسودان فى آن واحد نظرا للانقلاب الذى احدثه بهما العرابيون والمهديون وبسبب عسر الحالة المالية التى وقعت فيها مصر فى ذلك العصر .

وقد جاوب الجنرال استون باشا على آخر رسالة من أمين بك ان الخديو يقدر مشروعاته حق قدرها غير ان الحوادث تضطره أن يؤجل تنفيذها الى وقت أكثر ملاءمة وهذا الوقت لسوء الطالع لم يحن بعد ابدا .

١ — ملحق سنة ١٨٨١ م

رحلة الطبيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء [1]

القسم الثالث

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

سفره الى محطة حواش افندى منتصر

غادر جونكر مدوروما Mdoruma فى أوائل شهر يناير سنة ١٨٨١ م وقضى النصف الأول من هذا العام فى القيام بريادات خارج حدود أراضى خط الاستواء . وعلم فى ٢٣ يوليو لدى اقترابه من بلدة ممبتو ان الحكومة المصرية أعلنت الحرب على رئيسها مامبانجا Mambanga وان ضابطا مصريا يقال له حواش افندى منتصر وهو قائد الحملة أسس هو وجنوده النظامية محطة لدى الرئيس ابرامو فى « مبورو » Mboro . وكانت الحرب الى هذا الوقت لم تضع أوزارها . وكان حواش افندى منتصر على بينة من رابطة الصداقة التى تجمع بين الطبيب جونكر ومامبانجا فأرسل رسولا الى الأول يرجوه القدوم لكى يستعمل نفوذه لدى الثانى لانهاء الحرب ووضع حد لها . وكان رسول حواش افندى منتصر ضابطا

(١) — راجع كتاب « رحلات فى افريقية » للطبيب جونكر .

يقال له نظيم افندى وكان رفقته ٤٠ جنديا نظاميا و ١٢ مترجما وجميعهم مسلحون .

وكان جونكر يريد أن يلبى طلب حواش افندى منتصر ويجيبه الى مرغوبه غير انه كان يوجد لديه بعض موانع تحول دون القيام بذلك فى الحال فأرسل اليه الرد يقول له فيه انه سوف يأتى لزيارته فى الأيام القادمة . وبلغ جونكر أيضا ان رائدا ايطاليا اسمه كازاتى قدم الى بلدة ممبتو . وبعد ذلك ببضعة أيام جاءه خطاب من هذا الرائد مؤرخ من « تنجازى » Tangasi أعرب له فيه عن رغبته فى أن يراه فى محطة حواش افندى منتصر وأخبره حامل هذه الرسالة علاوة على ما ذكر ان رحى الحرب ما زالت دائرة مع مامبانجا .

وفى ٢٨ اغسطس وجه الطبيب جونكر وجهه شطر محطة حواش افندى منتصر . وفى خلال سفره اتصل به خبر غارة قام بها مامبانجا على المحطة وارتد بخسائر فادحة . وربما كانت هذه الغارة هى التى أشار اليها فيتا حسان . واستحث هذا الخبر الطبيب على الأسراع فى السير غير أن تهاطل الامطار وشدتها منعته عن المسير بالسرعة التى كان يريدها وفى نهاية الأمر وصل الى المحطة المذكورة فى ١٠ سبتمبر .

وتم استقبال جونكر بحفاوة كبرى وحيته الجنود مصطفة خارج المحطة وأطلقت عند قدومه المدافع وأدخل حال وصوله فى قاعة الاستقبال وقدمت له المرطبات . وشعر الطبيب بانشراح زائد من المقابلة التى قوبل بها ومن نظافة المحطة ونظامها وترنحت اعطافه سرورا لوجوده مرة أخرى بين عالم متمدين يتكلم معه بدون واسطة تراجمة .

الحوادث التى جرت فى أثناء غيبته

وقد حدثت حوادث ذات شأن خلال غيابه . وها هو ما اتصل به بصدد هذه الحوادث :—

بعد أن بارح جونكر ناحية تنجازى هاجم رجال السلطة الذين كانوا مقيمين فى ممبتو مامبانجا وطردوه من زريبته وأقام بها المأموران عبد المعين و عبد الله . وغرتهما لذة النصر فواصلا هجومهما مندفعين الى الامام فلاقاهما مامبانجا وأتباعه وذبحوهما كما ذبحوا معظم جنودهما واستولوا على ٤٠ بندقية . ومن نجا منهم احتمى فى الزريبة ورجع الى تنجازى تحت جنح ظلام الليل بقيادة نظيم افندى الذى كان قد ذهب لمقابلة جونكر عندما كان فى الريادة .

وهذا هو سر المسألة التى رواها فيتا حسان عن مذبحة الخطرية الذين كانوا معينين بصفة حامية فى بلدة ممبتو والذين أرسل اليهم أمين بك — وكانت هذه الناحية قد ألحقت بحكمداريته — حواش افندى منتصر ليقتص من الأهالى ويسترد منهم البنادق .

وقصة هذا القتال الذى لم يحضره جونكر بصفة شاهد عيان سبق ذكرها فلا حاجة لاعادتها بل نقف عند ذكر الحوادث التى حضرها ورآها بعينى رأسه والحوداث التى تدخل فيها بصفة واسطة .

توسطه للصلح بين مامبانجا وحواش افندى منتصر

ورأى جونكر عند قدومه الى المحطة أن الاصوب أن يتوسط بين الفريقين ابتغاء الوصول الى نشر راية السلام وعقد الصلح بينهما . وكان

مركزه بالطبع لما بينه وبين مامبانجا من الصداقة والولاء أحسن من مركز أى انسان آخر يؤدى هذه المهمة . وأحاط حواش افندى منتصر علما بما جال بخاطره فوافق عليه تمام الموافقة لاسيما أنه لم يبق لديه من الذخيرة التى أخذت فى النفاد إلا ثلاثة آلاف ظرف من طراز رمنجتون .

وأرسل الطبيب ساعيا الى مامبانجا ليخبره بما اعتزمه ووقر فى نفسه وليقول له انه اذا قبل أتى جونكر لمقابلته فى منتصف الطريق ومعه خادم ومترجم لاغير . واتخذ جونكر هذا الاحتياط حتى لا يثير فى نفس مامبانجا عوامل الخوف وليمحو من رأسه كل مظنة سوء .

ورجع الساعى فى غد يوم سفره أى فى ١٢ سبتمبر ومعه بعض رجال مامبانجا وقال ان هذا قبل الشروط . وأرجع جونكر هؤلاء الرجال وقال انه سيسافر فى اليوم التالى وعين موضعا فى منتصف الطريق ليتقابل فيه الفريقان .

وذهب جونكر الى ذلك الموضع وأتى اليه مامبانجا حسب الاتفاق إلا أن جونكر رأى هذا مكتئبا حزينا متخيلا أن شركا قد نصب تحت اقدامه . ولما كانت الشمس قد قاربت على الغروب وأخذ ضوء النهار يتقلص عرض عليه جونكر تمضية الليلة فى الموضع الذى هما فيه فامتنع مامبانجا أولا ثم انتهى بالقبول وأخذ رجاله يشتغلون فى اقامة الاكواخ التى استلزمت الظروف عملها .

وتحادث جونكر أثناء الليل معه طويلا وبين له الفوائد التى يجنيها من وراء تحالفه مع الحكومة . وبعد جدال استطال آل الامر الى قبول

مامبانجا ارجاع البنادق التى استولى عليها وزيارة المحطة . ومع ارتياب جونكر فى قيام مامبانجا بوفاء وعده عقد معه معاهدة تبادل الدم ليبث فى روعه روح الطمأنينة .

وعاد جونكر بعد ذلك الى المحطة ليحيط حواش افندى منتصر بنتيجة مأموريته . ثم انقلب راجعا الى مامبانجا ليحمله على نجاز وعده . فوجده على غير ماتركه فقد انقلبت افكاره بطنا لظهر وأخذت تساوره الشكوك من كل صوب وناحية وأبدى مخاوفه من وقوعه فى الهلاك . وأكد له جونكر أنه ليس هنالك شيء يستوجب هذا الارتياب وانه هو نفسه يكفل سلامته ولكن ذهبت كل محاولاته عبثا ولم تغن فتيلا واضطر أن يطرح كل أمل فى الوصول الى أى وفاق معه . وفى أثناء اقامة جونكر لدى مامبانجا قدم اليوزباشى كازاتى الرحالة الايطالى ليزوره . وبعد أن لبثا اسبوعا وليا وجهيهما فى ٢٢ سبتمبر شطر محطة حواش افندى منتصر وذلك بعد أن نبأ مامبانجا بسوء مصيره والمصائب التى ستحل به فى القريب العاجل .

وقوبلا لدى وصولهما الى المحطة بأكبر مظاهر التجلة والتكريم ومزيد الارتياح إذ ان القوم كانوا يتوجسون خيفة على حياتهما بسبب طول غيابهما .

وسر جونكر سرورا لا مزيد عليه إذ وجد رسالة من الحكمدار أمين بك يخبره بها انه من المحتمل ان يزور نواحى ممبتو التى ألحقت بحكمداريته . وأحاطه أيضا بوفاة جيسى باشا فى ثغر السويس وبما حاق به بسبب ذلك من الأسى والأسف .

وقضى جونكر مع كازاتى فى المحطة المذكورة اسبوعا فى رغد من العيش .

إخفاقه فى عقد الصلح وتفاقم الحالة

وفى ٢٩ سبتمبر سافر كازاتى . وكان جونكر يريد أن يسافر هو كذلك غير أن الجنود استعطفوه وطلبوا منه البقاء لأنه لم يبق لديهم إلا شىء يسير من الذخيرة وكانوا يخافون ان تنقض عليهم الأهالى واستشفوا من خلال ذهاب جونكر وايابه من و الى مامبانجا ان للأول بعض النفوذ على الثانى وان هذا الاخير لا يهاجم المحطة طالما يكون جونكر مقيما بها . وشكوا له أيضا من حواش افندى منتصر وقالوا ان المذكور وان كان جنديا محنكا وله المام تام بمسالك البلد إلا انه شديد صارم لايغتفر تواتر الزلل . وكان لهم شكاية أخرى موضوعها انهم يرغبون الرجوع الى مكراكا حيث وسائل المعيشة متوفرة وبذا يتخلصون مما يقاسونه فى محطته من عذاب الحرمان على تعدد ألوانه . فوبخهم جونكر توبيخا شديدا وقال لهم : إنكم لو كنتم جنود أمة أخرى لأعدم منكم واحد من كل عشرة وان أحسن ما يمكنكم عمله هو الصبر على الشدائد التى انتم فيها واحتمال ما تكابدونه من المشاق كما هو الواجب على كل جندى . وقرر جونكر تجاه هذه الظروف أن يظل بالمحطة وكتب الى الحكمدار أمين بك ليحيطه علما بالموقف .

وفى هذه الاثناء راجت اشاعة فى المحطة مصدرها تنجازى فحواها ان القائمقام بخيت بترا كى بك قادم فى الطريق من مكراكا ومعه جنود لمحاربة مامبانجا وحسم المشاكل معه حسما نهائيا .

وفى ٢٢ أكتوبر ورد خطـــاب من بخيت بك مثبت لتلك الاشاعة مذكور فيه انه قادم ومعه جيش عرمرم وبرفقته عبد الله أفندى أبو زيد مأمور رءـــو التابعة لمركز مكراكا . وفيه يطلب استحضار اكبر عـــدد يمكن الحصول عليه من المراكب ليعبر عليها نهـــير كبّالى Kibbali . وما انتشر هـذا الخـــبر فى المحطة حتى راجت اشاعة فحواها ان مامبانجا يتأهب للهرب .

وجال فى خاطر جونكر فى تلك الساعة الرهيبـة التى فيها حياة مامبانجا معرضة لأشد الاخطار أن من واجباته ان يحاول لآخر مرة حمله على ان يسلك مسلك التعقـل والتبصر فأرسل اليـه بموافقـة حـواش افنـدى منتصر مندوبا يخـــبره بما يحيق به من الاخطـار ويدعـوه للمجيء الى المحطة ليسلم البنـادق ويقول له ان جونكر كفيـل بأن لا يصيبه شيء من الاذى ، وإنه سيأتى لمقـابلته فى منتصف الطريق اذا قبل هذه الشروط .

وفى اليوم التـالى ٢٣ أكتوبر عاد المندوب يحمـــل جوابا سلبيا ويعتذر بالحكاية التى طالما رددها وهى مسألة الخـــوف على حياته . وهمس الرسول فى اذن جونكر بأن مامبانجا يريد الشر والعدوان ويقول ان فى حيازته عـددا كـبيرا من رجال الحـــرب والطعان ويمكنه أن يناصب الحكومة العداوة سنينا طويلة .

وأرسل جونكر يقول له آخـر مرة انه بذل أقصى مجهـــوده لينجيه من هـلاك محتم ونبأه بما سيحل به من البلايا والرزايا قائلا انه سيصبح بلا مأوى ولا وطن وانه سيطـارد فى الغابات كما تطارد الظباء والأيائل وانه لن

يجد من يلومه على ما يجتاحه من البلايا والرزايا إلا نفسه .

وفى ٢٦ أكتوبر دوى صوت النقارية على مسافة بعيدة . وهذه لا تدق إلا إيذانا بالشروع فى الحــــرب ومباشرة القتال . ولما كان الصوت آتيا من صوب معسكر مامبانجا تصور الناس أن الهجوم على المحطة أضحى قريبا فضوعف الحرس واشتدت المراقبة طول الليل غير انه لم يحدث أى شيء ولم تكن هذه الاصوات إلا بقصد الارهاب .

ووقع عيد الاضحى فى أول نوفمبر فاحتفل به كل من بالمحطة احتفالا عظيما وفرح الناس بمقدمه فرحا كبيرا وتسربلوا بأفخر ملابسهم والذين استطاعوا الاحتفال به ذبح كل منهم خروفا أو عنزة كما هي العادة .

وارتقب الناس يوما بعد يوم قدوم بخيت بك وحملته بلا جدوى . وعلم فى نهاية الأمر انه ذهب اولا الى تنجازى .

ولم يكن حواش افندى منتصر راضيا عن قدوم بخيت بك وذلك لأن هذا تقضى عليه رفعة رتبته عن الأول بتسلم زمام قيادة المحطة وبهذه الكيفية تذهب أتعاب حواش افندى منتصر مع الرياح وتمسى نسيا منسيا . وحمل هذا السبب حواش افندى منتصر على مفاتحة مامبانجا وحاول الدخول معه فى مفاوضة ليقنعه بالجنــــوح للسلم ونبذ الحروب ولكن محاولته هـــذه لم تأت بفائدة ما واستمرأ كبير الزنوج مرعى عنـــاده وجعل اصابعه فى آذانه وأصر على عدم استماع أى كلام . وحاول كذلك بخيت بك من تنجازى أن يرده الى الصواب ويهديه الى الصراط المستقيم وذلك بأن رد اليــــه واحــــدا من ابنائه الذين كان اسرهم العرب فكان جوابه على ذلك

أن أرجع اليـه بعض البنادق ولم يزد على ذلك خطـوة الى الامـــام بل وقف عند هذا الحد . ونقل من جهـــة اخرى الى حواش افندى منتصر جواسيسه ان مامبانجـا أرسل نساءه ومتاعه الى مسافات قصيـة ليكنّ فى مأمن من كل اعتداء وانه يتأهب للقتال .

الحمـــلة على مامبانجـــا

وفى نهـــاية الأمر وردت فى ١٥ نوفمبر أنباء الحملة وعلم منهـــا انها انقسمت فى تنجازى الى ثلاثة أقسام لتحاصر مامبـانجا من ثلاثة طـــرق متباينـة . القسم الأول بقيادة عبد الله أبو زيد أفندى وعليـه أن يسلك الطريق الممتدة الى جهة اليمين . والقسم الثانى بقيـادة الترجمـان محبوب وعليـه أن يسلك الطريق الممتدة شمالا . أما القسم الثالث وهو الأخير فيسير مباشرة الى مامبانجا بقيادة بخيت بك نفسه .

وبما ان مامبانجا كان على بينة من حركات وسكنات جيوش الحكومة التى كانت تنقلها اليه جواسيسه تعلق بأذيال الفـــرار وتخلص من حركة الاكتناف التى كانت على وشك أن تحـدق به وذلك رغمـا من مسير فـرق بخيت بك الثلاث السريع التى وصل رسلها الى المحطـة فى ١٧ نوفمـــبر حاملين خبر احتلال أراضى مملـكة مامبانجا وفرار هذا واستيلاء الجيوش على أكواخه وخبر آخر من بخيت بك انه ستنشأ هناك عما قريب محطة مستديمة ويـــترك بها حـامية مؤلفة من ٦٠ جنديا وان مقتنيات كبير الزنوج صودرت وأنه خلع من عرشه ونصب بدلا منـه رئيس آخـــر وبذلك تمت نبوة جونكر وصبت على رأس مامبانجـــا كل الملمات والكوارث التى كان تنبأ له بها .

وقبل أن يشرع بخيت بك فى مطاردة الهارب قدم بمفرده الى المحطة . وانشرح صدر جونكر وفرح فرحا لا مزيد عليه لرؤيته لانه من أعز أصدقائه الذين تعرف بهم فى رحلته السابقة وقطع معـــه مرارا المرحلة الواقعـــة بين لادو و مكراكا . وكان لدى كل منهما أشياء كثيرة عليه أن يبثها للآخر .

وكانت مقابلة الضابطين بخيت بك وحواش افندى تقل كثيرا فى الصفاء والمودة عن مقابلة جونكر وبخيت بك لأنه كان لدى هذا وحواش افندى ما يستوجب المؤاخذة ولذلك قامت بينهما مشاحنات تجحف بالأعمال التى هما قادمان على نجازها معا . وشاهد جونكر البعض من اجتماعاتهما إلا انه عمـــل على أن لا يحضر هذه الاجتماعات إلا نادرا ومع ذلك ذكر أن تصرفات بخيت بك كانت أقرب للصواب من أعمال زميله . ومن الاشياء التى وافق عليها موافقة تامة توبيخ بخيت بك للجنود توبيخا شديدا على سلوكهم الشائن وطلباتهم المنافية للمنطق .

وفى ٢١ نوفمبر وصلت جنود الحمـــلة فتجمع مئات من الأهالى ليشاهدوا أولئك الجنود المجندة التى لم يروا لها من قبل مثيلا . وكان يمشى فى مقدمة الفرقة الجنود السودانيون النظاميون مسلحين بسلاح رمنجتون بقيادة ضباط من جنسهم . ثم حامية محطة ريمـــو التابعة لمكراكا المؤلفة من عسكر خطرية تحت إمرة عبد الله افندى أبى زيد مأمـــور هذه المحطة . وعبد الله افندى هذا هو أيضا من أصدقاء جونكر القدماء . ويأتى بعد هـــؤلاء المساعدون وهؤلاء من رجال القبائل الزنجيـــة الخاضعة لسيطرة الحكومة ويعدون بالمئات ويسيرون بقيادة كبرائهم كل منهم على رأس قبيلتـــه . وينبغى أن يضاف الى أولئك المساعدين عدد كبير من الحمالين الذين يستخدمون

فى نقل متاع كل هذه القوة المتنوعة الوحدات .

وتأثر الأهالى كثيرا من هذا المنظر الذى لم يسبق لهم قبل رؤية نظيره وقد أثر فيهم أكثر وأكثر منظر الكساوى الجديدة التى وردت من ديار مصر ولبستها العساكر النظامية .

ولم تف الأكواخ التى نصبت للجنود التى وصلت أخيرا بحاجاتها ودعت الحالة الى عمل أكواخ اخرى . وتناول جونكر من أمين بك خطابا يخبره فيه انه ما زال عاقدا النية على الحضور الى ممبتو بعد زمن قليل وبعث اليه صندوقا مملوءا بالاشياء المفيدة النافعة بصفة هدية . وأولم حواش افندى فى تلك الليلة وليمة حضرها جونكر والضباط والرؤوس الذين قدموا مع الجيش .

وعقد الضباط عدة جلسات لاختيار الخطة التى يسيرون عليها فى الحرب القادمة لأن فصل الامطار كان قد انتهى وأضحى المناخ صالحا للأعمال الحربية التى هم قادمون على مباشرتها فتقرر السفر مع ترك حامية فى المحطة مؤلفة من ٧٥ جنديا .

مسير الحملة لمقاتلة مامبانجا
وتقديم رؤساء النواحى الطاعة

وفى ٢٥ نوفمبر تحركت الحملة للمسير بقيادة القائمقام بخيت بك العليا والصاغ حواش افندى منتصر بصفة قائد ثان وكان الجيش مكونا من عدة آلاف وكان السير فى اول الامر شاقا مضنيا لاختلال النظام الذى ساد الصفوف بسبب كثرة العساكر غير النظاميين والحمالين المرافقين

لهم . ولكن كان كلما تقدم فى السير تعلم كل ما عليه من الواجبات وانتظمت الاحوال واستتب النظام .

وبعد أن قطع مرحلة يومين وردت الانباء على حين فجأة أن مامبانجا وأتباعه على مقربة من الحملة وان من اللازم الاسراع فى السير وعلى ذلك تقرر ان ينطلق فى الحال عبد الله افندى أبو زيد وبشير ومعهما ١٦٠ جنديا وثلة من المساعدين فى سبيل البحث عن مامبانجا ويحاولا أخذه أسيرا . وظل جونكر فى المعسكر مع بخيت بك و حواش افندى وباقى الحملة والحمالين .

وفى خلال اقامتهم فى المعسكر قدم رؤساء القبائل الضاربة فى الجهات المجاورة ليقدموا الطاعة للحكومة وكانوا يحملون معهم جميع انواع المؤن ومن ضمنها الطيور الداجنة . وقدم بخيت بك لكل منهم قميصا أحمر من نسيج القطن وأوصاهم أن ينبهوا على مرءوسيهم أن يرجعوا الى ديارهم ويتفرغوا لأعمالهم ويخلدوا الى الهدوء والسكينة ويخلصوا للحكومة .

وفى مساء ٢٩ نوفمبر وردت رسالة من سكرتير الحملة منبئة أنها شتت شمل الأعداء واستولت على كثير من المغانم إلا أن رئيسهم مامبانجا تمكن من الفرار وان الحملة سترجع بعد قليل .

وفى ٤ ديسمبر عادت الحملة الى المعسكر . واتضح ان العدو بوغت بالهجوم مباغتة تامة إذ أن الجيش المساعد لما كان فى المقدمة حسبه أتباع مامبانجا من غير المعادين لاسيما أن افراده من الاهالى مثلهم ولم يدركوا ان هذا الجيش المساعد يجد فى طلبهم إلا عندما وقع

نظرهم على العساكر النظامية وعندئذ حدث ذعر عــام فى صفوفهم وأخذ كل منهم يعمل فى سبيل نجاته وأخذ الجيش المساعد يطاردهم زمنا الى أن تشتتوا وذهبوا شذر مــذر . واستوى عبد الله افندى أبو زيــد وبشير فى معسكرهم واستوليا على جميع موجوداته وهى زهاء المائة من نساء مامبانجا وولدان من أولاده وابنته وكثير من الاشياء التى تخصه هو نفسه وأسرا خلقا كثيرا . وقد أتى فى اليوم التالى عدد كبير من الأهالى وقدموا الطاعة .

وبما أن رجــال قبيلة الابرامو Les Abramos أتوا وقدموا الخضوع صار فى حيز الامــكان القيام بتقدم آخر ولهذا عقد حواش افندى النية على أن يحتل بمعاونة جنود الحكومة جميع أراضيهم بالتدريج ليضمها الى مصر . ويقول جونكر إنه وافق على هذا الترتيب لأن من شأنه أن يلم شمل جميع قبائل الابرامو الصغيرة تحت إدارة حكومة واحدة .

احتلال حواش افندى أراضى الابرامو وضمها الى الحكومة

وفى ٩ ديسمبر شرع حواش افندى فى المسير وبرفقته جونكر وبشير . ومشى معهم فى الحملة بصفة مساعدين لها خلق كثير من قبائل الابرامو الضاربين فى المراكز التى أضحى احتلالها وشيكا والذين قدموا الطاعة . وكانوا يسيرون مع الاحتياط إذ أنه كان يوجد أمامهم جمع كبير من رجال قبائل الابرامو الذين لم يقدموا بعد الطاعة وقيل انهم عقدوا الخناصر على الاغارة على الحملة غير أنه لدى الاقتراب منهم أخذوا يفرون .

وبلغت الحمــلة فى ١١ منه الجهة المولية وجهها شطرهــا . وهى الجهة

التى وقع الاختيار عليها لتدار منهـــا موقتا حركات مفاوضات الصلح . وروى جونكر أن جنود الحملة اقترفوا اعمالا من أعمال السلب والنهب ولكنه يقول علاوة على ما ذكر أن هذا العمل وان كان فى حد ذاته لا يدل عـلى الجنوح للسلم إلا أنه كان عملا لازمـا يستشعر الزنوج منـه انهم يواجهون قـوة دونها قواتهم فيخنعون وتلين قناتهم لقبـول ما يفرض عليهم من النظام الذى كانت الحكومة تنوى ادخـاله فى بلادهم . ومع هـذا وفى حواش افندى حقـه إذ قال انه أعطى أوامر فى نهاية الصرامة لرجاله بألا يمسوا الأهالى بسوء وألا يستعملوا معهم الشدة .

وعندما استقر بحواش افندى المكان بعث برسله الى رؤساء القبـائل ليدعـوهم للدخول فى طاعة الحكومة فأتى كثير من الذين كانوا لم يزالوا يناصبون الحكومة العداء وقدموا الطاعة وأحضروا معهم عاجـا وما ذلك إلا لأنهم أدركوا ان ليس هنالك أية فائدة من وراء الاستمرار فى عداوة قوة تفوق قوتهم .

وفى بدء السنة عندما قام جونكر برحلته فى هـذا القطر سرقت عـدة أشياء من متاعه وهـذه الاشياء استرجعت فى ذاك الوقت بنفوذ حواش افندى وهمته ونال المجرمون عقابا جزاء ما كسبت أيديهم .

وفى هذه الآونة وردت الأوامر من بخيت بك بناء على ما تلقـاه من أمين بك برجوع حواش افندى الى مركزه السابق بمكراكا . وهذا الأمر اعتبره جونكر خبرا مكدرا لأن العمل الذى بدىء به لم ينته بعـد ولم يزل جزء من اراضى قبائل الابرامو ناشرا الى ذلك الوقت راية العصيان .

وحضر فى غضون هذه المدة رؤوس آخرون ومعهم عاج وقدموا الطاعة . وعلى هذا تراجع حواش مسافة قليلة ووقف غير انه ورد له أمر ثان مع حرس مؤلف من ٣٠ جنديا فقوض مضاربه وسافر .

وقد غادر جونكر الحملة فى ذلك الوقت لارتياد أقطار أخرى .

ولهذه الرحلة تتمة نذكرها فى الملحق الأول للسنة القادمة .

٢ — ملحق سنة ١٨٨١ م

رحلة اليوزباشى كازاتى
فى مديرية خط الاستواء

القسم الثاني

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

استمر كازاتى فى ريادته فى بحر الغزال طول القسم الاكبر من عام ١٨٨١ م ووصل الى محطة تنجازى فى ٣ أغسطس . وتنجازى هذه تابعة لمديرية خط الاستواء . وأقام كازاتى فى هذه المحطة مدة . وفى ١٨ سبتمبر وردت له رسالة من الطبيب جونكر يقول له فيها إنه وصل حديثا الى بلاد الابرامو وانه عقد العزم على الذهاب قريبا الى الرئيس مامبانجا الذى كان فى حرب مع الحكومة المصرية فسر سرورا عظيما لهذا النبأ وشحذ غرار العزم على السفر للقياه والتعرف به .

وسافر فى ٢٠ منه وبعد مرحلة يومين وصل الى مقر الرئيس السالف ذكره وهناك وجد جونكر وقضى معه ثلاثة ايام فى هناء وسرور ورغد من العيش ثم زايله وقصد ناحية بحر الغزال للقيام بريادة فيها وقفل راجعا الى تنجازى فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨١ م .

وقابل كازاتى فى خلال هذه الرحلة مامبانجا وكان قد غلب وخذله

اتباعه ولم يبق معه منهم إلا عدد يعد على الاصابع وكان آخذا فى البحث عن مكان يأويه . وكان أمين بك قد أرسل عليه حواش افندى منتصر فقاتله ونجح فى قتاله غير انه نظراً لمقاومة مامبانجا وتصلبه فى المقاومة وجد الأول نفسه فى مركز حرج امام الأخير فطير جونكر خبر هذه الضائقة الى أمين بك فبعث فى الحال بيخيت بك ومعه مدد ذو بال فقام هذا بحركات سريعة وهجمات فتاكة شتت سريعا شمل عصابات مامبانجا وفاز بجميع أنواع الظفر فى حرب جرّت الخراب والدمار على رأس هذا الرئيس .

وبعد ان استراح كازاتى بضعة أيام سافر مرة اخرى ليحضر حملة جديدة فى بحر الغزال .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها فى الملحق الثانى للسنة القادمة .

سنة ١٨٨٢ م

من

حكمدارية أمين باشا

سفره الى الخرطوم لمقابلة رءوف باشا

قام أمين بك فى خلال الشهرين الأولين من سنة ١٨٨٢ م ببعض جولات قصيرة حول لادو للتفتيش . ثم شرع بعد ذلك فى القيام بتحضير معدات السفر الذى نوى ان ينهض به الى الخرطوم .

واستفهم من فيتا حسان قبل رحلته عما اذا كان ينقص صيدليتـه بعض العقاقير . فأجابه انه ينقصه من الادوات الضرورية الشىء الكثير . وبناء على ذلك نبه عليه بأن يرافقه فى رحلته الى الخرطوم ليتسلم من قاعدة الحكومة العقاقير التى تلزم ويتفرغ هو لمقابلة رءوف باشا .

وأقلعا قبيل أواخر شهر فبراير على ظهر الباخرة « بردين » ومعها ٤٠٠ رجل من الدناقلة . وهؤلاء هم الذين كان الحكمدار أمين بك قد نبه عليهم بمبارحة خط الاستواء اذا لم يخضعوا لدفع الضرائب أسوة بالأهالى . وكان وجهة أولئك الدناقلة أيضا الخرطوم . وكانت الباخرة تحمل علاوة على ما ذكر ٥٠٠ قنطار من العاج وعرجت فى طريقها على بور و شمبى لتمتار بالوقود . واضطرت للوقوف فى مركز « قاوا »

لأن الأمر كان قد صدر بعدم السماح لأية باخرة بالمرور Kawa بدون رخصة خصوصية وذلك بسبب وجود المهدى فى جزيرة « أبا » Abba . غير أنه رخص لها بالمرور لمغادرة المذكور للجزيرة وانسحابه هو واتباعه الى جبل قدير الواقع فى مديرية فاشودة .

واتصل بها وهما فى قاوا ان الحكومة استدعت رءوف باشا وعينت محله عبد القادر حلمى باشا وان الأول قد سافر فعلا ووصل الى بربر فبعث له الحكمدار أمين بك برسالة برقية يخبره بها أنه قدم لزيارته فى الخرطوم وأنه يأسف لسفره فجاوبه رءوف باشا برسالة برقية كذلك يقول فيها انه يسوءه هو أيضا عدم استطاعته مقابلته قبل سفره ويؤكد له ما تكنه جوانحه نحوه من عاطفة الصداقة .

ووصلت الباخرة الى الخرطوم فى ٧ مارس فاستقبله فى الموردة كبار الموظفين وأعيان المدينة ومن بينهم جيكلر باشا Giegler وكيل الحكمدار العام و بوساتى بك مدنى Bussati Madani السكرتير القديم لغوردون باشا وكان وقتئذ مديرا المالية و ماركوبولو بك Marcopolo سكرتير الحكمدار العام ثم قنصلا النمسا وايطاليا .

مقابلته لحاكم السودان العام الجديد

وكانت الخرطوم حينئذ قد بلغ فيها القلق والاضطراب أشدهما . وساد الكدر جميع النفوس من جراء ثورة المهدى التى كانت غير متوقعة ولا منتظرة وتواتر بصددها ورود اخبار غريبة فى بابها متضاربة ومتباينة فى مرماها ومغزاها . وكانت الحكومة تعد فى ذلك الحين معدات حملة يوسف

باشا الشلالى التى باءت بالخيبة والخسران .

وتلقى جيكلر باشا فى العشى مكتوبا من الحكمدار الجديد عبد القادر باشا ينبئه فيه بتعيينه مفتشا عاما للرقيق ويأمره فى الوقت نفسه بأن يستمر على القيام بشؤون مركزه بوصف أنه وكيل للحكمدارية الى ان يصل من يخلفه فى هذه الوظيفة .

ونزل الحكمدار أمين بك ثانى يوم قدومه فى دار جميلة أعدها له مكاتبه بطرس سركيس . واستغرقت مدة اقامته هو وفيتا حسان فى الخرطوم زهاء أربعة أشهر ترقبا فى الشهرين الأولين منها مجىء عبد القادر باشا وكان أمين بك قد طير له برقية يطلب فيها منه امداده بما يلزم من التعليمات فورد له الرد بأن ينتظر الى حين قدومه الى الخرطوم .

وتراكمت على الحكمدار العام الجديد عند قدومه الاشغال من كل صوب وحدب بسبب رفع المهدى راية العصيان واحتدام نار الثورة وبسبب تنظيم خطط الدفاع ايضا ونشأ من هذه المشاغل ان انقضى زمن قبل ان يتمكن من رؤية أمين بك .

وقابله هذا فى نهاية الأمر وفحص ميزانية دخل وخرج الحكمدارية وأنظمة قواتها الحربية وأشار على أمين بك — الامر الذى كان قد تم تنفيذه — ان يسرح جميع الخطرية الذين فى حكمداريته لعدم ثقته بهم ولانه يؤثر عليهم تنظيم هيئة نظامية من الجنود السودانية . وأمره كذلك بأن يبعث الى الخرطوم بالقائمقام نور بك محمد قائد جنود الحكمدارية وبخيت بك

بترا كى مأمور مركز مكراكا .

عـــودته الى حكمداريته

وقدمت فى اللحظة التى ازمع أمين بك الرحيـــل فيها من الخرطـوم باخـــرة تقـل ٣٥ ضابطا مصريا من أولئـك الذين اشتركوا فى الثورة العرابيـــة وجىء بهم ليندمجوا فى جيـوش السودان فاستدعى عبد القادر باشا اليـه مرة اخرى أمـين بك وأراه الضبـاط وكانوا قد نزلوا توا من البـاخرة وقال له :

« تخـــير من بين هؤلاء الضباط اثنى عشر ضابطا وخـذهم فى الحال الى حكمداريتك » . فأجاب أمين بك قائلا . « ياصاحب السعادة ان هـؤلاء الضباط جاءوا فى التو والساعة فدعهم اذن قليـلا يتعودون مناخ الاقليم قبل ان يطوح بهم فى جهة أبعد من هنا » .

فحـــدجه عبد القادر باشا بعينيه ولاحت عليـــه أمارات التأثر وقال : « كفى كفى ياامين بك ان الساعة ليست ساعة ابداء الشعور فسافر وخـذ العدد الذى ذكرته معك » .

وعلى ذلك اضطر أولئك المنكوبون الذين كانوا قد نزلوا توا من البـاخـــرة هم واسرتهم وأنزلوا معهم متـاعهم ان يقلعـــوا فى الحال الى جهات خط الاستواء .

وهؤلاء الضباط على حسب تعريف عبد الرحمن رحمى [١] افندى نجل البكباشى عثمان لطيف افندى وكيل مديرية خط الاستواء الذى كان مع مديرها أمين باشا وكان فى هذه المديرية مع أولاده طول مدة العزلة وعاد الى مصر مع أمين باشا فى حملة استانلى هم كما يأتى :—

١ — عبد الوهاب طلعت افندى ملازم ثان	قتل فى واقعة الرجاف بين الجيش المصرى والدراويش فى ١٠ نوفمبر سنة ١٨٨٨ م وهو برتبة صاغ .
٢ — سالم افندى خلاف	قتل فى واقعة الرجاف أيضا فى ١٠ نوفمبر سنة ١٨٨٨ م وهو برتبة يوزباشى .
٣ — محمد افندى الفولى	قتل فى واقعة الرجاف أيضا فى ١٠ نوفمبر سنة ١٨٨٨ م وهو برتبة يوزباشى .
٤ — عبد الواحد افندى مقلد «	ترك بسبب مرضه فى الطريق بين مديرية خط الاستواء

(١) — بعد عودته الى مصر أدخله والده مدرسة الخرنفش وعند فتوح السودان فى سنة ١٨٩٨ م عين فى قلم المخابرات ثم نقل الى مصلحة البريد السودانى واحيل الى المعاش فى سنة ١٩٣٢ وكان وقتئذ على قيد الحياة فى أم درمان . أما والده البكباشى عثمان لطيف افندى فتوفى الى رحمة الله فى ٢٥ مارس سنة ١٩٠١ بجهة باب الوزير بالقاهرة .



البكباشي عثمان افندي لطيف وكيل مديرية خط الاستواء

			وزنبار بأمر أمـــين باشا لدى المبشرين الانكليز بجهة كيتيجا فى جنوب بحيرة فيكتوريا نيانزا عند المستر مكى وتوفى الى رحمة الله وهو برتبـــة يوزباشى .
٥	ابراهيم افندى حليم	ملازم ثان	ترك أيضا فى الطـــريق كسلفه بسبب مرضـــه بين مديرية خط الاستواء وزنزبار بأمر أمين باشا لدى المبشرين الانكليز . الخ . الخ .
٦	احمد افندى سليمان	«	نقل الى الخرطـــوم قبل سقوطها سنة ١٨٨٥ م .
٧	حسن افندى سليمان	«	نقل الى الخرطـــوم قبل سقوطها .
٨	محمد افندى فوزى	«	نقل الى الخرطـــوم قبل سقوطها .
٩	عبد المبين افندى شلمى	«	ترك مع باقى القـــوة فى مديرية خط الاستواء .

١٠ —	على افندى شمروخ	ملازم ثان	ترك مع باقى القوة فى مديرية خط الاستواء .
١١ —	مصطفى افندى العجمى	«	وصل الى مصر مع حملة استانلى وهو برتبة يوزباشى .
١٢ —	محمود افندى العجيمى	«	قتل فى واقعة ريلى بين الجيش المصرى والدراويش وهو برتبة يوزباشى .

وأبحر أمين بك مع فيتا حسّان فى يونيه على متن الباخرة « الاسماعيلية » صوب حكمداريته . وقال ثانيهما فى اثناء الطريق يخاطب الأول : « انك لتحسن صنعا اذا صرفت النظر عن ارسال نور بك وبخيت بك ذينك الضابطين العظيمين الوحيدين اللذين فى حكمداريتك الى الخرطوم إذ ان وجود هذين الرجلين اللذين حنكتهما التجارب من الضرورى ليبعث فى نفوس الجنود المهابة ويحملهم على مراعاة النظام . فأجاب أمين بك قائلا . « انى أرى نفسى بالعكس حسن الحظ كثيرا إذ صار فى استطاعتى أن أصرح لهما بالسفر فاخفف بذلك النفقات عن كاهل حكمداريتى » .

ويقول فيتا حسّان انه رغما عما أبداه من الحجج والبراهين المؤيدة لصحة نظريته وهى وجوب الاحتفاظ بهذين الضابطين ظل الحكمدار أمين بك ثابتا فى رأيه لا يتزحزح عنه قيد شعرة وذهبت براهين فيتا حسّان وتحذيراته أدراج الرياح . وكان يبنى حججه وبراهينه على احتمال حدوث غارات من جانب الدراويش ومسيس الحاجة لرجلين فى مقدرة هذين

الضابطين وهـــذا الاحتمال الذى كان يدلى به فيتا حسان أضحى فيما بعد أمرا واقعا .

والتسرع الذى أبداه أمين بك فى إبعادهما ما هـــو إلا نتيجة أخلاقه وطباعه . ولما كان فيتا حسان قد درس أحواله وما ظهر منها وما بطن أدرك أنه لن يستطيع إقناعه إلا بشق النفس وأشد المتاعب .

وكان امين بك يخاف دائما أن يبقى خامل الذكر ويغير على سلطته غـــيرة ما عليها مزيد فلا يود أن يشاركه فيها انسان وكان شديد الريب فلا يسلم أحد من ريبه ولا يجنح لأن يرى تحت سيطرته إلا مرءوسين لا يؤبه لهم إلا قليلا واذا رفع أحـــدهم رأسه حتى لو كان ذلك خفية أضحى هـــذا موضع ريبته فلا يلبث أن يسعى فى إبعاده واذا تعـــذر عليه أمر التخلص منه خلق له وقتئذ المشاكل ودس له الدسائس ليوقعـــه مع الموظفين الآخـــرين حتى يهبط الى مستوى لا يخافه فيه أحد بعد .

ولدى وصولهم الى قاوا وجـــدوا على غير المعتاد استعراضا للقـــوات الحربية . وهذه القوات كانت الحامية التى أقامها هناك حكمدار السودان الجديد العام عبد القادر باشا حلمى . ولم يلبث وقوفهم فى هذه الناحية اكثر من الوقت اللازم لشحن الوقود .

واتصل بهم عندما أفضوا الى شمبى أنه فى فترة غيبتهم أغارت قبـــائل الآميروس Amirus بقيادة كبيرهم محمد على على حامية فاديبك فأبادوها على بكرة أبيها . وانه عندما ورد هذا النبأ لوكيل المديرية المسيو ماركوبولو

بعث بحملة مؤلفة من ٢٥٠٠ زنجى من زنوج مكراكا ومعهم ٢٠٠ جندى بقيادة بخيت بك ليقتص من المغيرين ويحتل ثانية فاديبك. وقيل علاوة على ما ذكر ان القبائل المعتدية انهزمت انهزاما تاما وان بخيت بك فى طريق الرجوع هو وحملته الظافرة الى لادو . وقد تأكدت لهم صحة هذه الأنباء عند وصولهم الى بور .

ووصلت الباخرة بهم الى لادو فى ٣١ يوليه . وكان ماركوبولو وقتئذ طريح الفراش بسبب المرض . وبخيت بك لم يرجع بعد . ومن اليوم التالى لوصولهم كانت ألسنة الشر قد شحذت وأخذت تنقل الى أمين بك أحاديث قيل انها صدرت من ماركوبولو خلال غياب الحكمدار . وفحوى هذه الأحاديث أن ماركوبولو يسعى بواسطة أخيه سكرتير حكمدار السودان العام ابتغاء نقل أمين بك وتعيينه هو مديرا لمديرية خط الاستواء وانه فى سبيل إدراك هذا المأرب قد أخذ يدرس اللغة العربية وتقدم فى دراستها تقدما لا بأس به . ومثل هذا القول جدير بأن يثير ريب أمين بك وظنونه وينتزع منه الثقة بوكيله وعلى هذا أسرع ورسم فى الحال خطة ونفذها بلا تردد . فأشار على ماركوبولو وقد كان كما سبق القول مريضا بأن يذهب الى الخرطوم لتغيير الهواء والاستشفاء . وان هو إلا أن قرر ماركوبولو الأخذ بهذا الرأى حتى أرسل الحكمدار أمين بك فى نفس الباخرة التى سافر على ظهرها مكتوبا للحكمدار العام يقول له فيه ان خط الاستواء غير موافق لصحة ماركوبولو وان الحكمدارية علاوة على ما ذكر فى غير حاجة الى وكيل مدير براتب قدره ٣٦٠ جنيها بل يكتفى الحال بأن يبعث اليه اليوزباشى عثمان افندى

لطيف وكيل مأمـــور الخرطوم بماهية البالغة ٧٥٠ غرشا صاغا فيقوم بوظيفة وكيل مدير .

وأبحـــر ماركوبولو ونور بك محمـــد على ظهر الباخرة الاسماعيلية التى أقلت أمين بك عند قدومه هـــو وفيتا حسّان وشحن بها ٦٠٠ قنطار من العاج و ١٢٠٠ جـــلد من جلود الثيران و ٣٢ قنطار شحم من شحم البقر و ٤٠ قنطارا من الشهد . أما بخيت بك فلم يتمكن من السفر لأنه لم يكن قد رجع الى لادو الى ذلك الوقت .

قيامه بجولة تفتيش فى مكراكا

ووجـــد أمين بك حال أوبته من الخرطوم ان لديه اعمالا مكدسة ومتراكمة بسبب طـــول غيبته . وعندما قام بانجاز ما تجمع لديه منها وسافرت الباخرة قرر القيام بجـــولة للتفتيش فى اتجاه مكراكا وكلف اسماعيل افندى خطاب أن ينوب عنه . وعين ابراهيم جورجورو رئيسا لمكراكا محل بخيت بك . وسافر فى ١٢ سبتمبر ومعه كعادته فيتا حسّان .

ووصلوا الى « جانـــدا » Ganda بعد أن نزلوا وهم فى طريقهم فى عدة محطات عسكرية . وتناول أمين بك فى هـــذه المحطة رسالة من لادو بها وشاية سخيفة . وكان بخيت بك بمجرد وصوله الى لادو قد أقـــام اكواخا خارج هـذه المحطة لاسكان عدد عديد من الجنود الذين لم يجدوا لهم مأوى داخلهـــا ويقال انه أظهر عدم ارتياحه من جراء استدعائه الى الخرطوم . وبلغ هذان الامران مسامع أمـين بك بكيفية يؤخذ منها ان بخيت بك تمرد ورفع راية العصيان وبنى معسكره هو ورجاله فى لادو .

وفى غد ذلك اليوم أتى رسول من كابايندى بخطاب من سليم افندى خلاّف مأمور قسم مكراكا مذكور فيه ان بخيت بك وصل الى هذه الناحية ومعه جيش عرمرم من الزنوج وأنه عقد النية على القاء القبض على أمين بك وطرحه فى غيابة السجن هو وسكرتيره وابراهيم جورجورو فأمر أمين بك بدون أن يتريث الزمن اللازم للتأكد من صحة تلك الأنباء ابراهيم جورجورو رئيس مكراكا الجديد أن يسافر مع مائة خطرى ويقبض على بخيت بك سواء أكان حيا أم ميتا . فأراه فيتا حسان أنه ليس من اللياقة ولا من السياسة أن يقبض رجل خطرى غير متحل بأى لقب من الألقاب على رئيس محبوب محترم وأنه من اللازم التحقق من صحة أخبار تلك الثورة أو كذبها . فأجاب الحكمدار امين بك بخشونة قائلا : انى انا المدير وأنا على بينة مما أعمل ولا اسأل احدا مشورة . وكانت سذاجته والسرعة التى يصدق بها ما يتصل به من الاخبار هما عدوه اللدود بل هما أخش عيب يتصف به رئيس من الرؤساء وكانتا مبنيتين على اعتقاده أنه لا يمكن التشنيع أو الوشاية فى حق انسان برىء .

وكان عدوان الخطرية والدناقلة للجنود النظامية المؤلفة من الزنوج مستمرا لا ينقطع . وكان ابراهيم جورجورو دنقلاويا وبخيت بك زنجيا مسقط رأسه تاجالا Tagala وذا قريحة وقادة وشهامة فائقة . فحملت العداوة الجنسية ابراهيم جورجورو على أن يتلقى أمر الحكمدار فرحا مسرورا ويتحرك فى الحال لمباشرة تنفيذه . ولدى وصوله الى كابايندى دخل منزل بخيت بك شامخ الأنف وكان قد بلغ بخيت قبل ذلك أخبار الاجراآت التى اتخذت ضده . ومن الأمور المدهشة أن يرى الانسان الأخبار تنتشر بسرعة كبيرة هكذا فى تلك الاصقاع . هذا اذا كان غير عالم بأن

الزنوج يتناقلون كل ما يطرق أسماعهم من الأنباء أو تقع عليه أعينهم من الحوادث بدقة عظيمة حتى لو كانوا لا يفهمون شيئا مما سمعوا أو رأوا .

وتقدم بخيت بك أمام ابراهيم جورجورو بلطف وأدب وقال : من أتى بك هنا . أتنوى القبض علىّ حيا كنت أم ميتا تنفيذا لأمر المدير ؟ فأجاب ابراهيم جورجورو قائلا : نعم . فقال له بخيت بك : وما هو الموجب لمثل هذا العمل الصارم ، أهو الاشاعة التى اذاعها اناس بلهاء لا خلاق لهم ؟ واذا كنت أريد ان آتى بعمل كهذا فهل تظن أنك تخيفنى بالمائة الخطرى الذين معك ؟ ألا فاعلم أنى جندى من القدماء ملم بواجباتى وبما أنا مكلف به وانى أعلم ان الخديو نصب أمين بك رئيسا لى ومن واجباتى طاعته . فاذا كان فى خاطرى القيام بمثل هذه الثورة التى قد اتهمت بالشروع بها فهل كان فى غير استطاعتى أن ألقى القبض عليك فى طرفة عين أنت نفسك والمدير ومن معك من الخطرية واضع فى اعناقكم جميعا السلاسل والاغلال ؟

ثم اصطحب بخيت بك ابراهيم جورجورو الى خارج داره وقال له : ارجوك ان تجيل البصر فيما حولك لتستبين اذا كنت غير قادر على ان اسحقكم جميعا وألاشيكم من الوجود بهذا الجيش الطائع لى طاعة عمياء .

وعند ذاك امر بخيت بك بالنفخ فى البوق وإن هى إلا غمضة عين حتى كان يكتنفه من كل ناحية صف متراص من الزنوج تم سيامهم على الاستعداد للقيام بأى عمل يؤمرون بعمله .

ثم واصل الحديث وقال : اذهب وطمئن أمين بك واذكر له اخلاصى

ونبئه بانى ما أتيت الى ههنا حسب إرادته إلا لكى أقابل أسرتى فى لادو وانتظر قدوم الباخرة التى ستقلنى الى الخرطوم .

وعند وصول أمين بك ومن معه الى كابايندى فى طريق الرجوع كان بخيت بك قد سافر فى الواقع ونفس الأمر الى لادو هو وأسرته الأمر الذى أحزن زنوج مكراكا لشدة تعلقهم به وعظيم محبتهم له .

وسلم الحكمدار أمين بك بنفسه مقاليد الأعمال الى رئيس مكراكا الجديد ابراهيم جورجورو وأمر جميع المشايخ بطاعته . وجورجورو هذا كان فى مقدمة أولئك الذين ولوا خدمة الحكومة عرض اكتافهم من فجر نشوب الثورة المهدية واشترك مع الثائرين .

ودعت الحالة الحكمدار عند أوبته أن يقيم بعض أيام فى واندى ليعالج نظره وكان قد أصابه رمد بسيط . وبعد أسبوع من وصوله الى هذه الناحية قدم الصاغ حواش افندى منتصر رئيس مركز ممبتو ومعه ٥٠٠ حمل من العاج . وكان راجعا من حملته الأخيرة التى توجت بالنصر وهى الحملة التى قام بها فى ذلك المركز ضد الرئيس ازانجا Azangs . وكان فيتا حسان جالسا مع الحكمدار حينما ورد الخبر بغتة منبئا بقدومه . وبعد وصول هذا الخبر ببرهة دوى صوت الطبول والزمور دويا يصم الآذان وكان هذا الصوت صوت آلات رجال حواش افندى منتصر الموسيقية المتباينة العدد . فقال الحكمدار : عليك اللعنة ياحواش !! هذا صاغ يتظاهر بمظهر ملك ويأتى بموسيقى كهذه التى نسمع دويها . وما نطق بهذه الكلمات حتى دخل حواش افندى القاعة التى كانوا جالسين فيها . وكان حواش افندى هذا رجلا نحيف الجسم طويل النجاد قد ازداد وجهه اسمرارا .

اما ملامحه فتنم عن غلظة فى أخلاقه . وكان يرتدى ملابس السفر المعتاد لبسها فى السودان وهى جلباب احمر قصير من القطن يحيط به نطاق الجندية معلقا به سيف .

ووقف حواش افندى على قيد خطوتين من الحكمدار وحياه التحية العسكرية وأمسك أمين بلحيته كعادته وبعد برهة قصيرة قال . أقدمت ؟ فأجاب حواش افندى : نعم ياصاحب السعادة . فقال له الحكمدار : وما ذا اتيت به ؟ فأجاب حواش افندى : أتيت بعاج . فقال له : أ كان هذا العاج فى مستودعات ممبتو أم غنمته أنت نفسك ؟ فأجاب : غنمته أنا نفسى وما ذلك إلا بواسطة شمول الحكومة إياى بحمايتها وببركة عناية سعادتكم . فقال : هل أتيت منه بالشىء الكثير ؟ فأجاب : لقد أحضرت معى ٥٠٠ حمل تقريبا وتبلغ زنة كل منها ٤٠ رطلا . فسأله : ومن أى نوع هو ، أمن النوع الأول الجيد أم من النوع الثانى ؟ فأجاب انه يحتوى على جميع الأنواع . فقال له : لقد أحسنت . تفضل فاجلس واشرب قدحا من القهوة .

واستدعى الحكمدار خادما ليحضر القهوة وأخذ يسأل حواش افندى بينما كان هذا يتناولها عن حوادث ممبتو وعن العلاقات التى مع رؤساء الزنوج وعن خواص الحروب ومميزاتها التى شنها ونجح فيها ذلك النجاح الباهر . ولما اراد حواش افندى أن يستأذن بالانصراف قال له الحكمدار : اذهب فاخلع ثياب السفر واسترح ثم زر أصدقاءك .

ثم التفت الحكمدار الى فيتا حسان وهو يضحك وقال : هيا اذهب رفقة حواش افندى إذ ربما يكون قد أحضر لك شيئا من الهدايا

كزوج ببغاء أو بعض شىء من الباتنجـــو (١) . فخرج فيتا حسان صحبة حواش افندى .

وهاك مايقوله الأول بصدد الثانى : ان حواش افندى وان كانت هيئته تنم عن الغلظة وسوء الخلق فهو حليم الطبع انيس المعشر طيب النفس ذو نجـدة ومروءة . وسأل هذا فيتا حسان السؤال التالى :

خبرنى بربك ماذا أصاب صاحبـك المـدير ، ولماذا انفعل اذ رأى جنودى الزنوج يعزفون بعض انغام موسيقية ، وهل انا امرتهم ان يهيئوا لى احتفال من يدخل دخول الظافر ، ألهذا يدعونى لعينا ؟

فأجاب فيتـا حسان : وكيف كان ذلك ؟ !

فقـال حواش افندى : ألم اسمعه باذنى حـين دخولى . هيا بنـا اذن يايهـا الطبيب . انى وان كنت قدمت اليك بطريقة استهتـار وسخرية فهذا لم يحل دون فرحى وابتهاجى بمعرفتك .

وسأل حـواش افندى فيتا حسان وهمـا سائران عن تاريخ وجـوده فى الحكمدارية وعن أشياء اخرى .

وسأله كذلك فيتا حسان عن تاريخ حياته والمركز التابعة له ادارته وعن جونكر و كازاتى اللذين كانا فيما سلف فى مقـاطعته . وبعـد

(١) — الباتنجو مربى من موز يعطرونهـا بعيـدان نوع من النبات الطيب الرائحة . وهذه المربى تمكث سنة فأكثر بدون ان يتطرق اليها الفساد .

مرور نصف ساعة من الزمن كان الاثنان على غاية ما يرام من الود والصفاء . هـــذا وقد نظر حواش افندى الى هزؤ وسخرية أمين بك بعين الجد فحيا فيتا حسان بزوجى ببغاء من طيور ممبتو لونهما رمادى يسر الناظرين ومنحه كذلك قدرا من الباتنجو وبعض مزاريق وأسهم وبعضا من الاسلحة المهمة .

ولما كان حواش افندى عالما بمواطن الضعف من نفس المدير العام أحضر له بعض الطيور والقردة والحيوانات ذوات الأربع وأسلحة وتحفـــا عجيبة . وهذه هى الاشياء الوحيدة التى كان أمين بك يهوى جمعها باسم العلوم ولفائدتها وذلك لكى يرسلها فيما بعد الى متاحف أوربا .

ونزاهة أمـــين بك ومبادئه القويمة الخاصة بالشرف كانت جديرة بالاعجاب . وقليل من الموظفين حتى من أولئك الذين فى خدمة حكومة السودان هم الذين يحذون حذوه وينسجون على منواله فى ذلك . فكان عندما يبعث له مأمور من مأمورى المراكز بهدية من الهـــدايا يرى فى ذلك محظورا تأباه استقامته الخارقة للعادة فيأمر مأمور المخازن بخطاب رسمـــى بقيد ذلك الشيء فى الدفـــاتر وبتقدير ما يساويه بالتدقيق ويحتسب ثمنه عليه . وكان يفعل هذا اجابة لداعى ضميره ونزاهته فلا يمكن أن يدخل شيء فى بيته قبل وفاء ثمنه .

وقبل أن يبلغ حواش افندى وانـــدى ورد تقريران مذكور بهما أمور غير مستحسنة فقرر المدير نقل حواش افندى من ممبتو وتعيينه قائدا فى لادو ابتغاء تجنب وقوع مثل هذه الوشايات التى قد يمكن أن تجر وراءها بسهولة حوادث كريهة .

وكان المدير يحب أن ينهج منهج المنتظمين فى السلك السياسى ويتتبع خطاهم باتخاذ طرقهم العوجاء رغمـا عن أنه لو كان فى جماعتهم لاحتسب من أحطهم مرتبـة . وكان يهوى أن يتصرف فى القضايا الهينة اللينة بطرق سرية وفى الخفاء . وهـذا هو أكبر عيب فيه ومرجع هذا العيب كثرة طيبته وشدة ضعفه . وكانت قواه تخونه دواما فلا يجـرؤ أن يقول لأى انسان فى وجهـه ما لا يحسن لدى هـذا الانسان حتى لو كانت المصلحة العامة تستدعى ذلك حتما ولا بد أن هذا النقل أزعج حواش افندى لأنه كان ذا شغف بمركزه فى ممبتو التى كانت أسرته تقيم فيها .

وتحاشى المدير أمـين بك أن يبلغه بنفسه هـذا القرار فكتب الى فرج افندى آجوك الذى كان قد قدم ليدير أعمـال ممبتو بعد حواش افندى مباشرة ـ بأن يحل موقتا محـله . وكتب الى اسماعيـل افندى خطاب رئيس كتبة الحكمدارية بأن يسلم الى حواش افندى حـال وصوله الى لادو قيادة هذا المركز محل عبد الله افندى العبد الذى سينقل الى وظيفة معاون .

وكان حواش افندى قد غنم فى حروبه مع الأهالى قبل أن يسافر من ممبتو ١٣٥ بندقية . وكان ينبغى قيد هـذه الاسلحة فى الحال فى دفاتر الحكومة إلا أنه أغفل ذلك لحين سفره . ولكى يجعل هـذا الخطأ راجعا الى مصلحته اتخـذ وسيلة رديئة وذلك بأن أرسل كشفا أرخه بتاريخ سابق لتاريخ كتابته . وبما انه لم يحسن إلا قليلا تحرير هذا الكشف كشف أمين بك حيلته وقد كان من قبل متهيجا من هـذه المسألة فأخلى سبيله وأحل محله ضابطا يقال له عبد الوهاب افندى طلعت وهو من الضباط العرابيين الذين أعطاهم اياه

عبد القادر باشا .

وعند وصولهم الى لادو وجدوا بخيت بك . وكان قدم قبل ذلك بايام وأقام فى الدار التى أعدها له اسماعيل افندى خطّاب ريثما تصل الباخرة التى ستقله الى الخرطوم . وكان بخيت بك قد سئمت نفسه من دسائس ودساسى الحكمدارية فأوصد بابه فى وجه كل زائر اللهم إلا اسماعيل افندى خطاب فقد ظل يزوره فى أى وقت شاء . وحال وصول أمين بك تولى بخيت بك وهو ملازم جانب الحشمة واللياقة كجندى قيادة الجيوش ليقدم للمدير العام التشريفات العسكرية وقابله باحترام كأنه لم يحدث حادث ما . غير أنه التمس منه ان يصدر أمرا بمنع الزيارة كلية عنه مع استثناء فيتا حسّان واسماعيل افندى خطاب من هذا المنع .

١ — ملحق سنة ١٨٨٢ م

رحلة الطبيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء (١)

القسم الرابع

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

سفره الى تنجازى

بعد أن بارح جونكر حواش افندى وجنوده فى أواخر السنة الماضية ذهب للزيادة لغاية أوائل فبراير من السنة الحالية ورجع بعد هذا التاريخ الى بلدة ممبتو .

ووصل فى ١٠ فبراير الى محطة صغيرة أنشئت للاستطلاع وبها من الحراس ٨ نوبيين و ٣٠ جنديا سودانيا فقوبل فيها أحسن استقبال وزود بكل ما يحتاج اليه فى رحلته . وبعد أن مكث فيها يوما سافر الى تنجازى فدخلها فى ١٦ من الشهر المذكور .

وكان منظر محطة تنجازى قد تغير عن الحالة التى رآه عليها وقت زيارته الأخيرة لها لأن بخيت بك كان قد جدد بناءها . والنظام

(١) — راجع الجزء الثالث من كتاب « رحلات فى افريقية » للطبيب جونكر .

الذى كان بها قد تحسن والاكواخ النظيفة التى فيها والتى وضعت تحت تصرف جونكر مباينة تماما للأماكن التى نزل بها فى رحلته السابقة .

وصارت محطة تنجازى هذه أهم محطة فى المركز واتخذت معسكرا لأغلب الجنود السودانيين النظاميين وفوض أمر قيادتهم لضابط يقال له فرج افندى وهو أيضا سودانى من جنسهم . أما باقى الجنود النظاميين فاتخذوا لهم محطتى كوبى و جانجو الشرقيتين للاقامة بهما وليكونوا حاميتين فيهما .

وكان بخيت بك قد رجع الى مكراكا وظل حواش افندى فى المركز خلافا للأوامر السابقة . ولكنه كان مقيما فى هذه الآونة فى محطة كوبى . وطرد أغلب النوبيين من الناحية من وقت انشاء المحطات الجديدة فى بلد الابرامو Les Abramos وغيره .

وقوبل جونكر مقابلة ودية للغاية وانشرح صدره لوجود اليوزباشى كازاتى فى تنجازى وعقد النية هو والمذكور على أن يقيما بهذه المحطة مدة .

ووجد فيها أيضا صندوقا مرسلا من المدير أمين بك وبه كمية من الجرائد وجملة أشياء كان محتاجا لها . وعلم فى الوقت ذاته ان أمينا بك سافر الى الخرطوم فأسف لذلك أسفا عظيما لأنه فى رحلاته الأخيرة كان قد ألم بما فى الاماكن التى اجتازها وكان يرى ان ابلاغ ما علمه قد يفيد بلا ريب أمينا بك إلا أنه كان يستصوب ابلاغه ذلك شفويا لصعوبة

إبلاغه إياه كتابة .

وتلقى أيضا مكاتيب من الخرطوم من جيجلر باشا وكيل حكمدار السودان وكذلك من لبتون بك مدير بحر الغزال . وكانا قد علما ان بعض متاع جونكر قد سرق فعرضا عليه أن يمداه بما يلزم من الخدم . وكان حواش افندى قد رد اليه ذلك المتاع فأضحت خدمتهما له غير لازمة . واقتصر على أن يطلب من لبتون بك ان يتكرم ويبعث له بحمار فى « ديم سليمان » . وان يزود رفاعى افندى مأمور مركز بحر الغزال الشرقى بالتعليمات اللازمة ليسهل عليه ما رتبه فى الريادة التى أزمع على القيام بها فى تلك المنطقة .

سفره من تنجازى الى ريادة ثم عودته اليها

وأقام جونكر ثمانية أيام فى تنجازى قضاها فى هناء وسرور مع كازاتى وتبادلا مع بعضهما مختلف خلاصات جولاتهما . وسافر منها ثانية فى ٢٥ فبراير ومر بقرب محطة لشيخ من معارفه يقال له « نيانجارا » Niangara قائمة على مرتفع فلم يجد أحدا مشرفا على حراستها أو حراسة ما بداخلها وكان جميع الأهالى قد هجروها وذهبوا للعمل فى المزارع . ويقول جونكر ان ذلك دليل لا يرد على استتباب الأمن فى تلك الربوع .

وفى ٢٧ فبراير وصل الى حى شيخ يقال له ماقاصا Makassa وهو من معارفه القدماء . وهذا الرجل يجيد التكلم باللغة العربية لأنه كان قد قضى مدة طويلة فى خدمة العرب فأكرم مثواه . وتابع رحلته فى اليوم التالى ومر بشيخ آخر يسمى جمبارى Gambari وكان له به

معرفة سابقة فقراه . وكان منزل حواش افندى على مقربة من قرية هـذا الشيخ فبادر وأرسل إليه من قبله رسولا يبلغه خبر قدوم جونكر ويرجوه الحضور . وأسرع حواش افندى بالقدوم حالما علم ذلك وبعد أن لبث هو وجونكر بعض ساعات فى ضيافة جمبارى سافر الجميع الى محطة كوبى محل اقامة حواش افندى وهى واقعة على بعد ٢٠ دقيقة .

وأقام جونكر فى كوبى لغاية ٣ مارس وتابع السفر فى التاريخ المذكور بعد أن أخذ كفايته من الحمالين . وكان حواش افندى قد سافر ايضا للقيام بجولة للتفتيش وكان الاثنان قد تواعدا على الملتقى فى محطة جانجو . وبلغ جونكر هذه الناحية فى ٨ منه ولما لم يجد بها حواش افندى استمر آخذا فى طريقه ميمما وجهه شطر الشيخ كودابو Kodabo الواقع منزله على مسافة ساعة واحدة من المحطة . أما حواش افندى فوصل فى اليوم التالى ليسوى بعض المسائل عند الشيخ البادى ذكره .

وبارح جونكر منزل كودابو فى ١١ مارس وبعد ان ارتاد بعض الاقاليم رجع الى محطة كوبى بعد ان غاب عنها ٢٠ يوما . وزايل هذه المحطة فى ٦ أبريل ليقوم بجولة واسعة النطاق بلغ خلالها الغابة الكبرى التى يقيم بها مشاهير الاقزام . ثم عاد ولم يدخل فى تنجازى إلا فى ١١ يوليه وذلك بعد غياب أربعة أشهر ونصف شهر جاب فى غضونها ٦٠٠ كيلومتر تقريبا .

وأقام فى تنجازى فى أكواخ حواش افندى وكان هذا عندئذ غائبا يتفقد أحوال مراكز الغرب وتنفس الصعداء إذ وجد فيها كازاتى الذى كان قد قفل راجعا من ريادته .

سفره الى ريادة أخرى والى مديرية بحر الغزال

وكان جونكر قد أصابه الاعياء والتعب من جراء هذه الريادة الطويلة وحدث أيضا بجسمه جروح تستوجب العلاج فاضطر أن يطيل مدة اقامته فى تنجازى لغاية ٨ أغسطس . وفى نفس هذا التاريخ استأذن من كازاتى وتركه فى المحطة واتخذ سبيله ميمما شطر الشمال الغربى موليا ظهره لآخر مرة بلدة ممبتو التى يصف جنس سكانها بأنه أعرق الاجناس بين سكان أواسط افريقية فى المدنية .

ويجتاز الطريق الذى مر به جونكر مملكة مامبانجا القديمة لغاية محطة حواش افندى الأولى . وكبير هذه المملكة حالا امبيتيما Mbittima الذى خلف مامبانجا . وفى اليوم التالى لسفره قابل حواش افندى وقد كان ذاهبا ليقمع ثورة شبت نيرانها فى بلاد الابرامو . وعلم جونكر ان مامبانجا فتح باب الكلام طالبا معاونته لكى يسترد مملكته القديمة .

ووصل جونكر بعد أن فارق حواش افندى بستة ايام الى المحطة الاولى من المحطات التابعة لهذا الاخير ورأى الخطى الواسعة التى خطتها هذه المحطة فى سبيل التقدم من بعد زيارته الاخيرة لها .

ورأى بها ذلك الشيخ الهرم مبورو ولم يزل هاشا باشا كعهده به فى المدة السابقة ولم يدعه إلا بعد ان عبر به نهر « وليّه » سليما طيبا فى ١٤ أغسطس .

وفى ٢٨ أغسطس بلغ جونكر محطة صغيرة أنشئت حديثا فى بلاد المادى

بها ١٥ جنـــــديا سودانيا بقيادة رجـل يقال له سليم افندى . وأقام بهذه المحطة ثلاثة ايام وسافر منها فى اول سبتمبر ووصل عند شيخ يقال له يابانى فى ٧ منه . وفى هذه الجهـة تلقى خطابا من كازاتى ينبئه فيه بعودة أمين بك من الخرطـوم الى لادو واعتزامـه زيارة بلاد ممبتـو قريبا . وهـذه الزيارة لم تحدث فى الواقع ونفس الأمر إلا فى العام التالى . وأخبره كذلك ان حواش افندى عين نهائيا مديرا لمديرية ممبتو .

وفى ١١ سبتمبر من عام ١٨٨٢ م فارق جونكر « يابانى » Yapati وقام بزيادة فى مديرية بحر الغزال ولبث بها الى آخر هذا العام .

ولهذه الرحلة تتمة نذكرها فى الملحق الأول للسنة القادمة .

٢ — ملحق سنة ١٨٨٢ م

رحلة اليوزباشى كازاتى في مـديريـة خط الاستـواء

القسم الثـالث

من أول ينـاير لغاية آخر ديسمبر

سافر كازاتى فى أواخر ايام العام السالف من تنجازى ليقـوم برياده أخـرى فى بحـر الغزال . وبعـد أن غاب ستة أشهر عاد ثانيـة الى تنجازى فى ٢٨ يونيه سنة ١٨٨٢ م .

وفى خلال غيابه هذا استجدت حوادث أخرى .

فقد سافر امـين بك الى الخرطوم فى شهر مارس اجابة لدعوة رءوف باشا حكمدار السودان العام الجديد . وكان جـــواش افندي قد دخل فى مفـاوضة مع الرئيس جمبـارى اثناء هــــذه الغيبـة وفكـر فى أن يحـاول بالتواطىء مع مامبانجا احتلال مملكة أزنجا وسولت لمامبانجا نفسه الاستيلاء على عرش مملكة أزنجا فوطىء بنعليه كل خـلة حميـدة وارتضى أن يذهب لقتال خاله وولى نعمته أزنجا .

وبعد أن تم هــــذا الترتيب فى شهر أغسطس هاجم جيش المغـيرين المـــؤلف من عـرب وأتباع جمبارى مملكة أزنجا ولم يشترك فى هـذا

القتال الجيوش النظامية .

وفوجىء أزنجا بهـذه الغارة فلم ير مناصا من التسليم والخضوع وعلى ذلك قرر حواش افندى خلعه عن عرش ملـكه وأحل محله مامبانجا .

ولما بلغ هذا الحادث أمـــين بك أمر باستدعاء حواش افندى واستدعاء كاتبه عمر افندى عارف وألغى هذا القرار .

وفى نوفمبر سنة ١٨٨٢ م اتخــذ كازاتى سبيله فى السير من جديد قاصدا زيارة الاقطار التى لم يستطع ارتيادها فى رحـــلاته السالفة بسبب ممانعة أزنجا وقضى فيها بقية العام .

ولهذه الرحلة تتمة نذكرها فى الملحق الثانى للسنة القادمة .

سنة ١٨٨٣ م

من

حكمدارية أمين باشا

انقطاع المواصلات بسبب السدود

واجراء تغييرات بين الموظفين فى مختلف المحطات

يلوح أنه لم تحدث حوادث ذات بال فى الشهرين الأولين من هذا العام فى حكمدارية أمين بك ويظهر أنه كان مقيما فى خلالهما فى لادو .

وأول حادث هام حدث فى السنة المذكورة هو وصول الباخرة تلحوين فى ١٦ مارس من هذه السنة . ومن النادر جدا أن تصل باخرة من البواخر حتى انه متى قدمت واحدة منها ينشأ من قدومها حركة غير عادية فى لادو بسبب ما تجلبه من البضائع وتحمله من الأخبار .

وتتضح تلك الاهمية من البيان الآتى المدون به عدد البواخر التى قدمت فى ظرف ٥ سنوات (١) ابتداء من عام ١٨٧٨ لغاية عام ١٨٨٤ م :ـــ

(١) — يتضح من هذا البيان ان عدد السنين سبع لا خمس وقد أسقط من العدد عام ٧٩ و ٨٤ اللذان لم يرد فيهما بواخر .

فى ٣	يونيه	سنة	١٨٧٨	وصلت الباخرة الصافيـة		
« ٣	ابريل	«	١٨٨٠	«	«	بردين
« ٥	اغسطس	«	١٨٨٠	«	«	بردين
« ١٤	ينـاير	«	١٨٨١	«	«	امبـابه
« ١٩	«	«	١٨٨١	«	«	بردين
« ٤	يوليـه	«	١٨٨١	«	«	الصافيـة
« ١٨	ديسمبر	«	١٨٨١	«	«	بردين
« ١٣	يوليـه	«	١٨٨٢	«	«	الاسماعيلية
« ١٦	مارس	«	١٨٨٣	«	«	تلحـوين

والسبب فى قطع هذه المواصلات مددا طويلة السدود التى تقف حجر عثرة فى سبيل الملاحـة الأمر الذى ينشأ منـــه وقوف حركة تقـدم الحكمدارية وعماريتها .

وكانت الباخرة تلحوين تحمل على متنها عـــثمان افندى لطيف وكيـل المـــدير الجديد المعين محل ماركوبولو واحمد افندى رائف وهو من معاونى الحكمدارية . وهذه الباخرة هى خاتمة البواخر التى قدمت من الخرطوم .

وفى ١٤ أبريل رجعت تلحـوين وعلى ظهـــرها بخيت بك بتراكى و اسماعيـــل افندى خطاب و ٥٠٠ قنطار من العاج . وفى هـذا الوقت قدم اليوزباشى كازاتى الى لادو . ورآه فيتـا حسّان لأول مرة عند أمين بك وتعرف به . وباشر أمـين بك حينئذ القيام بتغييرات جمـة بين المستخدمين فى مختلف المحطات واستغنى الحـال عن مرجـان افنـدى الدناصورى قومندان محطة فورا سابقـا . وكـانت هـذه المحطة قد أخليت من الجنود . وعـين

ابراهيم افندى حلـــيم الذى كان فيما سلف قومندان فاديك رئيسا لمحطة لابوريه وعـــين على افندى جبور رئيس هـــذه المحطة الاخيرة قومندانا لجنـودها .

تمرد الدنكاويين وكبح جماحهم

وقامت بذهن مرجان على افندى قومنـدان مركز رول وأخـــد اهالى بارى وكان فى بادىء الامر ترجمانا لا أكثر وعـين مباشرة فى هـذه الوظيفة ، فكرة مشئومـة وهى الشروع فى القيـام بغارة ضـد بـلدة طائعـة دون أن يأخـذ بذلك أمرا . وكانت النتيجة ان تألب عليه الدنكاويون برمتهم فانقلبت عليه الآية والتوى عليـه الأمر وأبيد هو ورجاله على بكرة أبيهم . وأرسل عندئذ محمد افندى الصيّاد قومندان دوفيليه الى رول ومعه فصيلة من الجند مؤلفة من حامية المحطات التى أخليت .

وفي أوائل مايو سافر أمين بك من لادو لتفقـد مركز ممبتـو الذى ألحق بحكمداريته وكان لم يره الى هـــذا الحين ورافقـه فى رحلته هـذه كازاتى . وبما ان عثمان افندى لطيف وكيل الحكمدار الجـديد كان قد قدم الى الحكمدارية من عهد قريب ، فقد قال امين بك لفيتا حسان انه آسف لعدم أخذه معه لأنه يؤثر ان يتركه مع وكيله ليساعده فى إنجاز الأعمال بفضل خبرته .

وبعد سفره بأيام قليـلة ورد الى لادو نبأ تمرد الدنكاويين واندلاع لهيب الثورة فى رول مرة ثانيـة وابادة حاميـة محطة جـــوك مختار برمتها واهـلاك قسم من حاميات محطتى رومبيـك وأجـــاك والذين بقـوا من حاميات هـاتين

المحطتين الاخيرتين استطاعوا النجاة والانضمام تحت قيادة محمد افندى الصيّاد قومندان المركز .

وبلغت هذه الاخبار فى الوقت نفسه أمينا بك . وفى الوقت الذى بارحت فيه لادو حملة مؤلفة من ٩٤٠ جنديا مسلحين ببنادق رمنجتون ومدفعين جبليين بقيادة اليوزباشى سليمان افندى السودانى وهو ضابط باسل شجاع بقصد معاونة جنود رول ، كان أمين بك من جهة أخرى قد بعث ابراهيم افندى جورجورو قومندان مكراكا ومعه ٦٠٠ رجل بعضهم العساكر غير النظاميين والبعض الآخر من السودانيين .

وكانت جنود الحكمدارية فى هذا الحين مؤلفة من ٢٠٠٠ رجل منهم ١٠٠٠ من العساكر النظامية و ٥٠٠ خطرى و ٥٠٠ من التراجمة . ومع ذلك لم تكن هذه هى القوات الوحيدة التى يمكن الحكمدارية أن تستند عليها بل عندما تشتبك فى قتال مع قبيلة أظهرت العصيان وأبدت روح التمرد تنضم رجال قبيلة اخرى برضاها واختيارها الى رجال الحكومة وتحارب فى صفوفها . ولأولئك الرجال فى ذلك فائدة مزدوجة وهى الدفاع عن نفس أراضى مملكتهم لأنه لو انهزمت جيوش الحكومة التى تحميهم بمالها من الحول والطول فالظافرون يغزون بلدهم . أما اذا انتصرت الحكومة بهمة الزنوج فهؤلاء يشنون الغارات على البلد المقهور ويرجعون منه بالغنائم وخصوصا الانعام التى هى أجل مطلب تصبو اليه نفوسهم .

وطلب أمين بك عدا الستمائة الذين أرسلهم لمحاربة الدنكاويين الذين نشروا راية العصيان الى لبتون بك مدير بحر الغزال فى الوقت نفسه

أن يبعث بنجدات الى ميدان القتال . ومما قاله له فى خطابه ان جنود بحر الغزال تستطيع ان تنتهز هذه الفرصة لتجلب لمديريتكم قطعان الماشية التى تنقصها كل النقصان .

وعلى ذلك أرسل لبتون بك ٤٠٠ خطرى بقيادة مختار افندى وهؤلاء انضموا الى جيوش أمين بك وبانضمام هذين الجيشين الى ما تبقى من حامية رول بلغ عدد الجميع ١٢٠٠ رجل منهم ٧٠٠ جندى من الجنود النظامية والخطرية و ٥٠٠ مساعد من الزنوج .

وسارت الحملة من أجاك حيث كان قد تم انضمام هذه القوات جميعها وانتهت باخضاع الدنكاويين التام بعد محاربة استمرت ثلاثة شهور واستولى الجيش على مبلغ كبير من الغنائم وأرسل مقدارا كبيرا منها الى بحر الغزال مع جنود لبتون بك وكان هذا قد أرسل ايضا الى امين بك ١٧٠٠٠ ظرف جبخانة .

واستمر امين بك فى سفره لتفقد الاحوال فى مركز ممبتو اتباعا للخطة التى كان اختطها ووصل الى ذلك المركز فى شهر يوليه . وفتش محطتى تنجازى و « بليما » Bellima وأمر باعدام الرئيس الزنجى الطائر الصيت مامبانجا . وبينما هو يتأهب لافتتاح طريق جديد من جانجو الى واندلاى Wandelai إذ جاءه نبأ قطع المواصلات مع محطة شمبي بفعل رجال الدنكا .

ولا يعلم بالتدقيق ماذا حل بحامية هذه المحطة ويروى بعضهم ان الدنكاويين دمروها تدميرا ولم يبقوا على أحد من رجالها . ويروى البعض الآخر

انه امكنها الاقلاع مع قائدها والتوجه الى الخرطوم طلبا للنجاة .

وتلقى أمين بك هذا الخبر وهـــو فى تنجازى فعجل بالاياب الى لادو تاركا وراءه اليوزباشى كازاتى . ودفعت الوقاحة رئيسا من الرؤساء الزنوج الى قطع الطريق بين ممبتو ومكراكا على السابلة ونهبهم وسبى من قدر عليه من النساء حتى بلغ من أمره ان قبض على ضابط وحجزه اسبوعين .

ولعدم استطاعة امين بك احتمال مثل هـــذه الحالة انذره وشدد عليه بالمثـــول أمامه فأبى . فوجه عليه قوة حاصرته فى قريته وألقت القبض عليه واخـــذته أسيرا وغنمت عشرين بندقية من البنادق التى كانت فى حوزته وعددها خمس وثلاثون أما هـذا الرئيس فأرسل الى احدى المحطات الشرقيـة حيث أودع غيابة السجن .

ولدى وصول امين بك الى لادو وجـــد التذمر باديا على وجوه جنـود المحطة من قائدهم عبد الوهاب افندى طلعت لشدته فأحـــل محله اليوزباشى على افندى سيد احمـــد وعين عبد الوهاب افندى معاونا اول للمديرية ثم أمر ابراهـــيم افندى جورجورو ان يبارح مركزه مع ثلة من جنوده ليفتح المواصلات مع شمبى لكى يتحقق مما حل بربوعها لأنه لم يرد الى ذلك الوقت ما يثبت أو ينفى خبر تدمير حاميتها . ولم تتخذ هذه التدبيرات مراعاة لشدة مسيس الحـــاجة الى تلك المحطة بل لمعاقبة الزنوج بنوع أخص حتى لا تظن البواخر القادمة من الخرطوم لدى رؤيتها مدمرة أن التمرد ضارب اطنابه فى ارجاء الحكمدارية .

وأصدر امـــين بك امرا الى عبد الوهاب افندى طلعت عندما كانت

حامية شمبي وحدها محاطة بالثوار وفرغت مؤونتها ، أن يمدها بالمؤونة من محطة بور .

ونظرا لعدم وجود باخرة أقلع عبد الوهاب افندى ومعه ١٢ جنديا على ظهر سفينتين لتتميم هذه المأمورية وتركهما تنحدران مع التيار بدون أشرعة . ومع أنه من أمد مديد لم ترد أية باخرة ولا أى خبر من الأخبار ومع الجهل التام بالمسائل المحزنة التى كانت تقع فى أنحاء السودان كان لم يزل هناك أمل فى قدوم باخرة .

مكاتبات من امين بك يصف فيها حالة الحكمدارية
بعد ثورة المهدى

وانتقل فيتا حسان الى الرجاف فى شهر سبتمبر ليتفقد جنود هذه المحطة . وبعد ان قفل أمين بك راجعا ودخل لادو تلقى قبيل منتصف الشهر المذكور مكتوبا من جونكر صادرا من ممبتو يطلب فيه امداده بالأخبار فرد عليه بتاريخ ٢٠ منه يقول انه كان سافر الى ممبتو ومنها أعلم الاهالى طرا أن طريق لادو مفتوحة أمام كل من كان له شكاية ، وأن مامبانجا قضى نحبه — والحقيقة ان امين بك أمر بقتله فقتل وسيرى القارىء فى رحلة جونكر ان هذا يلومه على فعلته هذه — وان فى انقضاء اجله خلاصا من مشاكله لأن فى وجوده تهديدا مستمرا للبلد ، وان مامبانجا أقسم فى الواقع ونفس الأمر ان يقتله هو و جونكر و كازاتى . وقال علاوة على ذلك انه لم يأته من زمن بعيد أخبار من الخرطوم وانه يخشى ان تكون الحوادث انتقلت من سىء الى أسوأ .

وبما ان السفر من طريق بحر الغزال قد يكون خطرا وجه امين بك الى جونكر النصح بأن يحضر رأسا الى لادو ومن هذه يمكنه الرجوع بسهولة الى أوربا عن طريق أوغندة . وقد شكره جونكر على نصيحته هذه وقال انه سيعمل بها .

وفى ١٩ أكتوبر كتب امين بك الى الطبيب شوينفورث Scheinifurth رسالة ينبئه فيها بعودته الى لادو التى وجدها مغمورة بماء النيل الذى ارتفع عن مستوى فيضان سنة ١٨٧٨ م الخارق للعادة . ويقول ان جنوده لم تزل للآن ضاربة فى بلد الدنكاويين . أما هذا البلد ففى وداعة وهدوء ومثله بقية انحاء الحكمدارية والكل يسير تدريجا فى سبيل التقدم والرقى وانه يأمل أن يرى إيراداته تربو على زهاء ١٢٠٠٠ جنيه مصرى على مصروفاته فى هذا العام .

وفى ٢٩ نوفمبر كتب امين بك مرة أخرى الى الطبيب شوينفورث يخبره أن الأحوال سائرة سيرا رديئا فى بحر الغزال حيث قسم المديرية الشمالى برمته قد نشبت فيه مخالب الثورة وانبث فى أرجائه روح التمرد . وان لبتون بك فقد فى الحرب التى أدار رحاها على الثوار العدد الأكبر من زهرة جنوده الذين لم يكن عددهم من قبل وافرا وفرة كبيرة . وأن الدناقلة ينشطون للانصال بالمهديين فى كردفان . وان الرقيق يباع بالأثمان الآتية وهى : الصبى الواحد يباع بـ ٣ دست ظروف جبخانة و الخمس البنات يبعن ببندقية واحدة من طراز رمنجتون .

تقـــرير بموارد مديرية خط الاستواء

وكتب أمين بك فى هـــذا العام مذكرة عن موارد حكمداريته وهذه نسخة منها :

« لقـــد تحقق أن أهم موارد ميزانيـة السودان هو العاج . وأن الذى يرد منه من المنطقة الجافة والجبلية الواقعـــة شرقى النيـل هو أصلب أنواعه ولذلك هـــو أغلاه ثمنا وأكثره طلبا . وفى عهد غوردون تقررت ملكية الحكومة لهـذا الصنف بجملته مع ان تجارته ظلت حـــرة فى بلدى أوغنـــدة و الاونيورو وغيرهما . ولهذا السبب بات وجود أى مشروع خاص يرمى الى استغلال هـــذه المادة مستحيلا . وبما أن هواة العاج من العرب والأوربيين لم يتعودوا الى الآن المجىء بأنفسهم ليمتاروا منه حاجاتهم من مصادره فقد انحصر انتاج السودان فيما يورده الاهالى من قناصى الفيلة ولذا نما وكثر هـذا الحيوان فى جميع أنحاء مديرية خط الاستواء بالذات بحيث اضحى فى كثير من الاماكن كارثة حقيقية . أما فى قسم بحر الغزال الشمالى فقليل الوجود .

« والسبب فى استمرار وفـــرة المعروض من العاج للتجارة يرجع الى أن البلاد الممتدة لشطر الجنوب والغرب بعد الحـدود المصرية بمسافة كبيرة ضرب عليها جزية توردها من هذا الصنف ومع هـذا فقد لوحظ وجود نقص محسوس فى كميته منذ بضع سنوات .

« وتورد مديرية خط الاستواء سنويا زهاء ١٢٠٠ قنطار من العـــاج يبلغ ثمنها ٣٠٠٠٠ فرنك . ومن الصعب تحديد الكمية التى توردها مديرية

بحر الغـــزال وما ذلك إلا لأن العاج الذى يصدر الآن الى الخرطوم لا يحتوى على الانتاج الحقيقى لحسب بل يشمل المقادير المتكدسة منه من زمن مديد وهو العاج الذى كان أصحاب الزرابى قد جمعوه فى الزمن السابق مثل الزبير باشا و على عمورى وغيرهما .

« ومع ذلك فقـــد يعرض المرء نفسه لخطر الوقوع فى الخطأ لو قصد الحكم على قـــوة انتاج البلد مرتكنا على محصول العاج دون سواه . أما مصروفات الادارة فباهظـــة وستزداد مـــع توالى اتساع الأراضى . وطريقة الاحتكار الضارة التى يئن تحت أثقالهـــا حوض البحر الأبيض بأكمله هى عقبة كأداء فى طريق الاستعمار وبالتالى في سبيل زيادة الايرادات من وراء الضرائب على التجارة أو الزراعة . وسيأتى بلا ريب يوم قريب لا يقوم فيه العاج بالمصروفات التى ستكون هي الأخرى قد اخذت دورها فى الازدياد .

« ويتكون من اسنان فرس البحر و الكركدن مادة لا تقدر لها قيمة كبيرة إلا أنه سيأتى يوم غـــير بعيد نزداد فيه ثمنها وفى استطاعة مديرية خط الاستواء أن تورد من تلك المـــادة مقادير كبيرة إذا وجد لها مشتر .

« واذا كان النعام يندر وجوده غرب بحـــر الجبل لوجود الغابات ويوجد شرقه بأسراب عديدة ابتداء من لاتوكا فقد لا يراه الانسان يتناسل بكثرة أكبر من التى يراه بهـــا فى رمال سهول لانجو . ويبادل أهالى هذه المنطقة الأقوام الرحل الضاربين بجوارهم ريشه بحديد . وكثيرا ما يرى الانسان فى القرى الكبيرة البعيدة الواقعة فى الجنوب الشرقى زرائب

للنعام يسرح فيها صباحا ليرعى ثم يرجع فى العشى مع الحمير والثيران .

« ولا يقل ريش نعام تلك المنطقة عن أحسن ريش للنعام فى كردفان بهاء وجمالا وقد يصح اتخاذه مصدرا لتجارة واسعة النطاق . وفى عام ١٨٨١ م أى منذ عامين جربت تربيته فى المحطات غير ان هذه التربية لم تأت بثمرة عظيمة الى الآن ويمكن أن يعزى السبب فى ذلك الى صغر سن أفراخه الذى يحول دون استعمالها للتناسل وهذه التجارب تستوجب على كل حال لفت النظر لأن ثمن صغار النعام زهيد للغاية وتربيتها تدرك بسهولة كبرى بحيث أن استغلال مشروع من هذا النوع لا يستلزم رؤوس أموال طائلة ومن جهة أخرى يأتى بفوائد مرضية .

« ولا حاجة للكلام بصدد تشجيع تربية النحل فى المناطق المأهولة بالزنوج لأن النحل يتربى هناك وحده بدون أية عناية . فالأهالى يكتفون بتعليق سلال فى الأشجار وهذه السلال إما أن تكون مجدولة كما يفعل الدنكاويون و المكراكاويون أو مصنوعة من قشور الأشجار كما يفعل سكان الجنوب . ومن المعتاد تعليق سلة واحدة فى كل شجرة وقد يعلقون مع ذلك فى بعض الأحايين عدة سلال . والمهم أن تكون السلال متفرقة عن بعضها فلا توضع الواحدة منها بجانب الأخرى . ويطيب النحل نفسا بالمأوى الذى عرض عليه ويأخذ على عاتقه تأدية وظيفته . وحالما تمتلئ سلة يطرد منها النحل باطلاق الدخان عليه ثم يجنى الشهد وتختلف أنواع هذا الشهد باختلاف النواحى التى يصدر منها واختلاف طرق تحضيره . فشهد دنكا ومكراكا قاتم اللون حتى يكاد يكون اسود والسبب فى ذلك انه يصفى بواسطة النار . وأجوده ما تصدره البلاد الجبلية فهذا يكون

طيب الرائحة كثيرا ورائقا كالماء .

« أما الشمع فلا يستعمل فى شيء وكل ما فى الأمر انهم يتخذون منه مشاعل وهذا فى القليل النادر . ولم تقع عينى على واحد من الأهالى يأكل منه بل كل ما هنالك انه يلقى فى الارض بعد استخراج الشهد منه . وقد استودعت فى ظروف كثيرة بالمخازن اكداس منه فتلفت واستحال نقلها وصيرتها الديدان غير صالحة لأى شيء ولو كان مسموحا للتجار شراء الشمع لكانت الحكومة هى أول من انتفع من هذا الشراء .

« وقد تكفى جلود الثيران التى ينحرها الجيش وحده لتغذية سوق الخرطوم . وبضم جلود ما يستهلكه الاهالى من هذا الحيوان لها وكذلك جلود الضأن والمعز التى لا يستفاد منها شيء ، يتكون من مجموع ذلك كمية هائلة . على أن تكاليف النقل قد تزيد فى ثمن الجلود الأصلى زيادة محسوسة غير انى أرى انه فى حيز الاستطاعة التخلص من جزء منها وذلك بدبغ الجلود فى أماكن تصديرها . وقلما توجد بلاد تضارع افريقية الوسطى فى غناها بمواد الدباغة . ولا شك أنه لو عملت تجارب لعادت من ورائها ارباح طائلة . وتستعمل أكثر الجلود فى الوقت الحاضر لحزم البضائع بحجة ان هذا الصنف لا يجد تصريفا فى الخرطوم .

« ولا شيء أسهل من الحصول على جلود الجاموس والأوعال والزرافى وحيث انه لا يوجد لها طالب بتاتا فتستعمل فى نفس البلد لعمل الاحذية والقرب وغيرها وكذلك الحال فى جلود الكركدن إذ تستعمل لصنع السيور والسياط « الكرابيج » .

« أما القراء فلا يخطر على بال انسان هنا أنه من المستطاع جنى أية فائدة منها . وبصرف النظر عن الكلام بصدد الحيوانات المفترسة الكبيرة كالاسد والنمر والسباع الاخرى فانه يوجد فى سائر المنطقة كميات لاعداد لها من الحيوانات الاقل من الأولى حجما مثل النمس والسنور وغيرهما من الحيوانات ذات الجلود الثمينة . ولا بد أن اذكر بنوع أخص ضربا من كلاب الماء يسمى لوتر Loutre وهو كثير الوجود فى جميع مجارى المياه الكبيرة وجلده ينافس فى النعومة والجمال جلد أحسن نوع من هذه الكلاب يسمى كاستر Castor . ولا يمكن غض النظر عن الكلام عن بعض أنواع القردة مثل كولوبوس كويرزا Le Colobus Quereza والأوعال المختلفة المبرقشة مثل تراجيلافوس اسكربتوس Le Tragelaphus Scriptus و السيلافوس بوباليس L'Alcelaphus Bubalis و الزرافة و حمار الوحش وليكاون بيكتوس Le Lycaon Pictus وكل هذه الجلود قد يبيعها الأهالى بثمن بخس ويوردون منها كميات لا عداد لها وأضف الى ما ذكر الخراف والمعيز ذوات الشعر المستطيل التى ترد من نواحى امسوجا Msoga وبلاد اللوريين وهى تشبه معيز أنقرة .

« وقد تستطيع قطعان الثيران الهائلة التى ترعى فى المناطق الجنوبية أن تغذى اسواقا واسعة للحيوانات المعدة للذبح اذا كانت الأهالى لا يبدون اشمئزازا ظاهرا من بيع دوابهم . أما حالة مديرية بحر الغزال فقد يعد فيه المالك لبقرة واحدة من أسعد السعداء . والماعز والضأن فى ذلك المركز قليل الانتاج . وقد أضحت الغارات منذ أربع سنوات مستحيلة الوقوع فى خط الاستواء بالذات . ولقد يجنى المرء بلا جدال فوائد جمة من

وراء تربية المواشى فى أرجائه اذا أحسن تربيتها .

« ومما يستحق الذكر الحمار والجمل . ويوجد هذان النوعان فى الشرق والجنوب الشرقى . وفى حيازة كل قرية من قرى عموم قسم اللانجو Lango الواسع الارجاء والممتد من عكارا Accara الى طوركانى Tourcani قطعان كثيرة من الحمر لا ينتفع أربابها منها بغير لبن إناثها . ولم يخطر ببال انسان من سكان هذا القسم المفتحة سبله فى وجوهنا أن يستفيد من هذه الحمير بعمل ما . وحمير لادو متوسطة القدود وأرجلها بيضاء وبأكتافها شيات سوداء . وقد صار اختبارها فأسفرت التجربة عن صلابة عودها صلابة لا بأس بها وصبرها على المشاق متى كان هنالك اعتناء بها . ولقد بوشرت تربيتها فى مديرية خط الاستواء ابتغاء تصديرها الى بحر الغزال حيث تباع بأثمان بخسة .

« ويؤدى الجمل نفس عمل الحمير فى شمال هذه المنطقة عند أهالى الجالا Galla الغربيين . وليس من النادر ان تقع العين هناك على قطعان يحتوى القطيع منها على ٥٠٠ الى ٦٠٠ رأس من الجمال . والعبرة عند أولئك الأقوام بالالبان لا بنفس الحيوان . نعم ان الاراضى الرملية المترامية الاطراف ذات الاشجار الضئيلة والآبار المالحة الواقعة فى ذلك الفيح صالحة صلاحا تاما لمعيشة الجمال إلا أن القليل النادر فقط من العدد الذى أحضرته منها الى الرجاف ظل محتفظا بخواصه .

« ولقد حاولت من زمن بعيد أن أدلل على المنافع التى ينتظر أن تجنى من وراء تعويد الجاموس الأليف مناخ البلد إلا أنى لم اتوصل الى الآن لأن اظفر بواحدة منه مع أن شوارع الخرطوم لا تخلو من وجوده .

ويوجد لدينا كل ما يلزم لفلاحه ونموه تحت سماء إقليمنا من حر وماء وطين ومراع أعشابها مرة المذاق . ومن جهة أخرى فان هذا الحيوان المسخر لا تتطلب تربيته إلا الشيء التافه جدا ولا يستطيع المرء ان يتصور وجود حيوان مسخر للخدمة أوفى منه بحاجة اناس ران على طبيعتهم الكسل وتأصل فى نفوسهم كالأمة السودانية . وعلاوة على ذلك لو وجد الجاموس لكان للاهالى من ألبانه غذاء فاخر .

« ان تجارة الحيوانات البرية الحية قد انتشرت بسرعة على سواحل افريقية بواسطة سهولة النقل ومع هذا لا يخطر على بال بشر أن لدينا هنا من الحيوانات ثروة لا يستهان بها . وما علينا إلا أن ننظم الملاحة لغاية الخرطوم وهنالك لا تلبث الأسواق الخاصة بالحيوانات أن تجد من حيواناتنا الأهلية أنواعا عديدة مختلفة . وطلبات هذه الأسواق وحدها كافية لأن تبعث فى هذه التجارة الخصوصية الروح والحركة .

« ومن الحبوب التى تزرع هنا بكميات كبيرة الذرة والطلابون والدخن والسمسم . ومن الصعب تحديد مقادير حاصلات هذه الأصناف فى مديرية خط الاستواء بالارقام حتى بوجه التقريب . غير انه لو أطلق الانسان لنفسه عنان التفكير فى أمر هذه الحبوب التى هى أساس التغذية فى منطقة تمتد لغاية الدرجة الثانية من خطوط العرض الشمالية بل وكثيرا جدا ما تقوم بجميع التغذية ورأى المقادير الكبيرة التى تؤخذ منها لعمل المريسة وهى الجعة الأهلية وعاين الأضرار الجمة التى تحدثها عشرات الالوف من العصافير والطيور والقطعان التى لا عداد لها ، لاقتنع بجسامتها .

« ومن رأيي ان تصديرها قد يعود بفوائد وإن كانت الأثمان التي تباع بها بخسة . ومن الممكن على كل حال استعمال الحبوب للتقطير في كل وقت وزمن . ولا بد من التصريح بأن الأهالي تلتهم مع تمام الارتياح كميات الكحول الهائلة التي ترسلها مصر سنويا باسم عرقي ومشروبات روحية وغير ذلك .

« ولماذا لا تقطر الحبوب في محال مصادرها بالذات ؟

« ان بعض التجارب التي أقدمنا عليها لم تأت إلا بحصول درجته منحطة كثيرا . ومما لا ريب فيه اننا يمكننا الوصول الى انتاج أحسن إذا أحسنا وسائل التقطير . وتجود الذرة التي يستخرج منها الكحول الفاخر تحت سمائنا جودة عجيبة وتزداد المساحات التي تزرع فيها مع توالي السنين . ويزرع علاوة على هذا الحب أنواع منوعة من الفاكهة والنباتات التي بجذورها غدد كالبطاطس .

« ولقد تيسر للسير صمويل بيكر استخراج الكحول من البطاطا ويتعاطى الزنزباريون المقيمون في أوغندة بكثرة نوع العرقي المصنوع من الموز . وكل أنواع هذه المشروبات لها طعم يوافق أذواقهم وحدهم وهو في الحقيقة طعم غير مقبول ويمكن أن يعزى ذلك الى عدم اتقان الطرق التي تستعمل في تقطيره .

« وظلت تجربة زراعة الحنطة للآن غير مجدية . أما الأرز فقد أتى على خلاف ذلك بحصول عوض على مزارعيه أتعابهم تعويضا كبيرا . وفي عام ١٨٧٨ م تلقيت من أحد العرب في أوغندة رسالة صغيرة من الأرز

فاستعملتها فى الزراعة للتجربة فأتت بنوع لا بأس به إلا ان حبته صغيرة ولونه ضارب للحمرة . وجربت بعد ذلك بذرة وردت من ديار مصر والأرز الذى نحصده اليوم لا يقل عن الارز الذى يزرع فى الوجه البحرى فى شيء . وتنحصر بالطبع الزراعة فى حقول المحطات لأن الشعوب السوداء لا تصبو أنفسهم الى شيء من ذلك مطلقا . وترتضى هذه الأمم التى لم تزل على الفطرة الأولية بما كان عليه آباؤها وينبغى على الولد أن يقتنع بالحالة التى وجد عليها أجداده . واذا كان من النادر أن يرى الانسان زنجيا يربى عصفورا أو حيوانا من الحيوانات ذات الضرع فمن الاندر أن يراه مشتغلا بزراعة الأشجار أو الحدائق .

« وفى مقدمة المواد الدسمة التى تستخرج من النبات الشيرج لكثرة ما يستخرج منه ومع ذلك يضيع منه تماما الثلث لفساد الطريقة المتبعة فى استخراجه وينتفع به انتفاعا كبيرا وهو جديد ومتى أزمن ينعقد ويكتسب طعما خاصا يذكر متعاطيه بطعم الفاكهة .

« ويأتى بعده زيت الفول السودانى وهو أفضل كثيرا من الأول رائق اللون صافى المادة ويبقى زمنا طويلا حافظا جدته بدون أن يتطرق اليه الفساد وليس له رائحة أصلا وهو أحسن الزيوت المعدة للطعام . وتنتشر زراعة الفول السودانى انتشارا كبيرا فى سهول بلاد الدنكا الرملية الفيحاء بالاخص . ويكثر أيضا من زرعه أهالى بلاد السنده Le Sandeh و ممبتو وتمتد زراعته بالتدريج فى شرق دوفيليه حيث الارض تصلح لنموه صلاحا كبيرا . وبما ان استخراج هذا الزيت يلاقى صعوبة أكثر مما يلاقيه استخراج زيت السمسم فقد أتى محصوله بكميات أقل كثيرا مما ينبغى ان

يكون بالقياس الى وفـــرة مادة الزيت التى فى الفـــول السودانى . وأذكر بصدد الفول السودانى أمرا فيه شيء كثير من الغرابة . ذلك ان هذا النوع وان كان بوجه عـــام مطلوبا ومستعملا حتى ان الحيوانات نفسها تنبش عليـــه وتستخرجه من بطن الأرض لتستلذ بمأكله إلا انه مشهور فى بعض النواحى بأنه ضار بالصحة ولذا لا يعتبرونه من المـــواد الصالحة للتغذية .

« ويستخرج من النبات المعـــروف باسم « ايتيس سبيسيجيرا » Hyptis Spicigera زيت لا بأس به ولذلك يزرع فى كثير من الجهات وهكذا الشأن فى نوع من القرع صغير يقال له أمبريكه Ombreké يزرع فى مكراكا ويستخرج من بذوره زيت طيب للأكل .

« ولا ينبغى أن يفوتنا ذكر الشجر المسمى « الايس جينينسيس » Elais Guiheansis . وزراعة هذا الشجر عامة فى الجنوب الغربى من أراضى خط الاستواء . وثمره يستخرج منه زيت غزير . ويظهر انه يوجد شمـــالا على مسافة أبعد فى المناطق الغربية . وعثر لبتون بك على كميات كبيرة منه عند الدرجة السادسة والدقيقة ٤٢ من خطوط العرض الشمالى والدرجة ٢٥ والدقيقة ٢٠ من خطوط الطـــول الشرقى من جرينوتش . وقد يمكن الاستفادة من زراعة « الالايس » وهأنذا فى انتظار البذور الموعود بها بفارغ الصبر .

« وجميع هذه النباتات يستخرج منها زيوت سائلة . وهناك شجرتان تأتيان بدهن متجمد عندما تكون حالة الجو معتدلة وهما : ستيريوسبيرموم Le Steroespermum و باسيا باركى Le Bassi Parkü . ولا ينتفع الزنوج

أنفسهم بدهن الشجرة الاولى إلا فى التدليك وذلك بسبب رائحته . أما ثمر الباسيا الذى هو أشبه الأشياء بأبى فروة فيصنع منه دهن مليح للأكل وان كان مذاقه يشم منه رائحة الدخان . وزراعته منتشرة لهذا السبب لدرجة هائلة وقد رأيت من هذه الشجرة غابات مترامية الأطراف فى الجنوب الغربى .

« والعينة التى بعثت بها الى الخرطوم لتجربتها فى صنع الصابون نجحت نجاحا مبينا ولذلك طلب منها مقادير كبيرة . وبما أن كميات الصابون التى تستهلك فى السودان ترد جميعها من ديار مصر فأرى ان نشر صناعته هنا يأتى بفائدة . ونظرا لعدم العثور للآن على مورد للصودا فى السودان فمن اللازم استيراد هذه المادة من مصر غير ان ثمن هذا الصنف زهيد لدرجة ان دفعه للخارج لا يكون مانعا ذا أهمية فى سبيل هذه الصناعة .

« وفى الامكان جمع مقادير من الصمغ العربى من غابات شجر اللبخ غير انه يلزمنى بمناسبة ذكر هذا النوع من المحصول أن أجمل فى المقدمة الكلام على المطاط وما ذلك إلا لأن النباتات التى ينتج منها وهى الكاربودينوس دولسيس Le Carpodinos Dulcis و الكاربودينوس أسيدوس Le Carpodinos Acidus منتشرة فى جميع الانحاء جنوب الدرجة الثامنة من العرض الشمالى وبالاخص بجوار مجارى المياه حيث تكسو احراش بأسرها التلاع . وقرر تجار الخرطوم الذين أرسلت اليهم عينات انها من النوع الجيد وذلك رغما عما بها من العيب لاحتوائها على جانب من الماء . وهذا أمر يسهل علاجه لأن ذلك العيب ناشىء من استعمال الماء الساخن ابتغاء سرعة

تجمد المادة ولا تتطلب المسألة شيئا أكثر من الالتجاء الى طريقة صنع أحسن من الأولى ويقبل الزنوج على جمعــــه مع الارتياح عنـدما يوعدون بأجرة ضئيلة . وكثرة أشجار هذه المادة كثرة هائلة كفيلة بجنى محصول جيـد مدى سنين عـديدة . ولا بد أن تمس الحاجــــة بعد قليل الى تجـديد الزراعة اذا امتدت تجارته وراجت . والمنطقـة التى تورد المطاط فى الوقت الحاضر بكثرة مبتسو على ان الصنف الذى يرد منها أوطى من الذى يأتى من مناطق الدنكا الجافة إذ ان هذا يكون تام النقاوة وليست له رائحة .

« ويوجد غـير ذلك انواع كثيرة من المواد اللزجـة ـ البعض منهـــا عطرى الرائحـة ـ وللاستفـادة منهـا ننتظر تحليلها تحليلا كيميائيا لتعيين استعمالها وقيمتهـا .

« ويكثر وجـود التمرهندى وغلته جيـدة وشحمه أقل حموضـة من تمرهندى دارفور ومن ثم كان طعمـه مقبولا أكثر منه . وقصب السكر يكثر وجوده جهـة الجنوب فى بلاد أوغندة ويزرع فى سائر المحطات ويجـــود فى جميع الاماكن التى يجـــد فيها ريا كافيا . ويوجـد القطن فى جهات متعددة بأشكال خاصـة ففى بلاد البارين مثلا يزرعون نوعا يقال له جوسيپيوم Gossypium وهـذا تبقى بذرته خضراء عنـد النضج ويثمر قطنـا فتلته طويلة ناعمـة كالحرير . وبفضل بعض الدناقلة الذين صنعوا أنوالا يتعيش فى الوقت الحـاضر عـدد كبير من الناس من نسج الدامور وهـو نوع من الانسجة القطنية ملائم لمناخ اقليم السودان .

« ومما يستحق الذكر بطريقة أخص تبغ الاونيورو و لاتوكا . ومحصوله يرتبط طبعا باستهلاكه غـير انه لا شىء أسهل من توسعة زراعته وانتشارهـــا

لدرجة عظيمة .

« ويوجد البن بمقادير وافرة فى أوغندة حيث لا يخطر بفكر انسان تصديره . وينبغى تجربة زراعته فى مراكزنا الجبلية . وزراعة جوز الطيب عامة فى ناحية الجنوب وبالاخص فى ممبتو . وقد يعثر عالم نباتى بسهولة على كثير من النباتات الاخرى لها قيمة تجارية . وهكذا يكون لدينا مجموعة كاملة من مواد النسيج ومجموعة من مواد التلوين وغير ذلك من مختلف المجاميع . فأمامنا ميدان رحب فسيح مفتح الابواب للتجارة والصناعة وبالاخص فى الجنوب ومن المرغوب فيه مراعاة لمصلحة نفس البلد الاستفادة من مختلف الخيرات التي أودعها الله فيه بوفرة عظيمة .

« وأينما ذهب المرء يجد الكثير من الحديد الجيد . ومتى ذاب وسوته يد الصانع فى البلد نفسه انقلب أداة نافعة فيكثر طلبها خصوصا فى الشمال والغرب حيث أسنة الحراب والسهام الرديئة الصنع تقوم مقام الدراهم ويستعان بها مع الثيران فى مشترى النساء .

« ويقيم أمهر الحدادين فى ديار ممبتو ومكراكا والبعض منهم نال فى هذه الصناعة شهرة فائقة .

« ولا أعلم بوجود معادن اخرى لغاية الوقت الحاضر إلا ان هذا لا يفيد انه لا يوجد غير هذا المعدن . وأظن ان مديرية خط الاستواء تحمل فى بطنها من أنواع المعادن كنوزا خافية عن ابصار جميع العالم » . اه

١ — ملحق سنة ١٨٨٣ م

رحلة الطبيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء (١)

القسم الخامس

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

كان جونكر كما ذكرنا فى الملحق الأول للسنة الماضية قد شخص الى مديرية بحر الغزال ليقوم بريادات فى بعض أقسامها وأقام بها لغاية شهر نوفبر من العام الحالى . وبما انه قضى كل هذه المدة بعيدا عن مديرية خط الاستواء وهذا التاريخ خاص بحوادث هذه المديرية الاخيرة فقط فقد ضربنا صفحا عن ذكر ما وقع فى هذه الفترة .

وكان يبلغ جونكر وهو يؤدى رياداته تقدم ثورة المهدى المقلقة الرهيبة . ولما رأى ان المسألة قد دخلت فى دور جدى وأمست مديرية بحر الغزال برمتها تتأجج فيها نيران الثورة جمع رأيه على أن ينقلب راجعا الى مديرية خط الاستواء حيث كانت الحالة اكثر سكونا وهدوءا وكانت الأميال أكثر جنوحا لفكرة بقاء سلطة الحكومة ثابتة للسبب الآتى وهو ان قوات الحكومة التى فى بحر الغزال كانت أغلبيتها العظمى مؤلفة من الدناقلة

(١) — راجع الجزء الثالث من كتاب « رحلات فى افريقية » للطبيب جونكر .

والعرب وهؤلاء هم من نفس جنس الثوار المهديين ولذلك اشتركوا مع العصاة من وقت ما بزغ فجر الثورة وبدا روح التمرد . بينما قوة خط الاستواء كانت برمتها تقريبا مؤلفة من الجنود السودانية النظامية وهؤلاء لا يشعرون بعاطفة ميل للعصاة فحسب بل يشنئونهم لانه قد بلغهم ان المهديين عندما يأخذونهم أسارى يبيعون فى أغلب الأحوال نساءهم وأولادهم بصفة أرقاء . ولهذا رأينا هذه الجنود ذاتها بعد سفر امين باشا برفقة استانلى يأنفون الانضمام الى المهديين وينسحبون الى قرب بحيرة البرت نيانزا . وهناك ظلوا مقيمين إلى ان أتى اليوزباشى لوجارد Lugard وجندهم فى خدمة الشركة الانكليزية الشرقية الافريقية British East African Company . وهذا هو السبب فى ان مديرية خط الاستواء ظلت محافظة على سلطة الحكومة من بين سائر مديريات السودان الى النهاية وقاومت ثورة المهديين .

وفى ١٢ نوفمبر أخذ جونكر فى السير وفى أثناء الطريق تلقى الاخبار الآتية عن الحوادث التى وقعت فى بلدة ممبتو فى ايام غيبته وهى :—

عندما انهزم مامبانجا وطرد من بلدته اتخذ له مثوى ببلد رئيس آخر يقال له أزنجا . ومن هذه البلدة دخل فى مفاوضة سرية مع حواش افندى بقصد تحريض هذا على أزنجا ليحل هو محله . ولما كان حواش افندى يريد ان يتخلص من جميع الرؤساء الذين كانوا يضايقونه اتفق مع مامبانجا وحمل على أزنجا وحليفيه جمبارى و نيانجارا فأسرهم وبعثهم الى تنجازى ونصب مامبانجا فى مركزهم . وحالما بلغت أنباء هذه الحوادث مسامع امين بك استدعى حواش افندى ووظف عوضا عنه البكباشى ريحان افندى ، وهو ضابط سودانى لبث مدة طويلة مأمورا فى مكراكا ، وأرجع

فى الوقت ذاته أزنجا الى محله .

وكان امين بك قد رجع فى ١٤ يوليـــه سنة ١٨٨٢ م من الخرطـوم الى لادو بعد غياب أربعة أشهر . وفى ٦ مايو سنة ١٨٨٣ كتب الى جونكر بانه أرجَـع أزنجا الذى انتزعه حـواش افنـدى من مركزه حسبما سولت له نفسه لا لداع آخـــر وانه استدعى مامبانجا للحضور بطرفـه فى لادو وانه ينـوى ارساله الى الخرطـوم . وانه عين ابراهيم افندى جورجـورو مأمورا فى مكرا كا . وان بخيت بك أرسل الى الخرطوم مع آخر باخرة .

ويقـــول جونكر هنـا انه دهش لما علم ان امـين بك عين ابراهيم افندى جورجورو فى ذلك المركز الهام لأن ابراهيم افندى هذا لم يكن إلا رجـــلا نوبيا منافقـا يلعب لأمين بك وللمهديين على السواء . ولما أغار هـــؤلاء فيما بعد على مديرية خط الاستواء كان هـو أول من انخـرط فى صفوفهم وانضم الى جموعهم . هـــذا فضلا عن ان تعيينه بعث استيـاء فى نفوس الضباط .

وفى ٣ يوليـه تلقى جونكر خطابا من امين بك صادرا من تنجـازى حيث كان هـــذا الاخير قد انتقل يقول فيه ان مامبانجا قدم لزيارته وانه منحه شيئا من الهدايا ورجع الى اهله مسرورا . اما جمبارى فيرى انه من المتآمرين على الحكومة وان دوره سوف يأتى .

وفى ٢٠ سبتمبر كتب له امين بك من لادو يقـول انه لم يستطع لسوء الحظ ان يعامل اهـالى ممبتو معاملة شفقة ورحمة وانه يظن ان جونكر علم بموت مامبانجا الذى كان يعتبره مصدر خطر على جميع الناحيـة وانه قد يحتمل أن

يأتى دور جمبارى أيضا .

وعلم جونكر فيما بعد ان مامبانجا قتل فى الواقع ونفس الأمر بناء على أمر أمين بك فأسف لذلك أسفا شديدا لأنه كان يؤكد دواما لرؤساء الزنوج ان من صفات المدير العام الشفقة والرحمة . أما الآن فقد حل فى قلبه الندم وأخذت تساوره الظنون بأن أولئك الرؤساء ربما اتهموه بأنه عمل على خداعهم . وعزا جونكر كل هذه الامور الى تأثير ابراهيم افندى جورجورو المشئوم على أمين بك .

وفى ١٥ ديسمبر تناول وهو سائر فى الطريق حزمة كبيرة بها جرائد ومراسلات أتت الى لادو مع الباخرة الاسماعيلية فسر لذلك سروراً عظيما .

ولم يصل جونكر الى حدود مديرية خط الاستواء إلا فى آخر السنة .

ولهذه الرحلة تتمة نذكرها فى الملحق الأول للسنة القادمة .

---

٢ — ملحق سنة ١٨٨٣ م

رحلة اليوزباشى كازاتى فى مديرية خط الاستواء

القسم الرابع

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

سفره الى لادو

انقضت أوائل عام ١٨٨٣ م فى الريادة . وفى ٢٠ مارس عاد كازاتى الى واندى واستقبله فيها المأمور ابراهيم افندى جورجورو وأبلغ خبر قدومه الى أمين بك . وبعد عدة أيام ورد من أمين بك كتاب الى كازاتى ينبئه فيه بوصول الباخرة تلحوين من الخرطوم ويدعوه للقدوم الى لادو . وفى الحال قام وولى وجهه شطرها فدخلها فى آخر الشهر .

وكانت الاخبار التى حملتها الباخرة غير سارة فهى جميعها تتعلق بالحوادث التى وقعت عام ١٨٨٢ م من ثورة عرابى فضرب مدينة الاسكندرية الى واقعة التل الكبير وما وليها مضافا الى جميع ذلك المسائل الجارية فى السودان فى الوقت الحاضر بسبب الثورة المهدية . وكل هذه الاحوال لا تدعو بطبيعة الحال الى جلب الطمأنينة الى النفوس ولا تدعو الى التفاؤل بحسن المستقبل .

سفره مع المدير العام الى نهير دونجو
وإقامة محطتين هناك

وفى ١٤ أبريل فى الساعة العاشرة صباحا رفع العلم فى لادو إيذانا بسفر الباخرة الى الخرطوم وسافرت بالفعل .

وفى ٢ مايو غادر كازاتى لادو وكان معه هذه المرة أمين بك . وكانت وجهة الاخير ممبتو . واتخذا سبيلهما فى هذه الرحلة عن طريق واندى و مديرفى Mdirfi لبلوغ تانديا Tandia حيث ترك المدير العام حامية مؤلفة من العساكر غير النظامية . وذهب فيما بعد الى نهير دونجو Doungou وهناك أقام على ضفافه محطتين وأطلق على إحداهما اسم موندو Moundou وعلى الثانية دوندو Doundou .

وافترقا فى هذه المحطة الأخيرة فذهب أمين بك الى تنجازى حيث عاقب الرئيسين مامبانجا و باجويندیه Baguindè بالاعدام . وأخذ يستعد لارتياد ناحية أخرى فى اتجاه وادلاى وعندئذ علم بقيام ثورة بين زنوج رول فاضطر أن ينقلب راجعا الى لادو عاصمة مديريته . أما كازاتى فذهب هو الآخر وقضى بقية عام ١٨٨٣ م فى الارتياد .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها فى الملحق الثانى للعام القادم .

سنة ١٨٨٤ م

من

حكمدارية أمين باشا

اخماده ثورتي رول و الماتويين

كان أمين بك قد دعا الطبيب جونكر فى آخر عام ١٨٨٣ م للحضور الى لادو فأجاب الدعوة فرحا مسرورا . ولما علم أنه قادم فى الطريق كتب له خطابا بتاريخ ٥ يناير سنة ١٨٨٤ يعرب له فيه عما سيناله من الغبطة والابتهاج برؤيته ويخبره بأنه كتب الى سائر رؤساء المحطات ليمده رئيس كل محطة يمر منها بجميع لوازمه وأنه كتب كذلك الى سالم افندى بأن يقدم له بغلته عندما يصل الى واندى ليقطع على ظهرها المسافة إلى محطة لادو .

وفى ٢١ يناير وصل جونكر الى هذه المحطة . وذهب أمين بك لمقابلته فى « اونجاتى » Unjati الواقعة على مرحلة ساعتين منها وبمعيته فيتا حسان واحمد افندى محمود وسكرتيره وستة من الجنود . وبعد تقديم التحية المعتادة دخل الجميع الى لادو حيث أقام جونكر بصفة نزيل المدير العام .

وعندما استقر بهم المقام فيها طلب أمين بك من جونكر ان

لا يقابل حواش افندى لأنه كان متأثرا منه . غير أن جونكر كانت راسخة بفكره الخدمات الجلّى التى أداها له حواش افندى فى ممبتو ولذا لم يشارك أمينا بك فى رأيه هذا بل بذل جهده فى الدفاع عن حواش افندى بهمة لا تعرف الكلال وانتهى الأمر بأن رده أمين بك الى وظيفته .

وفى أبريل سافر فيتا حسان من لادو الى المحطات الجنوبية ليتفقد احوال المرضى . ومر بمحطة الرجاف ، و بيدن ، و كرى ، و موجى ، و خور أجو Khôr Aju ، و لابوريه ، و دوفيليه ، و وادلاى وقضى شهرا تقريبا فى هذه الرحلة . وعندما وصل الى دوفيليه وهو فى طريق الرجوع الى لادو وجد حواش افندى وكان قد رجع الى وظيفته فى مدة غيبته وأخذ فى اخلاء المحطات التابعة لمركزى فاديبك و فويرا . وهذان المركزان كانا بعيدين كثيرا عن قاعدة المديرية ولم يكن بهما سوى حاميات ضعيفة .

ولما كانت الحالة قد تفاقمت فى السودان رؤى أن من اللازم جمع شتيت الجنود المبعثرة فى المراكز البعيدة عن قاعدة المديرية حتى يمكن تدارك ما قد يمكن أن تلده الأيام من الحوادث .

وما كادت الثورة التى شبت نيرانها فى رول تنطفىء ويتقرر امداد شمبى حتى قامت ثورة قبيلة الماتويين Metus فى مركز دوفيليه . وخوفا من اضعاف قوات المديرية وتشتيتها وقبل أن تمتد الثورة وتتصل لهيبها بمكرا كا استدعى أمين بك من الشمال حملة ابراهيم افندى جورجورو وأمره أن يبعث بخمسين رجلا لنجدة دوفيليه . وكانت هذه المحطة محصنة

تحصينا قويا ولذا أخمدت الثورة قبل أن يندلع لهيبها وتنتشر وألقى القبض على وادتيرا Wad Tira شيخ الماتويين وأرسل الى لادو .

قيام الثورات فى كثير من الجهات والعمل على إخمادها

ولدى إياب فيتا حسان الى لادو وجد الحالة تفاقمت تفاقما مدهشا . ولما كانت المواصلات مع الخرطوم قد انقطعت منذ أكثر من سنة والأخبار التى وردت مع آخر باخرة وصلت كانت سيئة جدا ابتدأ القنوط واليأس يدب فى نفوس الجنود وأخذ هؤلاء يتذمرون . وكان أمين بك فى أثناء ذلك يشدد عزائمهم ويهدىء روعهم . ومما زاد الحالة سوءا على سوء تمرد مادبى فاتيكو و فالورو وقيامهم لمحاربة محطة فاتيكو وهذا بصرف النظر عن شمبى و بور اللتين لم يرد منهما خبر ما الى ذلك الوقت .

وبينما كانت الجنود مشتغلة باخماد هذه الثورات إذ ورد لأمين بك قبيل منتصف شهر مايو نبأ من لبتون بك فحواه ان المهديين وعددهم زهاء ٣٠٠٠٠ رجل بقيادة « نور عنقره » وصلوا الى مسافة بعض مراحل من محل اقامته وانه يرى ان الموقف أضحى دقيقا للغاية . وقال علاوة على ما ذكر ان لديه نحو ١٢٠٠ رجل مسلحين بأسلحة رمنجتون وما يكفيه من المؤونة و ٤٠٠٠ اردب من الذرة . وان المحطة محصنة تحصينا شديدا وان الجنود أقسموا أن يقاتلوا الى أن تلفظ آخر نسمة . ومن ضمن ما قاله أيضا انه يضع نفسه تحت تصرف أمين بك إذا كلفه بأمر من الامور . وبين فى خاتمة خطابه عنوان أسرته فى لندرة وطلب منه أن يكتب لها بالعنوان المذكور اذا حانت منيته وخر صريعا .

وما كان أحـــد من الذين فى لادو يشارك لبتون بك فى غـروره هـذا . وفى الواقع كانت الجنود الذين يعتمد عليهم مؤلفين من الخطرية فقط أى من عرب يشتركون هم والمهديون فى الجنس والدين شيمتهم نكث العهود وديدنهم الخيانة والنهب . وكان لا يخامر أحـــدا الشك فى أنه متى لاح لأعينهم شبح وكلاء المهدى ذهبوا وانضموا اليهم . وكان أمـــين بك قد أدرك من زمن بعيد المكاره والمضار التى قد يمكن أن تلم به من وراء الاحتفاظ بالخطرية . وليس ذلك حذرا من قيام الثورة المهدية التى ما كان يترقب انسان حدوثها بل بسبب سوء اخلاقهم واعـوجاج سلوكهم الأمر الذى ما جنت منه الحكومـة سوى انصراف قـــلوب السودانيين عنهـــا وبغضهم لها .

وشرع أولئك الخطرية فى الواقـــع فى نهب الزنوج فى كل ناحيـة مما أبعد قلوب هؤلاء عن الحكومة التى كانت مصلحتها تقتضى جذب مودتهم وتوطيد دعائم صداقتهم . ولقد سعى أمين بك ابتغاء الوصول الى هـذا الغرض بإبعادهم من مديريته وارسالهم بالتدريج الى الخرطوم والاستعاضـة عنهم بعساكر نظامية سودانية . وقد كان يوجد فى كل مركز حامية من هؤلاء العساكر أصلهم من منطقة اخرى غير المنطقة المعينين بها . والغرض من ذلك هـو أنه اذا ثار أهالى مركز من المراكز يصير فى حيز الامكان كبح جماحهم واخماد انفاس تمردهم بدون خوف من أن يتآخوا مع الثائرين وينضموا الى صفوفهم .

وكان أمين بك قد أوصى لبتـون بك العمل بهذه الطريقة فذهبت توصيته هباء غير أن الايام وياللحسرة ما لبثت حتى أيدت امينا فى رأيه .

ولم يكن فى استطاعته رغم مخاوفه مما تخبئه الايام للبتون بك فى ثناياها ان يمده بمدد ما . فقد كانت قوات مديرية خط الاستواء قليلة العدد للغاية ومبعثرة فى مساحة من الارض متسعة اتساعا كبيرا . وفوق ذلك فانه كان عليه ان يترقب لمديرته حظا لا يقل سوءا عن حظ مديرية بحر الغزال نفسها إذ أنه كان فى استطاعة اجلاف المهديين أن يغيروا عليه فى كل ساعة ولحظة . وهذا ما حدث بالفعل . والحاصل انه ما كان ينبغى لانسان ان يتجاهل امارات تمرد قبيلة البارى الضخمة بقيادة كبيرها اللورون .

وانقضت على امين بك اخبار تمرد هذه القبيلة انقضاض الصاعقة لاسيما ان مجموع قوات مديريته لا يقدر ان يتغلب عليها اذا قاتلها فى العراء بعيدا عن الحصون وذلك لجسامتها وكثرة عدد رجالها . وكان امين بك كذلك منشغل البال بسبب نشر اهالى بور راية العصيان وابادة حامية هذه المحطة وثورة زنوج فاتيكو و فالورو و ماجونجو أى سكان الجنوب التى كانت نيرانها ما زالت تتأجج . جرى كل ذلك قبيل وقوع حوادث بلغت من الجسامة مبلغا ما عليه مزيد . وجسامتها هذه تستلزم جميع قوات المديرية وقوات حكامها المادية والعقلية .

وقبلما تزداد المبلة طينا قرر أمين بك ان يقوم بهجوم ابتغاء ملافاة اقرب الاخطار التى يرتقب حدوثها واخماد ثورة الباريين وهى فى المهد قبل ان تشتعل نارها ويمتد أوارها فاستدعى اليوزباشى على افندى سيد احمد قائد لادو وأمره بالقبض على رئيسهم اللورون واعدامه . وكان بالطبع لا بد من التكتم الشديد فى تنفيذ هذا الامر الذى يتعلق كيان المديرية بنجاحه . ولكيلا يتسرب أى خبر الى الباريين فيجدون عندئذ

الوقت الكافى لتلافى الضربة لم يستصحب على افندى سيد احمد سوى ١٢٠ جنديا وضابطين وهما ابراهيم افندى حمر قائد لاتوكا وكان قد قدم حديثا وضيا افندى محمد وكيل قومندان لادو . ورجاء عدم لفت الانظار أبلغ الضباط والعساكر أن الغرض من رحلتهم هذه هو القيام بغارة فى البلد الواقع فيما وراء اراضى البارين . وصدر أمر فى نفس هذا الوقت الى عبد الواحد افندى مقلد وكيل قومندان الرجاف بالذهاب الى غندوكورو ومعه ٨٠ جنديا ليكون تحت قيادة على افندى سيد احمد الذى نيط به أمر هذه الحملة .

ووصلت الجنود التى سافرت من لادو و الرجاف الى غندوكورو ليلا فى وقت واحد وساعة واحدة . واستدعى القائد فى الحال وبدون تضييع لحظة اللورون للحضور بقصد الشروع بغارة فى الجبال فأبى . ولعل ذلك كان من باب الاحتراس بسبب سوء الظن . وعلى ذلك ما اشرقت شمس اليوم التالى إلا ومقر اللورون قد أحيط بالجنود ووقع هو فى قبضتهم . ولما رأى انه بوغت بهذه الكيفية امتثل ولم يبد أية مقاومة ومد عنقه بشجاعة قائلا : « لقد وقعت فى قبضتكم وهذا حسن . وفى استطاعتكم اعدامى لأنى عشت الزمن الكافى ونلت شرفا كثيرا يبث اليأس فى قلب بيكركم العظيم ـ يريد بيكر باشا ـ الذى عجز عجزا تاما على أن يتغلب على » .

وأعدم اللورون فى قلب المحطة وجمعت كل أمواله ووجد من ضمن مقتنياته خمس وعشرون بندقية فصودرت كما صودرت قطعانه التى يبلغ عددها تسعمائة رأس من الثيران .

واقتيد « لادو » ولد اللورون الى أمين بك . وكان ذلك فى نفس اليوم الذى وصلت فيه رسالة المهدى المشهورة وبث خبر وصولها الرعب فى سائر أنحاء المديرية . وأراد أمين بك أن يخمد أنفاس العصيان بقتل هذا الرئيس ولكنه كان يرغب فى الوقت ذاته السعى للاحتفاظ فى هذا الوقت العصيب الذى تهب فيه الزعازع من كل صوب وناحية بمودة الزنوج وصداقتهم الثمينة . وعلى هذا هدأ روع ولد اللورون وقال له : « انى ليحزننى ما وقع من التعسف والظلم غير انه كان من المحال الابقاء على أبيك وتركه حيا إذ انه كان من الجائز أن يجر بتمرده أذى وبلايا على ذويه وعلى نفس الحكومة التى ما كانت تتأخر بلا ريب فى توقيع العقوبات على الثائرين وان اعدام اللورون كان لا مفر منه ولا محيص عنه . والمصلحة العامة كانت تستوجب هذا الاعدام » . وأقر أمين بك ابن اللورون محل أبيه ورد له كل أمواله ولم يصادر منها سوى السلاح وزهاء مائة من المواشى .

وفى نفس هذا الوقت كان حواش افندى قائد دوفيليه قد سافر وهزم ثوار الجنوب هزيمة تامة فى غضون أيام قلائل . والثوار سالفو الذكر هم ثوار ماجونجو و فاتيكو و مادبى فلورو . وأسر حواش افندى « بالولا » Balula الكسيح الشهير وهو أخو الرئيس فاتيكو وأحضره الى دوفيليه وكلفه بان يشتغل والاغلال فى جيده فى تصليح الأسلحة التالفة . وكان « بالولا » هذا يسمى أيضا « ابوقرا » وكان ذا شهرة فى صنع الأسلحة . وهو صانع أسلحة كباريجا ملك الأونيورو . و لنبوغه احتفظ به حواش افندى فى دوفيليه وانتفع بمعارفه . وعندما انتهى من ترميم جميع أسلحة المحطة الممكن تصليحها طلب حواش افندى من أمين بك

أن يبعث اليـــه بالأسلحة التي حالتهـــا تستلزم تصليحا . واجـــرى تصليحها كلها .

وكانت الاخبار فى هذه الفترة ترد بتواتر منبئة بذبح حاميـــة بور . فلقد حدث ان أوشك زاد الحاميـة أن ينفد وأبى زنوج الناحيـة أن يمـدوها بمطلوبها فاضطر قائد المحطة عبد الله افندى نمـير أن يقوم بغارة . غير انه لدى ايابه أحاط به البوريون وذبحوه هـــو ورجاله ذبح الشياه ولم يبقوا منهم على واحد وكانوا يصيحون فى أثناء القتال قائلين : « فى سبيل الله » . ومن المدهش أن يرى الانسان كم انتشر صياح الحرب هـذا الذى هو صياح المهديين عند الأهالى حتى ان الوثنيين المتوحشين النازلين فى أقاصى الجهات الأكثر تطرفا اتخذوه وهم يجهلون معناه . هـــذا وقد عجب الناس لسماعهم وقت الثورة التى حدثت قبل ذلك فى الجنوب نفس هـذا الصياح من أفواه الزنوج . ولعل هـذا يرجع الى مقدرتهم المعلومة فى التقليد والسرعـة التى تنتشر بها الاخبار فى بلادهم .

ومن وقت ما ورد خطاب لبتون بك السالف الذكر لم يصل أى نبـــأ من بحر الغزال . أما أمين بك فكان غارقا فى الأعمال الخاصة بمديريته . ولأجل تحويل أنظار الجمهور عما آلت اليه الأحـــوال وعما تتمخض عنه أحداث الدهر من الحوادث الجسام ، وربما أيضـــا لتسيير الامـور وفقا لحركة الثـــورة الدينية التى كانت تمـــزق فى تلك الآونة أحشاء السودان ، نقول انه من أجل ذلك كله قد بنى أمين بك مسجـدا فى قلب فناء ثكنة لادو . وقد يجوز أن يكون بناء هذا المسجد كان يقصد منـه شيئا آخر وهو تهدئة خواطر طغام المهديين فى حالة قيامهم بهجوم .

وقال فيتا حسان ان كفاية أمين بك وحكمته فيما يتخذه من الاحتياطات لما عسى أن تلده الايام من الحوادث حتى ولو كانت تلك الحوادث من أبعد الاشياء حصولا وأقلها أهمية قد تبرر مثل هذا الافتراض . ومما يدعو الى التمسك بهذا الافتراض ان امين بك بعد بناء المسجد وقبل مجيء المهديين أخرج من مكتبته نسخة فاخرة من القرآن كانت باقية من إرسالية كتب كان غوردون باشا قد أرسلها الى متيسا ملك أوغندة ووضعها على مكتبه فى محل ظاهر بجانب اسفاره التى كان يلازمها ملازمة ظله له .

ويقول فيتا حسان أيضا إن أمين بك ماكان ينتظر مطلقا أن تباغته الحوادث وتقع على غرة منه بل كان يبذل جهده ليستبقها . ولانقطاع اخبار الخرطوم جملة كافية الامر المثير للاشجان والموجب لاضطراب البال ، ولما رآه من خلال حجب المستقبل من وجوب تعويل مديرته على نفسها والاعتماد على قوتها دون غيرها ، نظم دفاعه وسعى فى جذب قلوب الجنود اليه وكسب مودتهم وذلك بتخفيف وطأة النظام عندما يرى ان هذا التخفيف لا يتعارض مع مصلحة الجنود الحيوية . وعندما تستدعى الحالة قمع بعض رؤساء الأهالى بشدة عندئذ يتحالف معهم واذا رأى أنه من واجبه أن يظهر لهم بمظهر الصرامة ليرهبهم يعاملهم بلطف واحسان ليكفل لنفسه إخلاصهم .

وقد أمر أمين بك كذلك من باب الاحتياط للمستقبل بزراعة القطن بقصد ايجاد مادة للنسيج . وقد كان من قبل اصدر خمس أو ست مرات أوامر بهذا الصدد غير أن قواد المحطات طرحوها ظهريا . واشتغل هذه المرة

شغلا جديا بهذه المسألة وسعى فيهـــا سعيا متواصلا خاصا إذ أنه كان يستطيع أن يدعم أوامره بقطع المواصلات مع الخرطـوم وبالاحتياج فى مستقبل الأيام لصنع الملابس للجند .

وفى ١٥ مايو شب حريق فى حى الجنـــد فضاعف فى هلع الناس ودمر ٢٠٠ كوخ قبـل التمكن من إطفائه .

ورود أخبـار سيئة

وفى نهاية الأمر وصـل فى ٢٧ مايو من رول خطرى حاملا خبرا رهيبا ألا وهو خبر استيلاء المهـديين على مديرية بحـر الغزال وثلاثة خطابات من الأمـير كـرم الله قائد المهدى واحـدا منها باسم أمـين بك بصفته المـدير العام والثـانى باسم عثمان افندى لطيف وكـيل المدير والثالث للطبيب جونكر . ويطلب بالخطابين الأولين تسليم المـديرية وحضور المـدير ووكيـله ومثولهما بين يديه . أما الخطاب الثـالث فيطلب فيه من جونكر القدوم لأخذ متاعـه الذى تركه فى بحر الغزال .

ووقتما وردت أخبار السوء هذه لم تكن الحمـلة التى أرسلت لتأديب البارين السالف ذكرهـا رجعت بعد وكان النظام مختلا معتلا بسبب تمـرد الزنوج وعلى ذلك زادت أخبار الشؤم الأحوال اضطرابا .

وكان فيتـا حسان فى مكتب الحـكومـة عنـدما دخل محمـود افندى صبرى رئيس الكتبة يحمـل الخطابات الثلاثة فى غلافات كبـيرة معنونة باسم الأمير محمد أمـين و عثمان شريف و الطبيب جونكر . ولفت شـكل وعنـاوين هذه الخطابات نظر فيتـا حسان فلقب « أمير » الذى أضيف الى اسم أمين بك

بدلا من كلمة مدير واسم عثمان شريف عوضا عن عثمان لطيف جعلاه يستشعر بمصادر هذه الخطابات ، ولم يكن من شأن انقباض نفس محمود افندى صبرى والتكتم البادى على محياه إلا أن يوطد مخاوفه .

كتاب من المهدى الى المدير أمين بك

وبينما كان محمود افندى صبرى فى حضرة أمين بك ظل فيتا حسان يترقب الأخبار وهمه فى ازدياد . وفى نهاية الأمر عاد محمود افندى شاحب الوجه وقال لعثمان أرباب السكرتير الثانى ان المدير يرغب مقابلته . وذهب عثمان ورجع بعد بضع دقائق وعلى شفتيه ابتسامة شيطانية الأمر الذى لا يبشر بطالع حسن إذ من العلوم ان المهدى هو عم المذكور. ودعا عثمان فيتا حسان لمقابلة أمين بك ولدى دخول فيتا عنده رأى وجهه باهت اللون . فقدم أمين بك له الكتاب وقال : انظر الكتاب الذى جاءنى ! ! فتناوله فيتا حسان بيده فوجده مسطرا على ورقة من الاوراق الرسمية وصفحة منه عليها الكتابة مذيلة بختم : « محمد احمد » . أما منطوق هذا الكتاب فكان بوجه التقريب هكذا :—

« من محمد احمد رسول الله المهدى الى الأمير محمد أمين أمير خط الاستواء . إنى مرسل اليك الأمير كرم الله القائم مقامى فسلمه مديريتك وأت عندى فى البقعة الطاهرة لأضمك الى جماعتى . فاذا أطعتنى كفلت حياتك وتحاشيت إهراق الدماء على غير طائل . أما اذا عصيت فعليك تقع جريمة ضياع رجالك وضياعك أنت نفسك . وما حصل لغيرك فيه عبرة لك وموعظة للتروى والتبصر فى عملك . ولقد رأيت ان جميع المديريات حتى أقواها مثل كوردفان و سنار سقطت فى يدى . وأنت تعلم من غير

شك كيف كانت عاقبة راشد بك ويوسف باشا الشلالى وهيكس باشا . وهذا لا بد أن يقنعك أنه بفضل معونة الله العلى لا يقدر أحد أن يقاوم الأنصار . وأنت ليس لديك القوة الكافية لتستطيع مصادمة جيشى » .

وكان هذا الكتاب محلى بعدة آيات مقتبسة من القرآن . وكان معه كتابان آخران احدهما من الأمير كرم الله الى أمين بك يخبره فيه بفتح مديرية بحر الغزال ويعدد قوات المهدى ويقول إنها زهاء ٣٦٠٠٠ مقاتل بقيادة نور عنقره . والثانى من لبتون بك باللغة العربية ينصح فيه أمينا بك بالتسليم لأن المهديين كما يقول قوم لا يقهرون .

وذكر لبتون بك أن المهديين سلكوا مسلكا محمودا عند فتح المديرية ـ وهذا شيء بعيد عن الحقيقة ـ وأن الأمير كرم الله أحسن مقابلته وقال أيضا علاوة على ما ذكر انه يأمل أن يراه فى أقرب وقت فى البلد المقدس أى أم درمان . وأمضاه باللغة العربية هكذا : « الأمير عبد الله ولبتون سابقا » . ولاحظ أمين بك ايضا تحت التوقيع سطرين بالانكليزية يقول فيهما : « اعمل ما تراه صالحا » .

وأراد لبتون بك بلا ريب أن يفهم أمينا بك أن لا يقف عند حد ما جاء بخطابه الذى لم يكتبه إلا تحت الضغط بل يتصرف بحسب ما يوحى به عقله .

عقد مجلس للنظر فيما تستوجبه الحال

واتفق أمين بك وفيتا حسان أن لا يستدعى إلا كبار الموظفين فى المديرية لأن أمينا بك يرغب أن يبقى الخبر مكتوما زمنا

طويلا على قدر الاستطاعة تفاديا مما عساه أن يحدث من الذعر واختلال النظام . وبعد ان اجتمع كبار الموظفين أمر الحاجب أن لا يدع أحدا بعد ذلك يدخل .

وتألف المجلس عدا أمين بك ، و الطبيب جونكر ، و فيتا حسان من الاشخاص الآتية أسماؤهم وهم : ضياء افندى احمد قائد لادو ، و ضياء افندى طندا مأمور سلخانة لادو ، و عوض افندى عبد الله مأمور المخازن ، و عثمان افندى أرباب سكرتير المديرية الثانى ، و الحاج محمد عثمان معلم المدرسة ، و الحاج الشيخ عثمان حميد قاضى المديرية ، و باسيلى افندى بقطر رئيس قلم المستخدمين ، و ميخائيل افندى سعد رئيس كتبة المديرية ، و اسماعيل افندى خليفه رئيس الحسابات ، و أحمد افندى رائف معاون المديرية الأول ، و موسى افندى قندا ضابط سودانى ، و محمود افندى العجيمى وكيل قومندان لادو .

وشرع أمين بك يتكلم فقال : « لقد ورد لى هذا الكتاب من المهدى حديثا . ولهذا جمعتكم فى الحال لأتلوه عليكم وآخذ رأيكم » .

وأخذ يتلو الكتاب بصوت جهورى إلا انه ما لبث ان وقف عن القراءة ، وما ذلك إلا لأن صوته خانه وفاضت عيناه بالدموع ، فناول الكتاب الى عثمان افندى ارباب وهذا تلاه بأكمله . وأعقب ذلك سكوت طويل . واخيرا قطع امين بك هذا السكوت بوضع هذا السؤال لجميع الحاضرين :

ما قولكم ؟

فأجابوا بصوت واحد : « نحن خاضعون لأوامركم فلكم أنتم الأمر » .

وعندئذ نهض الطبيب جونكر وقال : « اذا كان امين بك هو الحاكم عليكم فأنتم أيضا مع ذلك موظفو الخديو ولكم الحق بأن تعربوا عن رأيكم . واذا كان امين بك يريد ان يبت فى الأمر من تلقاء نفسه فما كان هنالك حاجة لاستدعائكم » .

وأدار أمين بك وقتئذ وجهه شطر كل واحد منهم ليحصل منه على جواب . فجاوب محمود افندى العجيمى ، وقد سئل عن القوات الحاضرة المعدة للقتال ، بأن هذه القوات ضعيفة للغاية فلا رجاء معها فى ابداء أية مقاومة امام جموع المهديين .

وسئل عوض افندى عبد الله عن المؤونة والذخيرة فيما لو حوصر الجيش فقال ان الذخيرة لا تكفى واقعة واحدة والمؤونة تكاد لا تكفى مدة اربعة عشر يوما (١) .

---

(١) — إن كلام هذين الرجلين فى غير محله وهو يعرب عن الجبن ويناقض ما قاله بعد الصاغان حواش افندى منتصر ومرجان افندى الدناصورى حيث عارضا أمينا باشا فى تسليم المديرية وقالا إن فيها الذخيرة الكافية ويمكن تجنيد ثلاثة آلاف جندى . ويؤيد صدق قولهما الحوادث التى حصلت فيها بعد إذ ظل جنود المديرية بعد سقوط قرية أمادى Amadi يقاومون الزنوج ويقاتلون الدراويش الى سنة ١٨٨٩ م عندما توجه أمين باشا مع استانلى الى زنجبار وبقوا محافظين على كيانهم فى شاطىء بحيرة البرت نيانزا الى سنة ١٨٩٠ م عندما جاءهم الكابتن لوجارد وجندهم بأسلحتهم وذخيرتهم للخدمة فى الشركة البريطانية لشرق افريقية ظاهرا ولسياسة الاستعمار البريطانية فى الحقيقة واحتل بهم وبذخيرتهم الأراضى المصرية وانتزعها من ممتلكات مصر . فهذا كله يدل على أن الذخيرة فى هذه المديرية كانت كثيرة متوافرة وأنه من الميسور تجنيد الجنود اللازمين .

وصرح الحاج الشيخ عثمان حميد القاضى بأن التسليم أولى من سفك الدماء بغير جدوى فان قوات المهديين عديدة الى حد ان جيوش المديرية لا تستطيع مقاومتها .

ووافق عثمان افندى أرباب على ايضاحات من تقدموا وأشار بالتسليم .

ووافقت الأكثرية على هذا الاقتراح .

ولما طلب من فيتا حسان ابداء رأيه أجاب بأنه وهو طبيب لا يستطيع ان يعرب عن رأيه فى مسألة خارجة عن اختصاصه .

ودعا الطبيب جونكر لتلاوة كتابه عثمان افندى ارباب وهو الكتاب الذى بعث له به الأمير كرم الله وحاول فيه أن يجذبه اليه ليتسلم السبعة والأربعين صندوقا المحتوية على مجاميعه والتى فى مشرع الرق بمديرية بحر الغزال . وأكد له فى هذا الكتاب أيضا أنه لا يصاب بمكروه وأنه يوصله بأمان وسلام الى الخرطوم .

وانكب جونكر على الضحك بعد تلاوة الخطاب وأشار باصبعه صوب الجنوب وقال ان طريقه من هنالك .

وصرح أمين بك بأنه مستعد لأن يتوجه الى الأمير كرم الله ابتغاء اجتناب إراقة الدماء وطلب معرفة من يريد ان يرافقه فسكت الجميع . ولما وجه لكل منهم السؤال على انفراد أبى الكل السفر اللهم إلا ثلاثة اشخاص وهم القاضى الحاج عثمان حميد ومعلم المدرسة الحاج محمد عثمان و عثمان افندى ارباب . وعند ذاك التفت امين بك الى فيتا حسان وسأله عما اذا كان يريد

مصاحبته فرد عليه بالايجاب .

وقال له امين بك ردا على قبوله بالايطالية : « غير انه لا بد لك ان تعرف ان هذه الرحلة ليست كأمورياتنا السابقة » .

فأجابه فيتا قائلا . « اعرف ذلك . ولقد رضيت ان اشاركك فيما قدر لك وعليك » .

وقرر امين بك السفر يوم الاثنين القادم وصرف المجتمعين . وكان بتقريره الاذعان والخضوع الى الأمير كرم الله لا يبغى إلا ايجاد وسيلة وقتية للنجاة مع انه كان يتردد بفكره بلا ريب مشروع لم يختمر بعد تماما . ذلك هو ان يسلك طريق أوغندة . فقد نبتت هذه الفكرة فى رأسه تدريجا ولما اكتملت وأخذت شكلها النهائى صرح بعد عقد هذا المجلس بزمن يسير امام فيتا حسان وعوض افندى عبد الله و محمود افندى العجيمى بالكلمات المشهورة التى نقلها عنه عوض افندى وأساء تأويلها الكل ولا سيما الجنود فنشأ عن ذلك كثير من الضرر والأذى بسبب ما تواتر من الاشاعات التى لحمتها وسداها البلاهة وسوء القصد .

وهذا نص تلك الكلمات بالحرف :ـ

« ان فى استطاعتى بعون الله وحوله ان احافظ عليكم وأسير بكم عن طريق اوغندة . وآخذ على عاتقى ان اوصلكم الى القاهرة . هذا اذا أوليتمونى الطاعة . وفى قدرتى ان اقود الكتبة والضباط وأسلك بهم من طريق اونيورو و اوغندة . اما الجنود فهؤلاء لا اظن ان كباريجا يسمح لهم بالمرور من ارضه . والخديو ليس فى حاجة الى بعض جنود سودانية

والى بضع بنادق رمنجتون عتيقة . والأفضل ان يظل السودانيون فى بلدهم . لقد يخالجنى الأمل بأنكم لو اطعتمونى استطيع ان اوصلكم الى القاهرة سالمين » .

ونقل عوض افندى فى نفس هذا المساء هذه الكلمات فتلقفتها الآذان وتداولتها الألسنة بالمغالاة والتحريف بطريقة لم تألفها الأسماع . فقالوا وأكدوا القول بأن المدير صرح أنه يرغب بيع جميع العساكر لكباريجا ليحصل على الترخيص بالمرور من أرضه .

والواقع أن أمين بك لم يفه بكلمات كهذه بل لم يخطر بباله مثل هذه النية . ويقول فيتا حسان ان اهتمام أمين بك بالجنود وحسن التفاته اليهم ينقض مثل هذه الفكرة من اساسها . غير انه ويالالأسف قد صادفت هذه الكلمات التى حرفت عن مواضعها آذانا مصغية لا سيما بين كثير من الجنود .

وفى كل مرة يراد فيها القيام بحركة نحو الجنوب تتمرد العساكر ويتعذر تسييرها الى الأمام خوفا من الغدر والخيانة . ولقد كان هؤلاء يفزعون من السير صوب الجنوب ولا ينقلون فى اتجاهه خطوة إلا وهم حذرون أشد الحذر ولا يدفعهم ان يولوا وجوههم شطره إلا الجوع . وهذا موقف يسترعى النظر لأنه يزيح الستار ويبين السبب فى ثورة الجنود التى حدثت فيما بعد .

وفى اليوم التالى لعقد الاجتماع ذهب فيتا حسان وقابل أمينا بك وأفهمه أنه يخطىء لو سافر مع الوفد المقتضى ذهابه الى الأمير كرم الله وأن

الأفضـــل والأصوب أن يبقى فى لادو لأن سفره يكون مقدمة لانتشار الفوضى وانقضاض صرح النظام من أساسه وقيـــام المشاحنات والمنافسات فى كل صوب وناحيـة وظهور ذوى المطـــامع وتنصيب أنفسهم أسيـادا . ومن هنـا تتولد المداوة والبغضاء وتسفك الدماء ويستمر ذلك الى ان يبيد الناس بعضهم بعضا .

فاستصوب امـــين بك رأى فيتا حسان وقال له ان هــــذا هـو رأيه ايضا وانه لم يسلك هـــذا المسلك إلا اكتسابا للـــوقت وليقف على رأى كبار الموظفين .

ووصل على افندى سيد احمد من غندوكورو فى خـــلال هذه الاثناء وقـدم لأمـين بك رأس اللورون فعينه امـــين بك رئيسا لقلم سكرتارية المديرية وكتب الى عثمان افندى لطيف وكيل المديرية وكان فى رول يعلمه بأنه سيذهب الى الأمير كرم الله ويأمره بالرجوع الى محل وظيفته . ولم يكن لهـذه التدابير غاية سوى أن يغرس فى أفكار النـاس انه حقيقة راغب فى الذهاب الى الأمير كرم الله .

وفى ٢٨ مايو علم من خطـاب وارد من حواش افندى ان زنوج دوفيليه نشروا مرة اخـــرى راية العصيان وطلب المومى اليه بخطابه المذكور ارسال امداد على وجه السرعة .

وكان أمين بك لم يزل متأثرا بجواب الأمير كرم الله ومراعـاة لعـدم استقرار مجـــرى الحوادث فى المستقبل على وتيرة واحـــدة رأى أن الوقت غير مناسب لتجريد لادو من العساكر التى بها ورفض طلب حواش افندى

وكتب اليه ما يأتى :—

« إنى لا أستطيع أن أبعث لكم بامــــداد لعدم وجــــود جنود احتياطيــة تحت يدى . وان لديكم الجنـــود الكافية . وانكم عـــلاوة على ما ذكر قد قمتم فى أصعب الظروف وأحرج المواقف بأعباء ما كلفتم به خير قيام . فيجب ان تدافعـوا بنفس القوات التى تحت أمركم . ويدعـونى الأمـل الى الاعتقاد بأنكم فى هـــذه المرة أيضا تستطيعون بما جبلتم عليه من علو الهمة وحسن التدبير أن تتغلبوا على جميـــع ما يصادفكم من المصاعب . وإنى فوق ذلك قد كتبت الى حاميـة لاتوكا باخـلاء منطقتها والذهاب لمعاونتكم والأخذ بناصركم . فيلزم أن تقاومـــوا الى أن تصل اليكم الحامية المذكورة ولا بد أن تتغلبوا بما تسديه لكم من المساعدة على أولئك الزنوج » .

نبذ موظفى لادو احترام المدير

وحـــدث فى نفس ذلك اليوم حـــادث زاد أفكار أمـــين بك اضطرابا وبلبـــلة والموقف حرجا وشدة . ذلك أنه رغما عن الاحتياطات التى اتخـذت قد أذيع فى لادو خـــبر كتاب الأمير كرم الله فى نفس عشية يوم وروده .

وفى اليـوم التالى شرع موظفـــو لادو وأغلبهم من المنفيين لسبب ما وليسوا بطبيعة الحال من الطبقة الراقيـــة لا من جهـــة الطباع ولا من جهـة الأخـــلاق ، يطوحون وراء ظهورهم بالاحـــترام المفروض عليهم لأمين بك .

فقد أرسلت محطة أمادى كمية من الزيت الى محطة لادو . وبما ان بعض الموظفين طلب منها مقادير وافرة وأصر على الحصول على المقادير التى طلبها بين لهم أمين المخازن استحالة إجابة طلباتهم فاستعملوا معه الوقاحة وفحش القول وعلى ذلك رفع شكواه الى أمين بك . فانتقل هو نفسه الى المخازن رجاء ان يؤثر عليهم بوجوده ويراقب توزيع الزيت . وطلب رجب افندى محمد كاتب الحسابات لنفسه وحده ٤٠ رطلا من الزيت على حين ان جميع الكمية المخزونة لا تجاوز ٣٠٠ رطل . ولما أعلمه بذلك المدير جاوبه بوقاحة الجواب الآتى :

« لقد مضى وانقضى زمانك ، وأتى زمان الأمير كرم الله ، وليس لك أن تعطى أوامر هنا بعد اليوم !! » .

ولما كان أمين بك لا يريد ان يتفاقم الخطر الذى يهدده من الخارج باحداث ثورة بين الموظفين لا سيما انهم كانوا فى ذلك الوقت موقنين بسقوط حكومة السودان ويرون أنفسهم مطلقى الارادة لا رقابة عليهم فقد كظم غيظه وأمر باعطاء ذلك الافندى الكمية التى طلبها بدون ان ينبس ببنت شفة .

وأخذ فيتا حسان يسائل نفسه عما اذا كان يوجد مسوغ يبرر الحكمة التى لجأ اليها أمين بك فى مثل هذه الحالة وعما اذا لم يكن الأفضل رفض مثل هذا الطلب بتاتا ليكون هذا الرفض درسا زاجرا وعبرة للآخرين .

ويرى فيتا حسان وقد أصاب محجة الصواب ان تصرف أمين بك هذا

لم يكن فى هذه الحالة إلا نوعا من الضعف كما هو شأنه فى احوال كثيرة غيرها مماثلة لها . ويقول المذكور ان كل مرة استعمل فيها أمين بك السماح والحلم عوضا عن العقاب والقصاص بينما كانت الحالة تستوجب الصرامة والشدة لم يجن من ذلك غير ازدياد جرأة مرؤوسيه ووقاحتهم . ولم يجد ضعفه تجاه رجب افندى محمد سوى التمادى فى الغطرسة وعدم الانقياد وكان سببا فى كل الحوادث المدلهمة التى نزلت فى ساحة البلاد .

وعندئذ تهاطلت الطلبات من جميع الاصناف والانواع على مخزن المديرية واخذ امين بك فى ارفاقها جميعها بأذونات الصرف حتى بدون ان يراجعها لانشغاله فى مسائل اخرى من جهة وخوفا من ان يشحذ لسانا آخر عليه من جهة ثانية .

وأدرك فيتا حسان من أول وهلة ان هذا الاغضاء ستكون عاقبته بلا جدال حدوث مجاعة وقرر وضع حد باحدى الوسائل لنهب المخازن وعلى ذلك توجه الى القاضى وافهمه ان المديرية خضعت للمهدى وان كل ما فى المخازن امسى ملكا لبيت المال وان من واجباته بصفته اكبر مرجع دينى ان يراقب كل ما يصرف من الآن الى ان يصل وكيل المهدى وهو الأمير كرم الله . لأنه اذا استمرت الحالة جارية على هذا المنوال لا نلبث إلا ان نرى فى المخازن شيئا لا يذكر . ولا يجد المهديون عند مجيئهم قطميرا فيعزون اليك هذا التبذير والاسراف . والمهم هو صدور أمر كتابى فى الحال الى المدير بعدم صرف أى شىء من المخازن بدون أمرك . .

وكان القاضى يخشى رغما عن تحمسه للحكومة التى ستتمخض عنها الأيام أن يمس احساس أمين بك بالقيام بعمل ما أشار به فيتا حسان غير ان هـذا طمأنه وقال له انه يتكفل فوق ذلك بان يسوى المسألة وان كل ما عليه كتابة الأمر وتوصيله الى أمين بك .

وذهب فيتا حسان الى أمين بك ليحيطه علما بما اتخذه من التدبير وليرجوه القبول مراعاة للمصلحة العامة . وبعد برهات قدم القاضى وسلم الأمر للمدير وهـذا استدعى عثمان ارباب وكلفه تبليغه لجميع الموظفين واخبارهم انه يجب عليهم من الآن فصاعدا تقديم طلبات الصرف من المخازن الى القاضى . ولما انصرف هذا الأخير أفهم أمين بك فيتا حسان أن هـذه المسألة لم تنل استحسانا فأجابه فيتا حسان ان ذلك من مصلحة الجميع وبغير هـذا العمل لا يكون سوى القحط والمجاعة .

عقد اجتماع للنظر فى سفر
المدير العام للأمير كرم الله واصدار قرار

بينما كان فيتا حسان عند أمين بك قبيل أول يونيه إذا بالقاضى دخل عليهما ونصح المدير بالعدول عن الذهاب الى الأمير كرم الله لأن سفره يلقى المديرية فى احضان الحيرة والفوضى وعرض ان يسافر هو عوضا عنه على ان يبقى أمين بك ويستمر فى تصريف الأعمال . وهـذا أمر كان لا يمكن الا ان يسر له أمين بك . فعقد اجتماعا جديدا طرحت فيه هـذه المسألة فصودق عليها كما صودق على القرار الآتى :

أولا — بقاء الحالة على ما هى عليه فى المديرية الى ان ترسل بواخر ومراكب للسفر عليها الى الخرطوم .

ثانيا — اعفاء المديرية من كل غارة .

ثالثا — عدم السماح باستعمال أى شطط قبل الجنود السودانية .

تتابع الحوادث وتأليف وفد لمقابلة الأمير كرم الله

وشب فى لادو حريق فى اليوم التالى ٢ يونيه قبيل الساعة ٨ صباحا تدفعه ريح شديدة من الشمال وأخذ يهدد جميع انحاء المحطة واستحال القيام بمساعدات ودعت الحالة الى الاكتفاء بهدم بعض الاكواخ لتهدئة سير النيران وذهب تقريبا نصف لادو كما ذهبت جميع الحواجز الخشبية والاكواخ المكونة من القش طعمة للنار التى لم تخمد انفاسها الا قبيل منتصف النهار .

وتوالت ضربات يد القضاء بسرعة مدهشة .

فبينما كان الدخان لم يزل يتصاعد من اكواخ لادو إذا بخطاب أتى من سليمان افندى عبد الرحيم ضابط حامية مكراكا منبئا ان ابراهيم افندى جورجورو رئيس هذا المركز ترك محله وسار الى بحر الغزال هو وجميع من معه من الخطرية الذين يكونون القسم الأكبر من الحامية وأخذوا ما كان معهم من الأسلحة والذخيرة لينضموا الى الأمير كرم الله . وكاتب المركز ابراهيم افندى ترباس وهو الخطرى الوحيد الذى ظل محله جلد ٥٠٠ جلدة وترك فى موضعه بظن انه ميت .

وطلب سليمان افندى بالجـــاح ارسال امـداد لانه لم يبـق لديه إلا زهاء ١٢ جنديا سودانيا . وبالطبع يخشى عـودة الخطرية أو قيام أهالى المركز لان هؤلاء لا يقيمون على الولاء إلا مع وجود حامية قوية .

وانتهز القاضى الذى كان حاضرا هناك وقت مجىء الخبر هذه الفرصة ليحث أمين بك مرة أخرى على البقاء لأن المديرية كما قـــال مشرفة على أوقات تزداد شدة مع توالى الأيام وتستدعى حتما وجود المدير .

وتقرر مرة أخرى تأييـدا لما سبق تقريره فى الاجتماع الأخير ان يبقى أمـين بك ويسافر القاضى عـوضا عنـــه بصفة رئيس للوفـد ويكون فى معيته عثمان ارباب ، و ابراهيم افندى حمر قائد لاتوكا سابقا ، و محمـــد بابا ، و محمد افندى عثمان الكاتب ، و موسى افندى قندا ليبلغوا الأمـير كرم الله خبر خضوع المديرية .

وما كان أحد يدرى غير أمين بك وفيتا حسان ان الخضوع لم يكن إلا ظاهريا وان الغرض والقصد من إرسال هـذا الوفد هـــو فقط إيقـاف تقدم الدراويش ابتغاء ايجــــاد الوقت الكافى لاتخاذ قرار نهائى وجمع قـوات المديرية المبعثرة .

وفى ٤ يونيـه ورد خـبر مـكدر آخر ذلك ان دنـكاويى رول تمردوا مرة اخرى وان مأمور القسم محمد افندى الصياد يطلب امدادا .

وكان امين بك قد قرر اخـلاء المراكز البعيـدة لكى يجمع كافـة قـوة المديرية المسلحة فى بعض نقط الا انه كان لا يود القيـــام بتنفيذ مشروعه هـذا قبل سفر الوفـد حتى لا ينكشف الغطاء عن خططه . وعلى هذا أهمل

الرد على خطاب محمد افندى الصياد الى ان سافر القاضى ورفاقه .

وسافر الوفد فى ٧ يونيه وسافر معه من لادو ١٢ جنديا بقيادة الضابط موسى افندى قنـــدا . وأخذ معه كميـــة من الأشياء التى بالمخزن وصندوقا به ١٠٥ دست مظاريف رمنجتون وهذا الصندوق حتم أخذه عثمان ارباب . وأعطى أمين بك القاضى ٥٠ ريالا من ماله هدية واعطى عثمان ارباب مثلها .

وفى اليوم التالى رحل أيضا جونكر الى دوفيليه ومعه ٦٠ حمالا ليحاول بلوغ زنزبار وسلمه أمين بك خطابا برسم حواش افندي أوصاه فيه بأن يضع نفسه تحت كامل تصرفه فى رحلته .

إعادة النظر فى الحالة وتقرير خطط المقاومة

والآن وقد شعر أمـــين بك بشىء من الطمأنينة ورأى نفسه مطلق اليدين بعد سفر هذا الوفد أخذ يواصل العمل ليلا ونهارا فى سبيل جمع شتات الجيوش وتنظيم معدات الدفاع .

واستدعى الصاغـــين حواش افندى ومرجان افندى الدناصورى وتباحث معهما بصدد القرار اللازم اتخـــاذه . وكان هذان الضابطان لا يريان بتاتا الخضوع والتسليم وصرحا ان بالمديرية الزاد والذخـــيرة والمدافع والأسلحة بالمقادير الكافية وانه فى حيز الامكان وضع ٣٠٠٠ جندى على قدم الاستعداد وانه بهذه القوة يكون فى الاستطاعة مقاومة المغيرين .

وتقـــرر ترك تقسيم المديريه مراكز وتأليف حكمداريتين واحدة

فى الشمال والاخرى فى الجنوب وحشد العساكر فيهما . وأشار حواش افندى على أمين بك بتعيين مرجان افندى حكمدارا فى الجنوب وجعل قاعدة حكمداريته فى دوفيليه وأن يرسله هو فى الشمال ويجعل قاعدة حكمداريته أمادى . فقلب أمين بك الوضع وعين حواش افندى فى الجنوب ومرجان افندى فى الشمال . وتقرر علاوة على ما ذكر أن تظل حامية مكراكا فى موضعها مع قائدها فرج افندى يوسف للدفاع عن هذا المركز وصدرت أوامر لريحان افندى ابراهيم قائد ممبتو وعثمان افندى لطيف وكيل المدير المقيم فى رول بأن يخليا هاتين النقطتين وتتوجه حامية ممبتو الى مكراكا وحامية رول الى أمادى .

ولم تكن القوة المسلحة التى فى مكراكا شيئا مذكورا بعد هرب الخطرية غير أنه كان من المهم جدا الدفاع عن هذا المركز الذى منه ترد معظم كميات الحبوب . وكانت كذلك تقوية حامية أمادى بضم جنود رول اليها من الامور التى لا تقل فى الاهمية عن الدفاع عن مكراكا لان أمادى هى النقطة الاولى الواقعة فى مقدمة المديرية وفيها يتصادم الجيش مع جيش العدو عند قدومه من بحر الغزال . فكان من الضرورى احتلال حصونها بجيوش كافية حتى يمكن صد تقدم المهديين .

ولدى ارسال أمر اخلاء ممبتو بعث أمين بك بكتاب الى اليوزباشى كازاتى يحيطه فيه علما بالسبب الذى من أجله رأى من الضرورى اخلاء المركز وقال له انه يحسن لو قدم عنده فى لادو . غير انه رغما عن هذا الاخطار أصر على البقاء فى المركز ولم يبارحه الى لادو الا بعد ذلك بزمن .

وفى خلال هذا الوقت ظهر فى لادو جنديان سودانيان وهما الأطروش

وأخوه . وكانا عاريى الجسم كلية . وهذان الجنديان هما من الجنود التابعة لحامية بحر الغزال . وقد تمكنا من الهرب وقت أن سلم لبتون بك ومعهما كساويهما الرسمية . والى القارىء الكيفية التى مرت بها الحوادث حسبما رويا :—

حالما ذاع خبر اقتراب الأمير كرم الله كان الخطرية قد قرروا قبل ذلك بزمن رغما عن جميع توكيداتهم أن يظلوا مخلصين للبتون بك والايمان التى أقسموها بان يقاتلوا فى صفوفه الى أن لا يبقى منهم أحد ، أن ينضموا الى رجال المهدى . ولما أنذر المهديون لبتون بك بالتسليم رتب جيوشه وهيأها للقتال وأمر بالشروع فى اطلاق النار فلم يتحرك خطرى واحد عن مكانه وصرحوا متفقين بان لا يصوبوا أسلحتهم نحو اخوانهم . ودنا مصرى من رجال المدفعية من مدفعه غير انه قبل ان يتمكن من اطلاقه أطاز خطرى رأسه بحسامه . وعندئذ فتح الخطرية أبواب الحصن وفى لحظة استولى عليه الدراويش ولم تخش زوج لبتون بك وقد تولاها الغضب من جراء سفالة ودناءة الخطرية ان توجه اليهم الفاظا بالغة فى الشدة على ما بدا منهم من الخيانة والغدر .

وأحرق الأمير كرم الله جميع دفاتر وأوراق الحكومة ونهب المخازن وبعث بلبتون بك ومستخدميه مخفورين الى أم درمان وجرد العدد الغسير من الجنود السودانية الذى كان ضمن الجيش المصرى من أسلحته ومن ثيابه ووضع فيهم الاغلال وباعهم أرقاء هم ونساءهم وأولادهم .

وهذه الحكاية لاسيما القسم الأخير منها قد وردت فى الوقت اللازم فهيجت بلابل جنود المديرية وأثارت عزة نفوسهم وحملتهم على الانضواء الى

جانب القرار القاضى بالدفاع الى آخر نسمة من الحياة . ووطدت غيرة الجنود وحميتهم ثقة أمين بك بهم .

تمرد الزنوج على أثر اتساع نطاق الثورة المهدية

وقد وصل فى الوقت نفسه مع الخمسين القطعة الدامور « نسيج من القطن » التى أرسلها لبتون بك قبل الانقلاب الذى حدث وتأخر وصولها بسبب الثورة التى قامت فى رول ، خطاب من عبد الوهاب افندى طلعت يؤيد الأخبار السيئة التى وردت عن محطتى جهة الشمال وهما شمبى و بور .

ولم يعزب بعد عن البال ان عبد الوهاب افندى طلعت قد سافر من أجل إيصال زاد من بور الى شمبى . وقد جاء فى خطابه البادى ذكره انه حال وصوله الى بور كان معظم الحامية غائبا فى غزوة . ومع ذلك وسق الأشياء اللازمة فى مراكب وانحدر هو مع مجرى الماء صوب شمبى غير أنه عندما بلغ المحطة وجدها قفرا ليس فيها أحد وقد هدمت من أساسها وانقلبت رأسا على عقب ولم يجد من يخبره عما فعل الله بالحامية .

وبعد أن قاسى كثيرا من المشاق وكابد شتى الأخطار مدة ٢٤ يوما اضطر فى خلالها أن يسحب المراكب وصل الى بور فوجد ان معظم حاميتها المؤلفة من ٩٢ رجلا وقائدها عبد الله افندى نمير قد أبادهم العبيد ابادة تامة حال قيامهم بالغزو ولم يبق بالمحطة سوى ٣٠ جنديا . وعلى ذلك ظل عبد الوهاب افندى طلعت فى بور يرتقب مرور باخرة صاعدة مع النيل لتجر مراكبه . وبينما هو فى الانتظار اذا بالزنوج قد ثاروا وحاصروا المحطة .

وجاء أيضا فى الخطاب المذكور أن المحطة الآن محاصرة حصارا يفوق

كثيرا حصارها من قبل وان مجموع الجنود الذين تحت يده لا يزيد عن ٤٢ جنديا ٣٠ منهم وجدهم هناك و ١٢ كانوا بمعيته . وان الخروج من الحصار أمر مستحيل وعلاوة على ذلك فانهم يقاسون مضض الحرمان من كل شيء . ويشعلون قش الاكواخ المسماة « توكول » Tokuls القائمة فى قلب الحصن للحصول على نار . وقال فى ختام خطابه : البدار البدار بارسال نجدة ! !

وكان لا بد من ارسال قوة كبيرة من العساكر الى بور لأن ارسال قوة صغيرة يعد من باب المجازفات والتعرض لأعظم الأخطار . ولما كان أمين بك لا يمكنه أن يستغنى عن عدد كبير من العساكر استدعى فى ٢٦ يوليه كبيرا من كبار الزنوج يقال له « بافـــو » وأعطاه ثلاث أبقار وكلفه بتوصيل خطاب وكمية من الزاد الى بور وأوصى عبد الوهاب افندى طلعت بالثبات فى مركزه الى ان يستطيع حشد بعض من العساكر وارسالها اليه وأمره باخلاء بور اذا امكنه ذلك والانسحاب الى لادو .

ومن ذلك يعلم ان راية العصيان كانت قد نشرت وكان كل يوم تشرق شمسه يأتى بخبر تمرد جديد . فالماديون فى لابوريه بقيادة كبيرهم « ماتو الصغير » أبدوا روح العصيان وعتوا غير أن ثورتهم أخمدت فى الحال ولم تمتد وتشمل جميع الماديين . وهذا من حسن الطالع ولطف البارى إذ لولا ذلك لضاع كل أمل ولم يبق أى رجاء . وتمرد الشولين بدوفيليه قضى عليه فى الوقت نفسه قضاء مبرما .

وكان أمين بك قد قرر مع حشد الجنود نقل قاعدة المديرية الى الجنوب وان يجرى ذلك ببطء حتى لا تكون المسألة أشبه شيء بالتقهقر . وأبدى سببا

معقولا لعمل هـــذه التدابير وهو استحالة ايجاد ما يلزم من المؤونة فى لادو لعدد كبير من الناس بعد اخلاء رول واختلال النظام فى مكرا كا وضياع شمبي و بور . وهــذا على نقيض الحالة فى دوفيليه اذ ان هــذه بلدة مخصبة ومحصولها يفى بحاجــات اضعاف المستخدمين والعساكر كما اتضح ذلك فيما بعد .

وأمر أمين بك بنقل المكاتب الى دوفيليه وأن يسافر فى كل يوم اثنان أو ثلاثة من الموظفين ومعهم اسرتهم . وألغيت كذلك محطة فاتيكو وانتقلت حاميتها الى دوفيليه .

ولم يكن المهديون قد قدموا بعد ومع ذلك فقد نشر بعض اناس فى نفس المديرية راية العداوة . وهذا ما حدث :

قــدم ذات يوم من أمادى ساع مستعجل للغاية ليبلغ ان قانصا من قانصى الفيلة ومن أجرئهم يقال له على كركوتلى جمع بعض الدناقلة عندما وصل نبأ وصول الأمير كرم الله ومضى معهم الى المهديين . ولما مروا بمحطة صيادين الصغيرة قتلوا سبعة جنود من حاميتهــا الصغيرة المؤلفة من ١٩ جنديا كما اجهزوا على ضابطهم عبد الله افندى غرباوى . أما الباقون فقد استطاعوا أن يهربوا فى الغابة . فأمر أمين بك فى الحال رجب افندى من بوفى أن ينتقل بغاية السرعة الى هناك لامدادهم .

وكان لدى حكمدارية خط الاستواء قناصون أشبه بعلى كركوتلى مرتب لهم ماهيــة شهرية قدرها ٢٥٠ قرشا وكان يصرف لهم ثمن ما يوردونه من العاج للقنطار الواحد ٥٠٠ قرش شهــريا . ويوردون عادة من قنطار

الى عشرة قناطير فى الشهر ولا يخصم من حسابهم إلا ثمن ما تسلموه من الذخيرة وهو الثمن الملزمون بدفعه .

استطراد فى كيفية صيد الفيلة

وكان هناك طريقتان لاقتناص الفيلة وهما البندقية أو الحفر المسقوفة . والعرب يقتنصون الأفيال على وجه العموم ببنادق ذات عيار كبير يسمونها « شوشخانة الفيل » . وهى سلاح ضخم عياره ٥ سنتيمترات يحشى زهاء ١٢ رصاصة حجم الواحدة منها ١٢ ملايمترا و ٦٠ جرام بارود . ولا بد من جرأة كبيرة لصيد الفيل بسلاح كهذا . ومع ذلك كان عدد قناصى الفيلة من العرب فى كوردفان و بحر الغزال و دارفور كبيرا . وهذا يدل بلا جدال على بأس وقوة قلب عرب السودان . والمتبع بحكم العادة هو ان يربط الصيادون ذوو الحذر السلاح فى شجرة ويترقبوا مرور فيل فى اتجاه مرمى السلاح . أما القناصون الشجعان الأبطال فيكتفون بوضع عضادة على صدورهم وعليها يسندون السلاح ويطلقونه فلا تستطيع الصدمة ان تزحزحهم عن مكانهم الى الوراء قيد انملة .

وقناصو الزنوج يصيدون الفيل بثلاث طرق مختلفة . فالدنكاويون واللاتوكيون يفوقون العرب فى الجسارة ويمكن القول انهم يصارعون الفيل جسما لجسم . فالقناص يبحث عن الفيل ثم يتعقبه على بعد بضعة أمتار منه ويقذفه بحربة بقدر ما يستطيع من قوة . ولا تكفى هذه الضربة الأولى بوجه عام للاجهاز عليه فينقلب فى اتجاه الصياد وهذا يتنحى عن طريقه سريعا بقفزة ويرميه بحربة أو اثنتين أو ثلاث الى ان يخر صريعا .

و أكاوو Akkas ممبتو الذين لهم مهارة خاصة فى استعمال الاقواس يرمون ذلك الحيوان فى مبدأ الأمر بسهمين فى عينيه وعندما ينقلب أعمى يندس منهم نحو الاثنى عشر رجلا تحت بطنه وأجسامهم مدلوكة ببول الفيلة وروثها حتى لا يشعر الفيل بهم عندما يدنون منه ويأخذون فى فتحها بضربها بمزاريقهم القصيرة ضربات متوالية ثم ينسحبون فى الوقت اللازم حتى لا يسحقهم الحيوان بجسمه الضخم عند وقوعه .

وعندما يقتل الأكاويون فيلا تنصب القبيلة كلها مضاربها بجانب الفريسة شهرا أو شهرين الى ان تلتهم جميع لحمها وشحمها ثم تعود الى سيرتها الأولى فى التنقل والرحيل من ناحية الى اخرى الى ان تعثر على فريسة اخرى .

ويحفر مكراكاويو ممبتو فى الأرض حفرة كبيرة عميقة ويغطونها بطبقة كثيفة من فروع الأشجار والحشائش ويضعون فوق ذلك طبقة رقيقة من التراب . وعندما يضع الحيوان قوائمه عليها وهو آمن مطمئن يهوى فى جوفها فيندق جسمه لثقله .

ويستعمل زنوج آخرون لاسيما الشوليون لصيد جميع الحيوانات البرية وليس الفيل وحده ، نخا فيه شيء من التفنن . ذلك أن يختاروا شجرة لها فرع صلب ممتد امتدادا أفقيا فوق الطريق وينصبون على هذا الفرع حبلا متينا ويعلقون بأحد طرفيه حجرا ثقيلا ومزراقا جسيما بصفحتيه أسنان حادة مثل التى فى السهام ذات الكلابات . وهذه الآلة تعلق فى الفضاء بواسطة الحبل . وفى الطرف الثانى يثبتون قطعة خشب تدفن فى الأرض دفنا بسيطا حتى تعادل الحجر والمزراق فقط . وعندما تصطدم قائمة الفيل بالخشبة

تقفز من الأرض فتقع الحربة بفعل ضغط الحجر رأسيا فى جسمه .

وفى ١٢ يونيه ورد لأمين بك خطاب من ابراهيم افندى جورجورو بمكراكا يقول فيه انه أرسل بغلته الى أمادى وانه متوجه الى هذه المحطة لزيارته وذلك لظنه ان أمينا بك سيسافر مع الوفد كما تقرر ذلك فى بادى الأمر . غير ان هذا السفر صار العدول عنه فيما بعد وعلى هذا كان سيلاقى القاضى عوضا عن المدير .

وتلقى كذلك أمين بك خطابا من كاتب مكراكا يقول فيه انه بعد سفر ابراهيم افندى جمع خليل افندى مرعى وهو ضابط مصرى ضباط الصفوف وقال لهم ان كل واحد يمكنه ان يأخذ ما شاء من المؤونة ويذهب الى حيث يريد لأن الحكومة أمست لا وجود لها . فزاد الفزع والجزع فى النفوس على أثر ذلك لاسيما أن عددا من الدناقلة ذهب لينضوى الى الأمير كرم الله . وعندما بلغ أمينا بك هذا الخبر أرسل فى الحال ضابطا وعشرة عساكر للقبض على هذا الضابط وارجاع الناس الى جادة الصواب .

وفى ١٥ يونيه تناول أمين بك ثلاثة مكاتيب من بلال افندى بمكراكا يذكر فيها ان ابراهيم افندى جورجورو بعث ببعض الرجال ممن له بهم ثقة الى كابايندى ليحضروا ٢٠٠ زنجى من قبيلة البومبيه Bombés مسلحين ويسبوا على قدر ما يستطيعون من النساء والاولاد . ولما تمت هذه العملية حسبما يشتهى ويريد استولى على جميع المؤن والذخائر والسلاح الذى كان فى مخازن واندى وذلك بعد ان دمر كابايندى . واتجه عقب ذلك هو وعصابته شطر مكراكا الصغيرة بعد أن أغرق المركبين اللذين كانا فى نهير چاى Jei حتى يمسى تعقبه أمرا مستحيلا .

وقد سبا الشيخ كابايندى فى مكراكا الصغيرة خدام منزل احمد افندى الافغانى ودمر وأحرق دار مصطفى افندى درويش مأمور المحطة وألبسه القيود والأغلال واقتاده معه . وبعد أن ارتكب كل هذه الجرائم والآثام يمم فى نهاية الأمر شطر بحر الغزال وبمعيته الضابط المصرى خليل افندى مرعى .

وبعث أمين بك بلا توان ضابطا و ٦٠ جنديا لتقوية حامية مكراكا ليوطدوا النظام فيها ثانية . وعجل كذلك مرة أخرى بارسال رسول الى ريحان افندى ابراهيم قائد مركز ممبتو يحمل أمرا باخلاء هذا المركز فى الحال والانسحاب الى مكراكا . وأمر أيضا بحفر خندق عميق حول لادو وبناء حصن ثان للمدافع فى زاوية القلمة .

ولما اشتدت الأحوال فى محطة أجاك تركها عثمان افندى لطيف وانسحب الى أمادى ليرجع منها الى لادو .

وفى ٢٠ يونيه ورد الى أمين بك رسالة من عثمان ارباب ذكر فيها ان دنقلاويا قص عليه ان لبتون بك ظل فى وظيفته وان الأمير كرم الله سينطلق صوب مديرية خط الاستواء فى ٢ رمضان الموافق ٢٦ يونيه .

وفى ٢٢ منه وصل عثمان افندى لطيف الى لادو قادما من أمادى حيث اجتمع بالقاضى وأعضاء الوفد الآخرين وقال ان ابراهيم افندى جورجورو لم يأت الى أمادى وانه من الجائز ان يكون قد ذهب مباشرة الى بحر الغزال .

وفى ٢٤ منه وردت الانباء من مأمور المحطة فى روميبك عن طريق أجاك

ان بعض الدناقلة كانوا قد مروا بمحال الزنوج ليمتاروا لوازمهم فأحاط هؤلاء بهم وقاتلوهم وأهلكوا منهم ٣٠ نفسا . ويقال ان الباقى منهم رجع . أما العساكر فلم يقتل أحد منهم لأن هؤلاء لم يبارحوا المحطة . وأمر أمين بك فى التو والساعة باخلاء روميبك كلية لأنها لم تعد صالحة لشىء بعد سقوط مديرية بحر الغزال وحشد جميع الجنود والموظفين الملكيين فى أجاك حيث الأمن متوافر .

وفى ٢٦ يونيه وصل الى واندى رجل من الدناقلة الذين كانوا قد سافروا بمعية ابراهيم افندى جورجورو مفضلا الرجوع الى المكان الذى كان به وذكر أن معظم الحمالين والأسارى هربوا وان ابراهيم افندى كان على حسب قوله فى كودورما هو والضابط المصرى خليل افندى مرعى وبعض الجنود والمصريون الذين كانوا منفيين فى مكراكا وبعض الدناقلة . والأخبار الواردة من واندى تؤيد كذلك رجوع كثيرين من الدناقلة والزنوج .

وفى ١٠ يوليه وردت أنباء الى لادو مفادها أن الشيخ الطيب رجع الى مسقط رأسه مكراكا بعد أن أقام سنتين فى الخرطوم وقابل ابراهيم افندى جورجورو فى كودورما . ولما عاين سلوكه وعلم بما صدر منه من الأعمال أمر شيخ الناحية أى فقيه مكراكا وكان قد انضم الى ابراهيم افندى بأن يلقى القبض عليه وان يطلق سراح مصطفى افندى درويش وكل من يلوذ به ويرجع جميع الدناقلة والمستخدمين الى وظائفهم . وتم ذلك فعلا غير ان ابراهيم افندى تعلق بأذيال الفرار تحت جنح ظلام الليلة التالية لليوم الذى قبض عليه فيه هو وأربعة من الجنود وبعض الدناقلة .

وظل مع ذلك أغلب الذين أطلق سراحهم من هؤلاء الأخيرين فى

كودورما ورجع منهم سبعة فقط الى أمادى وقالوا انهم أكرهوا على ترك محالهم فجردوا من أسلحتهم وأعيدوا الى المحطات التى كانوا بها من قبل وقبض على خليل افندى مرعى الضابط المصرى وأرجع .

وورد من مأمور محطة موندو Mundu انه لم يبق لديه سوى عشرة رجال وهرب الباقون وان طريق ممبتو ما زالت مفتوحة للسابلة وانه من المحقق أن مصطفى افندى درويش استطاع النجاة وان مخازن واندى لم تنهب وان النظام استتب ثانية فى مكراكا .

وفى ١٣ يوليه قدم الى لادو عسكرى من أجاك وذكر ان القاضى وباقى الوفد كانوا عند سفره لا يزالون بالمحطة وانهم لا يمكنهم الذهاب الى بحر الغزال لأن الزنوج سدوا الطريق . والظاهر أيضا ان الدناقلة الثلاثين الذين هلكوا وهم فى طلب المؤونة حسب رواية مأمور محطة رومبيك لم تعاجلهم المنية بالكيفية التى ذكرها بل عند ذهابهم الى الأمير كرم الله .

وفى ١٦ يوليه قدم فجأة الى لادو بعد انتظار أخبار أجاك زمنا طويلا كاتب هذه المحطة ومعه ضابط صف واحد وأربعة جنود يحمل رسالة موقعا عليها من بعض الضباط وضباط الصف وهذا منطوقها :

« نظرا لسوء ادارة محمد افندى الصياد حدث أن هاجم الدناقلة العساكر فى أجاك . وعبثوا للآن خمس مرات باعراض النساء والعساكر . وسلم الضابط المذكور الى هؤلاء الدناقلة بعض النساء بدون بحث ولا رقابة . وان بعض الجنود لجأ الى الهرب بسبب سوء المعاملة بهذه

الكيفية الى مواضع لا نعلمها والبعض الآخر يستعد للاقتداء بهم واقتفاء أثرهم . وان سلوك هذا الضابط المنافى للصواب والعقل حمل الناس على السرقة والنهب وان جميع العساكر فى أشد حالات الهيجان ونخشى ان يتعلقوا بأذيال الهرب ويأتوا اليكم شاكين مما حصل . والظاهر ان سائر الدناقلة أمسوا متعاهدين . وجميع أسلحة رمنجتون المرسلة من لادو برسم محطتى شمبى و بور المستجدتين تقاسمها توابع ضيف الله . والدناقلة الذين قدموا مزودون ببعض سلاح رمنجتون ولديهم الذخيرة الكافية . ولذلك نجنح للاعتقاد بأنهم لن يتأخروا عن أن يحذوا حذو اخوانهم فى السلب لاتحاد الكل فى الاميال . ومع ذلك فنحن مستعدون لمكافحتهم اذا لم يكفوا عن الاجحاف والاستبداد مع العساكر أو اذا لم ترسلوا لنا مددا » .

تحريرا فى ٢ يوليه سنة ١٨٨٤ .

الامضاآت

سليمان . خير . حسن

* * *

وبما انه كان قد تقرر سفر مرجان افندى الدناصورى فى ٢١ يوليه ليتسلم قيادة أمادى كلفه أمين بك بأن ينتقل عقب ذلك الى أجاك ويضع حدا للفوضى ويوطد النظام .

وطلب ضابط صف مسقط رأسه بومبيه من أمين بك اجازة غياب فأذن له بها مع الارتياح لاسيما انه كان فى خدمة أمين بك بصفة مراسلة منذ عامين . فعوضا عن أن يشتغل ضابط الصف هذا بمصالحه

الخاصة حشد زهاء عشرين رجلا من التراجمة وقتل بمعاونتهم سبعة من الدناقلة . وأمر أمين بك حفظا للنظام بمحاكمته فى مكراكا وتقديمه الى مجلس عسكرى .

وفى ١٨ أغسطس ورد بريد أمادى و أجاك . وارسل مرجان افندى ضابطا و ضابط صف و ٣٢ جنديا لقتال القناص على كركوتلى الذى ما زال للآن معتقلا الجنود الذين أسرهم فى محطة صيادين عوضا عن أن يعمل بالضبط والدقة بأمر أمين بك القاضى بانتداب الرئيس تكفارا Takfara ورجاله لهذا الغرض . ولدى مرور الضابط المذكور ومن معه أمام زريبة يحتلها فريق من الدناقلة المتمردين واقعة على الطريق الموصل من أمادى الى مكراكا ، قابلهم هؤلاء بطلقات البنادق فرد الجنود المهاجمين واستولوا على خمس بنادق منها واحدة رمنجتون وقتلوا ١٥ رجلا وأرسلوا السلاح فى الحال الى أمادى واحتلوا عند ذاك الزريبة . وفى اليوم التالى لما تكامل عدد الدناقلة أدخل الضابط ضابط الصف ومعظم العساكر فى الزريبة وسار هو وخمسة رجال فى اتجاه العدو فقتل من هؤلاء الرجال أربعة وجرح الخامس واضطر الضابط أن يتقهقر غير انه وجد ضابط الصف والجنود قد لاذو بالفرار فالتزم هو كذلك أن يهرب . وعلى هذا يكون اجمال الخسائر ٥ بنادق من طراز رمنجتون و ١٠٠ ربطة مظاريف . وهذه كارثة وخيمة يترتب عليها شموخ الدناقلة ورفع رءوسهم .

وكان مرجان افندى قد انتقل الى أجاك بعد أن مر بأمادى . وأمر أمين بك بارسال امداد الى هذه المحطة الأخيرة . وشاع وذاع ان ابراهيم افندى جورجورو ومن معه قتلهم الزنوج . وأن كافة الدناقلة الذين فى أجاك

قد جردوا من أسلحتهم .

وجاء فى بريد مكراكا الذى وصل فى نفس ذات اليوم ان مصطفى افندى درويش مستعد للرجوع إلا ان الدناقلة لا يدعونه يسافر . وجاء فيه ما يؤيد خبر هجوم الزنوج على ابراهيم افندى ومن معه وقتلهم جميعا وذلك عند مسيرهم بقرب دوجورو Doguru وانه لا يعلم أين مقر الأمير كرم الله وان الاحوال فى مكراكا سارة قارة .

وفى ٢٠ أغسطس ورد خطاب الى أمين بك من مرجان افندى فى أمادى مع كتب أخرى أحدها من عثمان ارباب صادر من محطة صيادين فى ٨ أغسطس يقول فيه : « لقد عدت من بحر الغزال ومعى للمدير كتب سارة يفيض من خلال سطورها عبارات الوقار والاحترام . أرسل من يجىء بى . أنا مستعجل » .

فبادر مرجان افندى وأرسل فى الحال رجالا وكان لا بد أن يكون عثمان ارباب قد وصل الى أمادى من مدة لأن خطاب مرجان افندى مؤرخ فى ١٠ أغسطس .

وكتب أمين بك الى مرجان افندى أن يرسل عاجلا عثمان ارباب وان يحتفظ عنده بجميع من أتى من بحر الغزال .

وقدم فى ٢٣ منه من غندوكورو جندى وأخبر أن ضابطى صف و ١٠ جنود وصلوا من بور وقال إن جميع الأمور سائرة هناك على ما يرام ، وان الضابط عبد الوهاب افندى ومن معه من الرجال الذين كانوا قد أرسلوا لامداد شمبى باقون فى بور هم والمركب الكبير

والذخيرة ، وأن الرجال الاثنى عشر سيصلون غدا الى لادو حاملين البريد . وكان قد مضى ستة عشر شهرا ولم ترد أخبار من بور . وكل المجهودات التى بذلت لارسال بريد اليها عن طريق بوفى ذهبت هباء وكان الخوف على السفينة بالغا أشده . وكان يخشى أن تكون قد ضاعت هى ومن كان فى شمبى .

وفى ٢٤ أغسطس وصلت جنود بور وأيدوا الأخبار التى وردت بالأمس . وكانوا قد قدموا منها عن طريق غندوكورو ولازموا فى مسيرهم ضفة النيل الشرقية وقطعوا المسافة فى ستة أيام وقابلهم الزنوج فى كل مكان مقابلة حسنة . ويرجع الفضل فى ذلك الي الوسائل التى اتخذها الرئيس « بافو » Beffo من بالينيان . وبافوا هذا هو ذلك الرجل الذى أعطاه أمين بك ثلاث بقرات وفوض اليه حمل خطاب الى بور واحضار رد منها . وقص الجنود أيضا أن عبد الوهاب افندى الذى أرسل لامداد شمبى قد وصل اليها غير انه وجد هذه المحطة قد أمست أثرا بعد عين فارتد على عقبيه الى بور ووصل اليها بعد سفر دام ٢٨ يوما ذاق فى خلالها الجوع وقاسى أنواع الشدائد وعاكسته الرياح . هذا فضلا عما كابده من صد هجمات العبيد . أما الزنوج الذين كانوا مقيمين حول بور فهؤلاء قد حل بهم من العقاب ما فيه مزدجر وهم الآن ملازمون جانب الهدوء والسكينة والنظام مستتب فى المحطة .

وفى ٢٧ منه كتب مرجان افندى يقول ان الدناقلة فى أجاك قد جردوا فعلا من السلاح وسجن البعض منهم . وان سليمان افندى عبد الرحيم سافر الى رومبيك فى ١١ من هذا الشهر ومعه ١٨٠ جنديا ليجرد الدناقلة المقيمين بها من السلاح ويسترجع الجنود . وان جموعا

من الدناقلة المقيمين بلا ريب فى مكرا كا يحتشدون فى محطة صيادين · Sayadin

وفى ٢٨ أغسطس ورد خطاب آخر من أبادى مذكور فيه ان غلاما من هذه المحطة وصل الى بوفى Bufi وروى أن عثمان أرباب وأعضاء الوفد الآخرين ما زالوا فى محطة صيادين وان موسى افندى قندا والعشرة الجنود الذين بمعيته جردوا من السلاح وبلا ريب زجوا فى السجن . ولحين سفر الخطاب لم يرد أى خبر من أجاك ولم يصل عثمان ارباب الى أمادى حيث أرسل أمين بك مرة اخرى ٥٠ جنديا معهم ذخيرة .

وفى ٣٠ منه وردت الأنباء من أمادى ان الجنود الذين أرسلوا الى رومبيك أرجعوا الى أجاك السفن والمدفعين والذخيرة والزاد والمؤونة بتمامها فى ١٧ منه بدون ان ينقص منها شىء ولم يفقد سوى رجل واحد . وقد كان سفر أولئك الجنود من أجاك فى ١١ من هذا الشهر وسلوكهم فى هذه الرحلة يستوجب الثناء .

· أما قومندان هذه الفصيلة فلا يدرى أحد ما الذى شرع فى عمله هو والدناقلة ولم يذكر بالخطاب الوارد من أمادى شىء عن هذا الضابط . والاحوال فى نفس هذه الناحية هادئة .

وأمر أمين بك باخلاء أجاك فى الحال وحشد من بها من الجند فى أمادى .

وفى ١٤ سبتمبر وردت الأخبار من أمادى ان جميع الدناقلة جردوا من السلاح فى مختلف المحطات واعتبروا أسارى لانهم لو تركوا مطلقى السراح

لكان ذلك بمثابة نجـــدة ذات قيمة قد قدمت للعدو . وكذلك تركهم فى أمادى أمر لا تحمد مغبته ولذلك ارسل منهم مرجان افندى زهاء العشرين الى لادو لارسالهم من هناك الى دوفيليه وألحقهم بآخرين فى خلال هذا الشهر .

وفى ٣٠ اكتوبر ورد الى لادو خطاب من أمادى مؤرخ فى ٢٦ منه . ومما جاء فيه انه لا يعلم شىء من أمر حركات الأمير كرم الله . وجاء فيه أيضا ان أهالى محطة صيادين يتأهبون بقيادة القناص على كركوتلى للهجوم على أمادى . والروح المعنوية فى العساكر على ما يرام . أما جنود بوفى فلم يصلوا لغاية هذه الساعة .

وفى ١٠ منه ورد من أمادى بريد هام وورد من بين مشتملاته رسالتان مستعجلتان صادرتان من الأمير كرم الله الى امين بك لا يتعدى مضمونهما مضمون الرسائل السابقة . غير انه ذكر برسالتيه الأخيرتين خبرا هاما وهو خبر عقد نيته الآن على المجىء الى لادو . وأذيع فى الوقت ذاته نبأ فحواه ان ١٦٠٠ رجل من المهديين وصلوا الى ماجونجو وقصدهم الهجوم على امادى . وما لبثت اخبار مكراكا ان أيدت هذا النبأ .

وفى ١٥ نوفمبر أتى الى لادو خبر بان المهديين تقدموا صوب أمادى واحتلوا قرية الرئيس تكفارا الواقعة ارضه على صفة نهر جاى الغربية بينما محطة أمادى قائمة على صفته الشرقية . والرئيس تكفارا هذا كان قد بقى على ولائه للحكومة وساعد مساعدة كبرى هو ورجاله بتوريد الحبوب وغيرها من المحاصيل الى محطة أمادى .

وصول المهديين ومقاومة الجنود المصرية لهم

وفى ١٧ نوفمبر وصلت أول تجريدة من المهديين بمرأى من أمادى وهى أقصى محطة فى الشمال الغربى لمديرية خط الاستواء فى وقتها . ووقف الدراويش وكانوا قد وصلوا ليلا على ضفة النهر تجاه المحطة . وصاحوا فى الصباح وهم على الضفة الأخرى من النهر على ثلة من الجنود المصريين كانت قد خرجت لاستكشاف العدو قائلين انهم يحملون كتبا من الأمير كرم الله وانها تختص بتسليم المديرية حسب جوابات الأمير أمين بك . وطلبوا عبور السفينة التى كانت راسية بالضفة القائمة عليها المحطة الى الضفة المقابلة لها فاجاب الجنود بأنهم سيبلغون الأمر الى قائدهم ويأتونهم بالجواب .

وفى خلال هذه المناقشة ذاع وانتشر بسرعة فى أمادى خبر وصول الدراويش فاحتشد على شاطىء النهير بالتدريج جمع من العساكر للتفرج . ولما رأى الدراويش أن عدد العساكر آخذ دواما فى الازدياد وان الحذر باد على وجوههم غرسوا حربة فى الارض وعلقوا فيها كتب الأمير وانسحبوا الى حيث معسكرهم الرئيسى .

وأرسل الصاغ مرجان افندى الدناصورى قائد المحطة فى الحال سفينة صغيرة الى الشاطىء الثانى لتأتى بهذه الكتب . ولدى تلاوتها لم يوجد فيها شىء غير ما سبق وصرح به الدراويش . وأمر مرجان افندى بتصويب النار على الدراويش إذا عادوا ليطلبوا الاجابة . وتنفيذا لهذا الأمر احتجبت الجنود خلف الأشجار التى على الشاطىء وأعطيت تعليمات مقتضاها انه عندما يطلق مدفع من الحصن يكون اطلاقه اشارة بالبدء فى ضرب النار .

وظهرت الدراويش فى اليوم الثانى وتقدر قوتهم بزهاء ٢٥٠ رجلا . وقوبلوا لدى اقترابهم بنيران حامية فانسحبوا . وأتوا مرة اخرى فى اليوم الثانى محتجبين وراء الاشجار واشتبكوا هم والجنود فى حرب تبادلوا فيها الرصاص دامت ثمانية أيام . ولاحظ اليوزباشى خير الله افندى حميد فى اليوم الثامن ان الدراويش يقطعون الأشجار ليقيموا لهم زريبة تقيهم نيران الجنود فطلب عندئذ من مرجان افندى ٣٠٠ رجل ليخرج ليلا ويفاجئهم فى حجب الظلام . وبين وقد أصاب فى بيانه محجة الصواب أنه لو ترك لهم الوقت لعمل الزريبة لتعذر عند ذاك اقتلاعهم منها .

ولقد كان فى امكان خير الله افندى فعلا التخلص بسهولة من الدراويش بالعدد الذى طلبه من الرجال لأن أمادى كان بها حامية مؤلفة من ٧٠٠ جندى ومدفعان من مدافع الحصون و ٤ مدافع ميدان . وعلى ذلك لم يكن هنالك أى خطر من القيام بكبسة ما دام يبقى فى المحطة ٤٠٠ جندى .

ويقول فيتا حسان ان مرجان أفندى لم تكن من شيمته الشهامة فطرح ذلك الطلب ظهريا وقال انه لن يحاول الخروج الا بعد وصول الامداد من مكراكا . وبنى الدراويش فى هذا الوقت زريبتهم وهم آمنون مطمئنون وأخذوا يطلقون مقذوفاتهم من خلف الجذوع التى اتخذوا منها وقاية لهم على المحطة فترد عليهم الجنود مع اسراف مريع فى الذخيرة .

وفى ٢ ديسمبر حدثت معركة شديدة دامت من الصباح الى منتصف النهار واضطر المهديون فى نهاية الأمر أن ينسحبوا . وبلغت خسارة الحامية ١٢ قتيلا بين ضباط وجنود و ١٨ جريحا . وأغلب جروح هؤلاء

الاخيرين ناشئة عن صدمات مزاريق زنوج « اجهر » Agahrs الذين استعان بهم الدراويش .

وفى ٢٠ ديسمبر قدم فيتا حسان الى أمادى بنـــاء على أمر شفوى من أمـــين بك لزيارة الجرحى واستقاء الأخبار عن الأحـــوال فى المحطة . والظاهر انه رأى ان الأمور فيها مختلة والنظام معتلا . وبعد مجيئه بزمن قليل أجهز على ٢٣ خطريا واسرائهم بمجرد اتهامهم بالمـــؤامرة مع المهديين وحدث ذلك بدون مرافعة ولا مدافعة . والغرض الوحيـــد حسب رأى فيتا حسان من اعدامهم هو الحصول على أموالهم لا غـــير . وكان قد استطاع من أول أيام وصوله ادراك الخطر المحدق بمحطة تدار قيادتها على ذلك المنهج فبعث فى منتصف الليـل برسول الى أمـين بك قائلا ان الذخـيرة قد حدث فيها إسراف زائد .

وفى ٢٣ منه سلمت امرأة عجوز ، وظيفتها إيصـــال الرسائل الى فريقى المتحاربين ، فيتا حسان ملفـــا صغيرا مختوما بالشمع به اربعة كتب معنونة باسمه .

الكتاب الأول من المهدى محمد احمد يتمنى فيه الخير له لخضوعه وامتثاله ويكلفه تبليغ سلامه للأمير محمد امين ويرجو الاثنين الشخوص الى أم درمان فى أقرب ما يمكنهما لأنه يعتقد فى اخلاصهما فى الخضوع .

والثانى من الأمير كرم الله وفيه نفس التمنيات السابقة والنصح باعتناق الديانة الاسلامية . ويقول فيه ايضا انه ارسل جبتين إحداهما برسم الأمـــير محمد امين والأخرى برسمه . وهما هدية من قبـــل المهدى وانه يجب عليهما

قبل ان يلبساهما ان يتوضئا ويصليا حتى تحل فيهما بركة المهـــدى . ويوصيه كذلك ألا يوصل جبة أمين بك سوى ضابط أو يوصلها هو نفسه كيلا تدنس أيدى الجنود الشيء الذى باركه المهدى .

والثالث من حسن افندى عجيب الذى فوض اليـه المهدى تسلم مـديرية خط الاستواء ، يشتكى فيه من تصلب الجنود وعنادهم فى الرغبـــة فى القتال بينما الأمـــير محمد أمـين وكل الرؤساء يكنون للمهـدية أحسن المقاصد وأطيب النيات . ويقول ان الروابط الودية والصلات الأخـــوية التى بـين فيتا حسان وعثمان ارباب ابن عم المهدى عطفت عليـه قلب هذا الأخــــير واستجلبت نحوه رضاه ويطلب منه فى نهاية الأمر المجيء الى معسكره فيحل فيه آمنا مطمئنا طليقا يتنقل حيث شاء ويذهب أينما يريد .

والرابع من عثمان ارباب يعرب له فيه عما يكنه قلبه من أنواع الحب والمودة وجميل العواطف ويطلب منه إرسال مقدار من المظاريف وورق الجوابات ليستعملها فى مكاتباته .

وكان المهديون يعتقدون لغاية ذلك التاريخ ان أمينا بك ومن معه مستعدون للتسليم بل راغبون فيه وان الصعوبة قائمة من جهة العساكر وحدهم وان هؤلاء هم الذين يمانعونهم فى التسليم .

ويقول فيتا حسان انه فى خـــلال المـدة التى أقامها فى محطة أمادى اى من ٢٠ ديسمبر الى ٧ ينـــاير من سنة ١٨٨٥ م حضر واقعتـين بين الدراويش والجنود فكانتا على ما يظهر عبارة عن مناوشات لا فائدة منهـــا ولا يرجى منها شيء معين . وبينما كان الدراويش يقتصدون فى الذخـيرة ويقتصرون

على إرسال بعض طلقات متقطعة حتى لا يتركوا للحامية وقتا للراحة كانت الجنود تبعث بطلقات كثيرة بناء على أمر قائدهم مرجان افندى .

نعم إن العساكر كانت تقوم ببعض الهجوم ولكن كان يحدث ذلك بغير خطة معينة ولا نظام بل بدون غاية معلومة . ولقد نجحت مرة الجنود فى مفاجأة الدراويش فى زريبتهم فتعلقوا بأذيال الفرار مشتتين بغير نظام . غير انه عوضا عن انتهاز فرصة الذعر والرعب الذى ران على قلوبهم وإشعال النيران فى زريبتهم اكتفت الجنود بأن يستولوا منها على بعض الأشياء ويرتدوا الى المحطة . وهذا الخطأ تقع مسئوليته على الضباط وحدهم دون سواهم .

واقتربت ذات يوم ثلة من الجنود ومعها مدفع الى مسافة ٥٠ مترا من معسكر العدو فخرج منه زهاء ثلاثين درويشا فانسحب الجند وتركوا مدفعهم غير ان بخيت افندى رغوت وهو الضابط الوحيد الذى كان ملما بواجباته قابلهم وعلم منهم ترك المدفع فرجع ومعه خمسة من الجنود لاسترجاعه فوجدوه محل ما تركوه . وفى اللحظة التى شرع الجند فيها يجرون المدفع أصيب بخيت افندى برصاصة كسرت ذراعه فوضعها خلف ظهره بدون ان ينبس ببنت شفة حتى لا يزعج الجنود إذ ربما عند ذلك يتركون المدفع ويلوذون بالفرار . وأدار رغوت افندى حركة نقل المدفع الى أمادى بهدوء وسكون حتى كأنه لم يحدث أى أمر ولم يلاحظ ان ذراع هذا الضابط الباسل قد كسرت إلا لدى وصوله الى المحطة . فلو تولى قيادة المحطة ضابط له هذه الغيرة وهذا الحماس لما وقعت أمادى فى يد العدو حتى لو كانت قوته أشد مما هى عليه .

إن مقاومة أو سقوط أمادى لهــا أهمية كبرى بالنسبة لمــديرية خط الاستواء لأن سقوطهــا يفتح الطريق الى لادو وهــذا بصرف النظر عن ضياع ١٠٠٠ رجــل منها بينهم ٥٠٠ جنــدى نظامى . وقد أصبح الخطـر على الأبواب . ويقــول فيتا حسان انه عنــدما لاحظ سلوك مرجان افنـدى المنــافى للصواب انقبض صدره حزنا واستولى عليـه اليأس إذ أنه كان يعتقد أن أمادى لا يمكنها أن تقاوم بعد ذلك زمنا طويلا .

ويحكى فيتا حسان أنه كان يوجد تاجــر يونانى يسمى ماركو جسبارى . وهــذا التاجر ترك محطة أجاك عندما صار إخـلاء رول وحضر الى محطة أمادى مـع الجنـود . وكان يحمل البندقيـة فى يده ويتمنطق بجعبـة المظاريف . وقد علق بها وعاءين فى أحدهما لبن وفى الآخر سمن ويدور دواما فى الحصون مشجعا العساكر ويطلق بندقيته عند الحاجة ويوزع اللبن على المجروحين فى الثكنات ويضع السمن على جراحهم .

وفى مساء ذات يوم كان فيتا حسان مع مرجــان افندى فاعترض أولهما على الثانى وكان قد سبق أن اعترض عليــه مرارا لتبذيره وإسرافه فى الذخـيرة وضرورة إقدامه على القيام بهجوم عنيف لحسم النزاع عن آخره وبدون تطويل مـع العـدو لاسيما ان هذا العدو يصل إليه يوميا أمــداد بينما الحامية آخــذة فى التناقص وميرتها آخــذة فى النفاد . وكان فيتا حسان يستعمـل فى الكلام بعض الشدة للمخاوف التى كانت تساوره بشأن الخطر المحـدق بالمحطة لأنه خرج عن وعيه عندما رأى حصنا له هـذه الأهمية عرضة للبوار والدمار لا لشىء سوى جريرة قومندانه . وعلى ذلك أمر

مرجان افندى فيتا حسان بالرحيل فى الحـــــال من أمادى عوضا عن أن يعى
نصيحته ويعمل بها وقال ان ليس لأحد آخر غيره ان يتـكلم فى مسألة القيـادة
وعلى الفور بحث له عن حمالين . وكيلا نزيد الموقف سوءا على سوء بارح فيتـا
حسان أمادى فى منتصف الليل وسافر الى لادو .

---

١ — ملحق سنة ١٨٨٤ م

رحلة الطبيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء (١)

القسم السادس

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

سفره الى لادو وزيارته لكبار موظفى المديرية

فى ٢ يناير من هذا العام أفضى جونكر الى المحطة الصغيرة القائمة على حدود مديرية خط الاستواء . ورحل عنها فى اليوم التالى وأسرع الخطى فوصل الى المحطة العمومية الجديدة التي أنشئت فى أرض الرئيس كودورما Kudurma لتشرف على المراكز الغربية وفيها ألقى عصا التسيار للراحة بضعة أيام .

وكانت هذه المحطة واقعة على سفح تل فى وسط مزارع غناء وبها عدد وافر من المساكن وكثير من الأنعام . وكان ناظرها وهو ضابط يقال له مصطفى افندى درويش متغيبا عنها فى ذلك الوقت فى محطة واندى . وكان ابراهيم افندى محمد جورجورو مدير مركز مكراكا لم يرجع من الحملة التى سيرت لمعاقبة الأجاريين Agars الثائرين واعادة بناء

(١) — راجع الجزء الثالث من كتاب « رحلات فى أفريقية » للطبيب جونكر .

زريبة روميبك .

ولم يجد جونكر أية مكاتبة من أمين بك فكتب له خطابا وطلب رده فى واندى وعلم أيضا انه لم يصل الى لادو بواخر قط . ورحل عن هذه المحطة .

وفى ٩ يناير بلغ كابايندى فوجد حالتها تغيرت تغيرا كبيرا عما كانت عليه وقت زيارته الأخيرة لها . وشخص منها الى واندى مارا بمكراكا الصغيرة . ولدى وصوله الى هذه المحطة الأخيرة عرف زريبة احمد افندى الافغانى وبستانه الجميل إلا أنه وياللأسف كان صاحبها قد أدركته الوفاة فى العام الغابر وبقى بعده آثار أعماله وأحضر له ملاحظ البستان سلة طافحة بأنواع الخضر والأثمار .

وفى ١٢ يناير دخل جونكر فى واندى وقابله فيها الضابط المصرى سليم افندى الرئيس بنفس الحفاوة التى قوبل بها فى المحطات الأخرى . وهنا قدم رئيس المحطة العمومية مصطفى افندى درويش لمقابلته وتبليغه أن أمينا بك كلف عشرة جنود بحراسة الطريق التى سيمر منها . وتلقى جونكر وهو فى واندى ردا من أمين بك على الرسالة التى كان بعث له بها وهو فى أرض كودورما وعرفه بأنه عقد النية على السفر الى لادو .

ورأى جونكر حدوث تغيير فى مركز مكراكا منذ رحلته الأخيرة مع انه مر مسرعا بأراضى هذا المركز . ورأى ان الجنود العرب الذين كان يتألف منهم مجموع الحامية استبدل بهم عساكر نظامية تتولى شئونهم ادارة عسكرية غير أنه لسوء الحظ كان كل ذلك تحت رقابة وسيطرة ابراهيم افندى جورجورو النوبى وان كثيرا من الضباط الذين

كانوا يسيطرون عليه أمسوا الآن تحت إمرته .

هذه هى الحالة المحزنة التى وجد عليها جونكر هذه الجهات .

وفى ١٨ ينـــاير يمم شطر واندى فى قافـــلة يحافظ عليها عـدة جنود وتراجمـة ومرت بالمحطة المتوسطة الصغيرة التى كانت قد أقيمت فى بلدة نيامبارا وقبل أن يصل الى لادو وجد فى البلدة المذكورة رسالة من أمـين بك يرحب فيها بقدومه ويبلغه انه أعد له منزلا .

وفى ٢١ منه وهـو التـاريخ الذى يبلغ فيـه لادو استيقظ الطبيب مبكـرا وأخـــذت القافلة فى المسير وعندما اقتربت من المحطـة بعثت برسول ليبلغ أمينا بك خـبر قدومها وأطلقت طلقات إعلانا بوصولهـــا . وبعد ذلك شوهد فى الحـال بعض أشخاص ممتطين بغالا ومعهم ستة من الجنود متشحين بكساو بيضاء وقادمين نحوهم . وكـان هذا الجمع مكونا من أمين بك وسكرتيره احمـــد افندى محمود وصيدلى المديرية فيتا حسان . وبعد تبادل التسليمات الكثيرة والأشواق الوفـيرة انطلق الكل سائـرين على الأقـدام الى ان بلغوا المحطة .

ولدى دخـولهم الى لادو ـ وكـان مركزهـا فى الموقع الذى كانت فيـه ولم يتغير غير ان معالمها كانت قد تغيرت وأضحى ينكرها من رآهـــا سابقـا للتحسينـات التى أدخلت عليهـا ـ استصحبه أمـين بك أولا الى ديوان المديرية حيث قدم بعض معارفه من الموظفـين القدماء للسلام عليـــه ثم ذهب معه الى ديوانه الخاص فتخيله جونكر سراية من السرايات الحقيقية بالقياس لما كان يقع عليـه بصره من المنازل فى الازمان الأخيرة . وكان هـذا

الديوان قائما على النيل فى وسط جنة ويشتمل على غرف فيحاء وهذه الغرف وان كانت مفروشة بأثاث على الطراز الذى كان يستعمله أمم عصور الفطرة إلا انه كان يفى بكل ما يتطلبه الانسان من وسائل الراحة فى قطر كهذا .

ودعا أمين بك جونكر أن ينزل فى ضيافته إلى أن تصل الباخرة المرتقب قدومها فلبى دعوته هذه منشرحا مسرورا . وانقضى شهر يناير براحة وهدوء . وبما انه كان قد مر زمن طويل ولم يتقابلا وكان لدى كليهما أشياء كثيرة يبثها للآخر فقد مر الشهر المذكور بسرعة البرق . ولما كان من المحقق تقريبا قدوم احدى البواخر وكان انتهى من رحلته وزع كل متاعه الذى كان فى الامكان الاستغناء عنه على أمين بك والموظفين الآخرين المقيمين فى لادو . ولكن حدث بعد ما لم يكن فى الحسبان إذ لم تأت الباخرة التى كان مرتقبا وصولها وكان لم يزل أمامه رحلة طويلة لبلوغ أوطانه .

وقد ذهب جونكر لزيارة كبار موظفى المديرية وهم : فيتا حسان الصيدلى ، و احمد افندى محمود رئيس السكرتارية ، و عوض افندى أمين المخازن ، و حواش افندى وغيرهم . وكان الأخير قد أخلى سبيله من الخدمة ويحاول الرجوع اليها . وتردد مرارا على جونكر غير انه كان قد فرض على نفسه ان لا يتدخل قط فى مثل هذه الأمور ولذلك لم يستطع الافندى المذكور ان يجنى أية ثمرة من وراء تردده عليه ومع ذلك لم تغمض لجونكر عين عن ان يفكر فى أمر ضباط اتصفوا بالحمية والشجاعة مثل بخيت بك بتراكى و نور بك محمد اللذين كانا قد توليا قيادة

جنود المديرية ثم أرسلا الى الخرطوم . وان يفكر كذلك فى أمر ضابط آخر أقيل من الخدمة وذهب الى دوفيليه واتخذ له فيها مقرا وهو الضابط مرجان افندى الدناصورى . أولئك الضباط الذين كان يتحتم وجودهم فى أوقات الشدائد المزمع ان تتمخض عنها الليالى .

وتقدمت لادو تقدما محسوسا جدا فى السنوات الست التى غابها جونكر بعيدا عنها ففتحت فيها شوارع متقاطعة على شكل زوايا قائمة وأقيمت فى المربعات التى نشأت عن هذا التقاطع منازل للموظفين مشيدة بالطوب الاحمر . وبنيت مكاتب الادارة والمحكمة الشرعية وأماكن الضباط وغيرها على طول النهر بالوصف السابق ذكره . وكل ذلك بمباشرة عثمان افندى لطيف وكيل المديرية .

وكان النهر فى لادو طاغيا على الضفة فجرف منها زهاء العشرين مترا وذلك فى بحر المدة التى غابها جونكر بعيدا عنها واضطر أمين بك أن يتقهقر بسور منزله الذى كان قائما على النهر . أما الموضع الذى كان واقعا عليه ديوان ومستودعات غوردون باشا فصار فى مجرى النهر .

وأهم متعة للنظر فى لادو البستان الذى أنشأه أمين بك فى جنوب المحطة وغرست به سائر أنواع الخضر والفاكهة . وكانت أثماره تباع للموظفين بأثمان محددة . ويوجد فى المحطات الاخرى بساتين مثله ويعلم من هذا ان البساتين كانت ينبوعا يدر فوائد للحكومة .

وكانت الصيدلية القائمة بقرب منزل أمين بك مرتبة ترتيبا حسنا والادوية موضوعة فيها بنظام على رفوف فى خزائن . ويوجد فى القاعة مائدة مستطيلة

تقسمها قسمين وعليها الميزان والهاون وجميع ادوات الصيدلية . ويوجد خلفها بعض الأكواخ لاقامة المرضى وكل هذا مما يشرف الصيدلى فيتا حسان ويعلى قدره .

وكان يرتقب بفارغ الصبر الباخرة المزمع قدومها . ففى الأيام الأولى لم يعيروا الأمر كبير أهمية غير انه مع توالى الأيام وكرورها أخذت الافكار تتجه الى ان الأحوال فى الخرطوم صارت أكثر خطورة وأشد مما كانوا يتصورون .

وكان قبطان الباخرة الاسماعيلية التى سافرت من مشرع الرق الى الخرطوم فى ١١ ديسمبر أخبر ان باخرة اخرى كانت قد صدرت لها الأوامر بالسفر بعده من هذه المدينة الأخيرة الى لادو وها هو شهر فبراير قد أشرف على النهاية ولم يلح شىء فى الافق فأخذ الناس يتراشقون بالظنون غير انه لم يخطر ببال كائن أن يفترض أردأ الفروض واسوأها بل كان الأمل يحدوهم الى الاعتقاد بان منشأ هذا التأخير الحشائش النابتة فى منطقة السدود .

سقوط شمبى فى أيدى الزنوج والعمل على استرجاعها

وكان يلوح أن مديرية خط الاستواء غير مهددة بخطر عاجل بل كانت الظواهر تدل على ان الأمور فيها سائرة فى مجرى حسن . فالجنود قد عاقبوا الأجاريين الذين استولوا على محطة رومبيك ودمروها تدميرا عقابا زاجرا . وها هو ابراهيم افندى محمد على وشك أن يقيمها ثانيا بعد أن وطد أركان السلم فى منطقتها إلا أن تمرد الأجاريين أفسد أحوال جيرانهم الذين

يكتنفون محطة شمبي وأضحت المواصلات بين هذه المحطة و لادو مهددة وأرسل أمين بك من هذه المحطة الأخيرة مركبا تقل ١٢ جنديا بقيادة الضابط المصرى عبد الوهاب افندى طلمت ليحضر له قمحا من محطة بور . وفى ٢٩ مارس بعد سفر المركب وقبل أن تبلغ المكان الذى يممته وردت الأخبار منبئة بسقوط شمبي فى أيدى الزنوج وقتل الحامية وتخريب المحطة .

وانحصرت الآن المخاوف على المركب وركابه فقط لأنه أضحى فى غير حيز الاستطاعة نجاتهم إلا بمعجزة إذ أنه حتى لو فرض انهم استطاعوا ان يشعروا فى الوقت اللازم بسقوط المحطة فى أيدى الثوار وأمكنهم الابتعاد عنها فلا يكون فى امكانهم عندئذ رجوع المسافة الفاصلة بينهم وبين لادو بالوسائل التى لديهم فى ذلك الفصل من السنة وهو فصل الرياح المضادة لاسيما ان تيار الماء يجرى عكسهم .

وساد قلق وكدر شديد على الباخرة المنتظر قدومها من الخرطوم لأنه اذا لم يتنبه قبطانها سلفا لسقوط شمبي فقد يجوز أن تقع الباخرة فى أيدى الزنوج حتى فى حالة ما اذا تمكنت من الافلات منهم كان يخشى أن تقفل راجعة الى الخرطوم ظانة أنه بسقوط شمبي سقطت بور و لادو أيضا . وعلى ذلك كان من المحتم استرجاع شمبي مهما كان الحال ومهما بلغت نفقات استرجاعها .

وكان ابراهيم افندى محمد خاليا من الأعمال فى ذلك الوقت بعد انتصاراته على الأجاريين وعلى استعداد للقيام بما يؤمر به فصدرت له الأوامر بالمسير على شمبي ومعه امداد . وأرسلت كذلك امداد الى محطة بوفى وهى أقرب محطة

من شمبي إذ انه كان يلوح انها فى حالة خطر .

وصدرت الأوامر من باب الاحتياط وتلافيا لما عسى أن يحدث من الامور ، باخلاء المحطات البعيدة وحشد جيوشها فى المحطات الرئيسية . أما محطة بور فانه وان كان لم يرد عنها خبر منذ شهر أبريل المنصرم أى بعد مرور آخر باخرة عليها فكان لا يستشعر بأى خوف بصددها اذ أنه كان يوجد لديها كثير من الميرة وبها ٢٠٠ من الجند .

وكان أمين بك فى هم من جراء مسألة تزويد لادو والعدد الكبير النازل بها من الموظفين والعساكر بالميرة فبعث بسكرتيره احمد افندى محمود الى محطتى دوفيليه و وادلاى الجنوبيتين ليستعجل وصول الحبوب الى المحطة .

ظهور السبب فى عدم وصول بواخر الى لادو

وفى ١٦ مارس كان ميعاد مرور عام على سفر آخر باخرة أقلعت من لادو فكان كل انسان يجد فى نفسه قلقا وغما ويتساءل عما عساه أن يكون حدث فى جهة الشمال خصوصا مع ما كانوا يعلمونه من أمر الثورة المهدية .

ووردت أخبار من مكراكا منبئة بحدوث تمرد موضعى فى محطة ريمو وقمعت ثورة المتمردين باعدام الرئيس جاندا مصدر هذا الشر . ويقول ابراهيم افندى محمد أيضا انه غنم عدة مئات من الابقار وانه على وشك المسير على شمبي بقصد استرجاعها .

وفى نهاية الأمر وردت فى ٢٦ مارس رسالة من لبتون بك مدير بحر الغزال أزاحت الستار عما كان قد تم فى الجهات الشمالية وأزال كل لبس وريبة .

وجاء فى هذه الرسالة المعنونة الى أمين بك ان الدنكاويين أضرموا ثورة فى القسم الشمالى من مديريته فأخمدها وأطفأ نيرانها وأخلد الثائرون الى الطاعة . وانه علم من خطاب مرسل من شخص كان من ضمن مستخدمى مديريته فى السابق الى شخص آخر مقيم عنده ان جيش الجنرال هكس باشا هزم وأبيد عن آخره وان هكس باشا نفسه وعلاء الدين باشا وكثيرا غيرهما قتلوا . وان مديرية دارفور سلمت للدراويش وان سلاطين باشا وقع أسيرا واعتنق الديانة الاسلامية وسمى عبد القادر وان المهدى يزحف على الخرطوم .

وهكذا تجلى الموقف وعلم السبب فى عدم وصول الباخرة وأخذ جونكر يتساءل عما اذا كانت الخرطوم نفسها لم تسقط اذ انه كان من رأيه ان مصر وحدها لا تستطيع اخماد لهيب الثورة . وبما انه كان يشتشف من خلال الحوادث ان اقامته ستطول فى لادو رأى انه ليس من الكياسة والذوق أن يستمر فى ضيافة أمين بك اكثر مما مضى فطلب من هذا منزلا منعزلا فأجيب الى طلبه . وقد وعى أمين بك فى سره هذه الأخبار المشئومة وقتا ما ولم يذعها لأحد من الجمهور .

وأرجع فى هذا التاريخ حواش افندى الى الخدمة وعين مديرا للمراكز الجنوبية واتخذت دوفيليه عاصمة لهذه المراكز . وصدرت له الأوامر باخلاء المحطات التابعة لمركزى فاديبك و فويرا فى الشرق وحشد من بهما

من الجنود فى محطات الجنوب كما حصل تماما فى المحطات التابعة لمركز لاتوكا وقت سقوط شمبى . ولم يبق بعد ذلك فى قسم المديرية الشرقى غير محطة فاتيكو . وقد احتفظ بها لانها واقعة فى منطقة خصبة فيها كثير من الحب لتمير بالزاد المحطات الاخرى .

وورد فى خلال هذه المده اخبار سيئة عن شمبى . وبينما كانوا يخالون فى لادو ان ابراهيم افندى انجز مأموريته وانه جدد بناء المحطة إذا بكتاب جاء منه فى ٧ أبريل يقول فيه انه من المستحيل السير الى شمبى نظرا للنجدات التى ارسلها الى المحطات الاخرى اللهم إلا إذا أتاه مدد مؤلف من ٦٠٠ جندى . وكان من رابع المستحيلات اجابة هذا الطلب فى الوقت الحاضر للحالة الراهنة فتأجل استرجاع هذه المحطة الى وقت آخر إلا ان الايام تمخضت عن حوادث زادت الاحوال تعقيدا وارتباكا وجعلت هذا الاسترجاع بعيد المنال .

وفى ٢ أبريل قدم الى لادو ابراهيم افندى محمد و عبد الله افندى أبو زيد من مديرفى ، وضيف الله من أجاك التابعة لمركز رول بعد ان اداروا رحى الحرب على الاجاريين . وروى ابراهيم افندى ان دماء كثيرة أريقت فى هذه الحرب وانه شنق عدة رجال من رؤوس الثوار وارتأى فيما يختص بشمبى ان لا فائدة من تجديد إقامة محطتها الآن لأن الثوار يعودون لهدمها مرة اخرى . وهؤلاء الثلاثة أقاموا فى لادو إلى آخر أبريل ثم عاد بعد ذلك كل منهم الى مركز عمله .

وفى أوائل مايو عاد فيتا حسان من رحلته فى الجنوب وفى ١٣ منه تسلم جونكر المنزل الذى أعده له أمين بك . ولدى تجهيز هذا المنزل

لاحظ جونكر وقد استولى عليه الدهش ان الآلات التى كانت تستعمل فى ذلك هى نفس الآلات التى كان قد استحضرها سير صمويل بيكر والتى بغيرها ما كان فى الاستطاعة القيام بهذا العمل الضرورى إلا بعناء وتعب .

وقبيل أواسط شهر مايو علم أمين بك ان اللورون وهو رئيس من رؤساء البارين ذو قوة وبطش يهيء المعدات للقيام بهجوم على لادو . فكلف على افندى سيد احمد قومندان الرجاف بالتخلص منه والاستراحة من شره . وبعد أيام أشيع كذبا انه قضى نحبه وصار فى عداد الغابرين وان ابنه حل محله فى مركزه .

وفى ٢٣ مايو وردت خطابات من لبتون بك مفادها انه أغير على مديريته وان جيوش المهدى صارت على قيد ست ساعات من المديرية وانه قرر أن يقاتل الى النهاية ويطلب منه أن يبلغ أسرته الوداع الأخير فيما لو عاجلته المنية .

وقد أطارت هذه الاخبار لب أمين بك . وكانت الأخبار التى وردت فى الدفعة الأولى من لبتون بك عن هزيمة هكس باشا قد كتمت وظلت خافية على الجمهور غير انها مع ذلك تسربت وعلمها الناس لأن ابراهيم افندى كان قد قصها على البعض من الأهالى عند حضوره . وأرسل أمين بك فى طلب ابراهيم افندى هذا فى الحال لأن مديريته بها عدد كبير من الدناقلة الذين هم أهالى بلده وعاش بينهم سنين طويلة . وكان يأمل أن يستطيع منعهم من الانضمام الى المهديين بمساعدته . وبما أن كثيرا من الدناقلة تابعون لابراهيم افندى المذكور وهو موضع ثقة أمين بك فقد أراد أن

يفاوضه شفويا .

وصدرت الأوامر الى جنود محطات لاتوكا التى كان تقـــرر ارسالها الى محطة أمادى ـ وكانت قد قدمت ـ بالبقاء فى الرجاف موقتا .

ورود خطابين من الامير كرم الله ولبتون بك
وعقد اجتماع للنظر فى تسليم المديرية

وفى ٢٧ مايو دعا أمـــين بك جونكر للحضور الى الديوان مبكرا فذهب اليه فى الحـــال ونفسه تحدثه بانه لا بد أن يكون قد ورد خبر مشئوم فوجـــده جالسا فى مكتبه وأمامه مكتوبان احدهما من الامير كرم الله قائد القـــوات المهدية الذى استولى على مديرية بحر الغزال يطلب فيه باسم المهـــدى تسليم المديرية والثانى من لبتون بك يخبره فيه باستيلاء جيش المهديين على مديريته وكان مع هذين الخطابين ايضا منشور من المهدى يدعو فيه سكان المديرية الى الطاعة .

ولم تـكن شخصية الأمير كرم الله مجهـولة فى مديرية خط الاستواء . فقـــد كان دنقلاويا وأقام مدة فى شمبى . وكان يقصد بدعـوته امينا بك والأهالى للخلود الى الطـاعة قدومهم فى الحال الى بحر الغزال وإلا فهـو يبادئهم بالعدوان واشعال نيران الحرب .

وبعد هذا الذى جـــرى وحدث كان لا فائدة من الاستمرار على تـكتم الحـالة أكثر مما مضى لأن المنشور بلا ريب كان قد وزع فى المديرية وعلم بمجرى الحوادث الخاص والعام .

فاستدعى امين بك عقد جمعية من كبار رجال المديرية تتألف من : ضباط الحامية الثلاثة الكبار ، والقاضى ، ومعلم المدرسة ، و عثمان ارباب رئيس السكرتارية ، و فيتا حسان ، و عوض افندى ، و احمد افندى رائف وبعض موظفين آخرين .

وبعد تلاوة الخطابين والمناقشة تقرر ما يأتى :—

« حيث ان جيش هكس باشا عجز عن هزيمة القوات المهدية وان لبتون بك سلم مديرية بحر الغزال وانه من المستحيل حشد جنود المديرية بالسرعة اللازمة لمقاومة العدو مقاومة جدية فقد تقرر باجماع الآراء التسليم تفاديا من اراقة الدماء بدون جدوى » .

وصرح أمين بك بعد وضع هذا القرار انه مستعد للسفر الى بحر الغزال وطلب أن يعرف من يقبل من الحاضرين مرافقته فى هذه الرحلة فتقدم عدد كبير جدا وطلبوا السفر ولعل قبولهم هذا كان من باب الملاطفة أو التغالى فى التحمس . ودعت الحالة لاصطفاء البعض منهم فوقع الاختيار على القاضى ، و معلم المدرسة ، و عثمان ارباب رئيس السكرتارية وهو من أسرة لها منزلة كبيرة فى دنقلة ، و موسى مأمور لاتوكا سابقا ، و احمد بابا الكاتب . أما جونكر فصرح بانه يحتفظ باعلان ما يستقر عليه رأيه بخصوص السفر أو عدمه الى ما بعد . إلا انه فى الواقع ونفس الأمر كان قد عقد النية على عدم السفر لأنه كان يعرف جيدا بأنه متى وصل الى الأمير كرم الله يدعوه الى اعتناق الديانة الاسلامية ويبعث به ليقضى باقى حياته عند المهدى .

وكان يرى من جهة القرار الذي اتخذ انه قرار صائب وأن لا مناص من العمل بما جاء به وانه ليس هناك وسيلة أخرى نظرا لبعثرة القوات فى انحاء المديرية ولعدم كفايتها لصد هجمات جيوش المهديين ومقاومتهم مقاومة جدية ينتظر من ورائها نجاح أو فلاح . غير انه لم يكن من رأيه وجوب سفر أمين بك مع الوفد إذ أن فى استطاعته أن يعتذر بأنه بقى ليحافظ على المديرية باسم المهدى وكان يكتفى بكتابة جواب يقدم فيه واجب الطاعة وبذلك يكتسب الوقت ويبرهن على انه خضع للأوامر . أما سفره فليس وراءه غير بث روح الفوضى فى المديرية .

تقرير خطة الانسحاب الى الجنوب

وأرسل امين بك بلا توان الأوامر الى ريحان افندى ابراهيم مأمور مركز ممبتو بالانسحاب مع جنوده الى مكراكا وبعث فى الوقت عينه أوامر بسحب جنود المحطات الواقعة جنوب محطتى مديرفى و ريمو . وكتب جونكر ايضا الى كازاتى فى ممبتو حيث كان مقيما ان يرجع الى لادو بغاية السرعة .

وفى ٢٨ مايو أى غداة اليوم التالى للاجتماع الذى عقده أمين بك قدم فيتا حسان و عثمان ارباب و عوض افندى وقابلوا جونكر وطلبوا منه عدم مبارحة لادو لأنهم كانوا يرون من خلال الحوادث ان النظام سيختل كثيرا بعد سفر امين بك فهدأ روعهم بأنه سيبذل ما فى وسعه فى منع سفر المدير العام .

وانقضى يوم ٢٩ مايو بسلام ولم يحدث أى حادث . وأخمدت أنفاس الهيجان

الذى ساد بادىء ذى بدء وأخذوا ينظرون الى الموقف بعين التعقل والفطنة واقتنع أمين بك بأن ينبذ السفر الى بحر الغزال ظهريا ويكتفى بارسال الوفد .

وبما أنه عدا ذلك كانت الخواطر تهدأ مع توالى مرور الأيام وتنجلى أمام أعين الناس الحالة التى هم عليها فقد انكشف لبصرهم ما يمكن أن يبطنه الغد . فلو فرض أن المهديين استقر بهم الرأى على أن يهاجموا المديرية ففى غير امكانهم القيام بذلك الهجوم إلا بعد عدة شهور . وفوق هذا فان حالة مديرية بحر الغزال لا يمكن موازنتها بمديرية خط الاستواء .

فقد كان لا يوجد تحت سيطرة لبتون بك سوى بضع مئات من الجنود النظامية . أما رجاله الآخرون فمن العرب الذين أظهروا الخيانة امام العدو واضطروه بعملهم هذا الى التسليم بينما يوجد لدى أمين بك ٢٠٠٠ مقاتل من الجنود السودانيين النظاميين مسلحين بسلاح رمنجتون يقودهم ضباط قضوا زمنا فى الخدمة وخبروها ويمكن التعويل عليهم . وعدا هذا فان العداوة المستحكمة بين الجنسين خير كفيل لعدم وقوع خيانة .

وتباحث أمين بك وجونكر معا بصدد الموقف وعن أقوم خطة يجب اتباعها فاستقر رأيهما من غير تردد على انه من غير المستطاع السير نحو الشمال للارتياب الذى هم فيه بشأن الحوادث الواقعة فى الاتجاه المذكور . أما فيما يختص بخطة الانسحاب عن طريق زنزبار فهذه الخطة تنفيذها غير ممكن عمليا لكثرة عدد النساء والاولاد الذين تستلزم الحالة نقلهم .

وأخيرا تبين لهما أن الحل الوحيد الممكن عمله هو الانسحاب نحو محطات الجنوب مع ترك حامية صغيرة فقط فى لادو بصفة طليعة . وهذه الخطة الأخيرة لم تنفذ برمتها إذ أنه لم يرسل الى دوفيليه إلا الكتبة ودفاتر الحكومة .

وكان جونكر ينوى السفر الى الجنوب إلا أنه رأى ان ينتظر من أجل تنفيذ هذه النية سفر الوفد برياسة القاضى ومع ذلك فقد أخذ يتأهب لهذه الرحلة وأعطاه أمين بك حمارا و ٣٠٠ ريال لأن النقود التى كانت فى حوزته لم يبق منها سوى ٧٥ ريالا .

وكان يرتقب قدوم ابراهيم افندى محمد بين يوم وآخر غير انه لم يأت وفى نهاية الأمر ورد خطاب منه يقول فيه انه لا يستطيع الحضور حالا لأنه ينتظر قدوم ناس من بحر الغزال . وربما كان هذا بدء الشروع فى الخيانة .

وأخيرا فى ٣ يونيه سافر الوفد ورافقه أغلب أهالى لادو حتى خارج باب المحطة الكبير . وفرغ جونكر من اعداد معدات السفر وبينما هو يتأهب للمسير فى ٥ منه اذا بجندى من جنود مراسلة لبتون بك قد قدم وقص أن هذا سرحه قائلا له أن انج بنفسك وانه رأى المهديين يحرقون دفاتر الحكومة وانهم باعوا علنا أهالى الجنود وانه على ذلك تعلق بذيل الفرار هو وآخرون من رفاقه .

ولقد عاد ما قصه هذا الجندى بفائدة جلى إذ جعل العساكر تلازم جانب الطاعة وبعث فى نفوسهم تأثيرا عميقا لا يمحوه كرور الايام .

وفى ٦ منه تقابل جونكر مع أمين بك عدة مرات وسلمه خطابات بقصد تصديرها إذا قدمت باخرة أثناء غيابه . وقد نظما قانونا للمخابرات السرية بينهما فى حالة حدوث أشياء هامة .

وفى ٧ يونيه استأذن جونكر من أمين بك وفارقه والأسى ملء جوانحه لما قدمه له من المعروف وحسن المعاملة . وكان يشعر بكثير من الغم أيضا لأنه سيسافر بدون معداته التى كان قد وزعها ولانه كذلك فقد جميع مجموعاته التى كان قد جمعها فى غضون ريادته الأخيرة تلك المجموعات التى تركت فى بحر الغزال .

وكان كل قصده الوصول الى ساحل زنزبار عن طريق أونيورو و أوغندة وكان يقدر سلفا امكان التشبث بضيافته زمنا طويلا عند ملكى هذين البلدين الأخيرين وهما كباريجا و امتيسا . اللذين لم يبلغه الى ذلك الوقت خبر وفاتهما .

وكان من بواعث اشجانه أيضا ان التجارة التى كانت نشطت وازدهرت فى السنين الخوالى بين أونيورو و أوغندة ومحطات مديرية خط الاستواء الجنوبية قد انقطعت منذ زمن وأدركها العفاء .

وكان لم يصل الى أمين بك فى الواقع ونفس الأمر أخبار من أوغندة من وقت ما رجع منها الدكتور فلكن عام ١٨٧٩ م ويجهل جهلا تاما ما كانت عليه المحطات التى أقامها أولئك المبشرون أهى لا تزال باقية أم أصبحت أثرا بعد عين . ومما زاد فى طول المسافة التى يتعين عليه ان يجوبها بين هذين البلدين والبلد الخاضع لسيطرة الحكومة اخلاء محطات مديرية خط

الاستواء الجنوبية .

سفر جونكر الى الرجاف

وكان الطريق وقت سفره من لادو التى كان يظن انه لن يراهـا بعد ممتدا على شاطىء النهر والأمن فيه موطد الأركان لأن المحطات التى كانت قائمة على طوله كان يرابط فيها جنود نظامية سودانية بقيادة ضباط من جنسهم أو مصريين وكان جميع الدناقلة موزعين بين مكراكا و ممبتو و رول .

وكان جونكر يسافر برا على ظهر حمار وقابل اثناء مسيره ثلة من الجند عائدة من لاتوكا وكان كثير منهم مصابا بالمرض المسمى « فرانتيت » Frantit وكان ٢٥ منهم محمولين على نقالات . وهذا المرض كان محصورا فى مركز من مراكز هذه المديرية فيه يشرب السكان ماء راكدا واغلب المرضى قادمون من هذه المحطة بينما كان سكان المحطات الأخرى سالمين من هذا المرض .

ومر حيال غندوكورو القائمة على الضفة الأخرى وكانت بها حامية صغيرة وكانت هذه المحطة فى سالف الأيام عاصمة مديرية خط الاستواء . وقضى ليلته الأولى فى قرية من قرى الباريين ووصل ثانى يوم سفره الى محطة الرجاف ونزل بها فى ديوان أمين بك فوجدها تموج بالجنود العائدين من المحطات التى أخليت . وقد قضى يوما فى الرجاف واشتبك فى الحديث مع العساكر المرابطين بها فتأكد من هذه المحادثة أن الجنود سيظلون موالين للحكومة لأنهم يشنئون العرب ويبغضونهم من أعماق قلوبهم ويرون

انه لا ينتظر من وراء هؤلاء خير .

ومن ضمن المبالغات التى سمع بهـــا جونكر القول ان جيشا من المهـــديين مؤلف من ٢٧٠٠٠ مقاتل على وشك المسير الى مـــديرية خط الاستواء وأخذ يجول فى فكره أن البلد لا يستطيع قط أن يتحمل جيشا عرمرما كهذا .

سفره الى لابوريه

وفى ٩ يونيه بارح جونكر الرجاف وأفضى فى عشية هذا اليوم الى بيدن بعد أن قطع معظم المسافة مشيا على الأقدام . وهـــذه المحطة واقعة فى جزيرة يوصل اليها بواسطة طوف « معدية » يسير بواسطة حبل من الصلب . وقضى الليل فى اكواخ غاية فى النظافة . وتوجد فى كل محطة اكواخ كهذه خاصة بأمين بك وقدمت اليه لوازمه جميعها .

وأقلع جونكر فى اليوم التالى مبكرا على ظهر مركب يجرها الرجال من الضفة باللبان « الحبال » وكان تقدمها فى السير بطيئا لشدة جريان الماء وسيرها فى اتجاه مضاد للتيار فدعت الحالة الى المبيت فى الطريق ومقاساة الصعاب بسبب الامطار ولم يصل الى كرى أى المحطة التاليـة إلا فى الغد . وكان قائد المحطة ضابطا مصريا يقال له فولا افندى . وقد قابل جونكر وذهب به الى ديوان أمـين بك وهو قائم وسط مزرعة من شجيرات المـوز وفيه نزل . وقد تناول صاحب المركب الذى أقله من بيدن الى كرى أربعة ريالات أجرا .

وبلغ جونكر ان احمد افندى محمود سكرتير أمين بك الذى كان قد

أرسل الى محطات الجنوب من عدة شهور ليستعجل ارسال الحبوب أصبح على وشك المجيء من موجى فقرر انتظاره . وفعلا وصل هــذا فى غد اليوم التالى الموافق ١٢ يونيه وسمــع قصص الحوادث التى وقعت فى مدة غيابه بلهف وشغف عظيم . وبما انه كان عائدا بمقادير كبيرة من المؤن فقد أعطى مقدارا منها الى جونكر وتناولا الغداء معا . وفى الغد عاود احمد افندى المسير موليا وجهه شطر لادو وسافر جونكر فى اتجاه محطة موجى برا فدخلهــا فى اليوم نفسه مساء ونزل كالعادة فى أكواخ أمين بك القائمــة فى أعلى مجــرى النهر ولنفاسة هــذا الموضع عزم على الاقامة فيه يوما .

وفى ١٥ يونيه سافر فى اتجــاه لابوريه وبلغها فى اليوم عينه ونزل فى اكواخ لم تصل درجتها فى النظافة المنزلة المطلوبة وما ذلك إلا لعدم وجود أكواخ برسم أمين بك فقضى ليلة كريهة . وبمــا انه كان يتحتم عليه أن يقضى الليلة القادمة فى خور أيو الواقع على مسافة ساعتين فقط من لابوريه فلم يشرع فى المسير إلا عندما انتصف النهار وأرسل يطلب من حواش افندى فى دوفيليه حمارا قويا للركوب .

ومحطة خور أيو Khour Ayou قائمــة فى الموضع الذى يصب فيه النهير المسمى بهذا الاسم ماءه فى النيل . ويوجــد فى هذا المكان معدية لعبور النيل . وأنشئت هــذه المحطة للمحافظة على المعــدية ولتقصير المسافة بين لابوريه و دوفيليه لأن هذه المسافة لا يمكن قطعها فى يوم واحد . ويوجد فى هذه المحطة مسكن لأمين بك نزل فيه جونكر . وانتدب شخصا ليكترى له حمارا فعثر على حمار واكتراه بريالين ودفعهما وقيل له بعد ذلك ان صاحب

الحمار متعيب وزوجه تأبى تسليم الحمار . ولم يستطع السفر فى اليوم التالى لأن ثلاثين شخصا من حماليه تعلقوا بأذيال الفرار ليلا وما أمكن ارجاعهم إلا فى المساء .

وفى ١٨ يونيه رحل جونكر مبكرا لأن المسافة التى يتعين عليه قطعها الى ان يصل الى دوفيليه طويلة . والحمار الذى كان قد أحضره معه من لادو مشى فى ذلك اليوم بخطوات سريعة إذ أنه كان قد استراح فى اليوم السابق . ويمتد الطريق ومجرى النيل مسافة ساعتين ثم ينعرج الى داخلية البلاد ليتحاشى التلال الممتدة لغاية النهر الذى لا يعود المسافر أن يراه إلا لدى بلوغه دوفيليه . وكان وصوله الى هذه المحطة فى الساعة الثالثة مساء . وقد قابل فى منتصف الطريق بغلة مرسلة له من قبل حواش افندى فركبها فى المسافة الباقية من الطريق .

وقدم حواش افندى والضابط المصرى ابراهيم افندى حليم والضابط السودانى مرجان افندى الدناصورى لمقابلة جونكر وليسلموا عليه . وذهب به حواش افندى الى داره وفيها نزل . ووجهت اليه أسئلة كثيرة عن جميع ما كان قد حدث فأخبرهم بما وصلت اليه الأحوال وأراد هو أيضا أن يعرف مجرى الحوادث فى جهات الجنوب فوعده مرجان افندى الذى كان قد أعيد الى الخدمة وأزمع أن يسافر فى اليوم التالى الى وادلاى على متن الباخرة « الخديو » ، أن يواصله بأخبارها .

واستقر بجونكر الرأى على أن يطيل مدة اقامته فى دوفيليه فأخذ الاستعدادات اللازمة لذلك . وكان فى السكن الذى نزل به وسائل الراحة . وبعد بضعة أيام انتقل حواش افندى الى داره الجديدة . وبقى جونكر وحده

فى الدار القديمة الأمر الذى سره لأن دوفيليه أخذت تموج بالسكان بسبب استمرار قدوم الكتبة والمستخدمين المنقولين من لادو .

وفى ٢٤ يونيه رؤى هـلال شهر الصوم فأطلقت المدافع ايذانا بحلوله . وكان جونكر ينتظر كل يوم بفارغ الصبر ورود أخبار من امين بك لأن سفره كان يتعلق بما قد يمكن ان ينبئه به ولسوء الحظ لم يأت من قبله خبر جديد . وجميع ما كتبه له مصدره اشاعات أذيعت لا أكثر . واستدعى امين بك حواش افندى الى لادو لكى يحضر اجتماعا تقرر عقده فيها للمداولة فاعتذر عن الحضور لكثرة ما عنده من الأعمال .

وبعد سفر مرجان افندى الدناصورى وردت أوامر من لادو تقضى بذهابه الى محطة امادى ومعه عدد من جنود المحطات التى أخليت وتسلم قيادتها واعدادها للدفاع فعاد على الفور من وادلاى التى لم يكن قد بارحها بعد وسافر فى اتجاه الجنوب وعلى هذا لم يستطع ان يأتى جونكر بخبر من الاخبار من هذه الاصقاع .

وسافر مرجان افندى مع حواش افندى فى ٥ يوليه الى لادو .

ووقع أغلب خدام جونكر فى مخالب المرض فى غضون اقامته فى دوفيليه ولم يستطع ان يهيء له شيئا للطهى والتزم ان يقبل ضيافة الضابط المصرى مصطفى افندى وصار هـذا يرسل اليه اكلتين فى اليـوم وكان جونكر يبعث اليه فى كل مرة يذبح فيها خروفا مقدارا منه وكان يبعث منه كذلك للاشخاص الذين يرسلون اليه طيورا ومن بين هؤلاء كاتب قبطى يقال له باسيلى افندى .

ووافق آخر يوم فى شهر رمضان ٢٤ يوليه وأعقبه عيد الفطر فذهب جونكر الى اصدقائه وزارهم واضطر ان يوزع على سبيل الهدية ما قيمته ٢٥ ريالا للخدم ولصغار المستخدمين وصغار المحطة .

عدول جونكر عن السفر الى الجنوب

وفى آخر شهر يوليه آب حواش افندى من لادو الى دوفيليه وأخبر ان مرجان افندى عين قومندانا فى محطة أمادى وان حاميات بوفى و أجاك و روميبك أرسلت الى هذه المحطة حتى أنه لو حدث قتال تكون محطة أمادى المذكورة بمثابة حصن أمامى للادو . وعين فرج افندى يوسف الذى كان قائدا فى تنجازى قومندانا فى مكراكا بدلا من سليم افندى الذى استدعى بسبب بعض تهم وجهت اليه ونقل الى دوفيليه وأرسل فيما بعد هو وسليمان افندى الى المحطة الجديدة التى أقيمت فى أبى نخرة Abou Nakhra على الضفة اليمنى بين دوفيليه و وادلاى .

وظل حواش افندى قائدا للمحطات الجنوبية لغاية لابوريه وتولى ابراهيم افندى حليم قيادة لابوريه و موجى و كري وكان متغيبا فى مأمورية بناء محطة أبى نخرة .

ولم يشأ جونكر أن يتوغل فى السفر جنوبا أبعد من دوفيليه لأن الآمال كانت لم تزل تساوره بقدوم باخرة يوما من الخرطوم وعندئذ يكون بعيدا كثيرا ولا يكون متوافرا لديه الوقت الكافى للرجوع وركوب تلك الباخرة إذ كان من رأيه ان المدنية لا تترك مطلقا الهمجية تعبث فى اكناف السودان . وبناء على ذلك رجع قبيل أواخر شهر أغسطس عن

رأيه الأول القاضي بذهابه نحو الجنوب الذى لم يصل اليه من أخباره شيء وظن انه يكون من المستحسن والأفضل الاقتراب من الجهة الشمالية . وعدا ذلك فان أمينا بك أرسل اليه دعوة بالحضور الى لادو إلا أنه قرر أن لا يذهب لغاية هذه المحطة بل الى كرى فقط ويراقب منها مجرى الحوادث .

وفى ٣٠ أغسطس سافر حواش افندى و سليمان افندى الى وادلاى ليتوجها منها الى محطة أبى نخرة الجديدة لافتتاحها . واتفق جونكر من جهته مع مصطفى افندى الضابط المصرى الذى كان مقيما فى دوفيليه ونقل الى محطة خور أيو على أن يسافرا معا الى هذه المحطة . إلا أنه بعد أن انتظره مدة لينجز ما لديه من الأعمال رأى ان المسألة ستطول فسافر بمفرده فى ٤ سبتمبر من دوفيليه .

وبعد أن قضى جونكر ليلة فى خور أيو وصل إلى لابوريه وقضى فيها يوما ثم سافر الى موجى وأقام فيها كذلك يوما وسافر منها الى كرى ولدى وصوله نزل فى دار أمين بك وكتب إليه بوصوله . وكان فولا افندى الذى كان قائدا لهذه المحطة وقت سفره فى الذهاب قد نقل الى أمادى تحت رياسة مرجان افندى وعين محله احمد افندى الاسيوطى (١) وهو ضابط سودانى من رجال عهد سير صموبل بيكر . وقد بذل ذلك الضابط كل ما فى وسعه فى سبيل راحة جونكر مدة اقامته .

---

(١) — هو مثل مرجان افندي الدناصوري من ابناء السودان وقد توطن بمديرية أسيوط فنسب اليها وجند مع من جندوا من ابناء القطر المصرى للسفر فى الاورطة المصرية فى حرب المكسيك ثم عاد منها ولحق بالخدمة فى السودان .

عودة جونكر الى لادو

وفى ١٤ سبتمبر لحق ابراهيم افندى حليم بجونكر فى كري . وقرر جونكر الذهاب الى لادو طوعا لارادة أمين بك الذى كان يلح فى ذلك .

وفى ١٥ منه اتخذ سبيله فى اليم على متن سفينة المحطة التى وضعها أمين بك تحت تصرفه . وكان بمعيته ابراهيم افندى ووجهته بيدن . وقدم له احمد افندى قبل أن يسافر سلتين كبيرتين على سبيل الهدية مملوءتين فولا سودانيا . ويزرع هذا النوع بكثرة فى جهات كري .

ولم يجد جونكر فى بيدن قائد المحطة وكان قد ذهب لجمع العلف من الضواحى . وبعد ان قضى الليل بلغ فى ١٦ سبتمبر الرجاف وفيها وجد على افندى سيد احمد وهو من اقدم ضباط المديرية وحائز لثقة أمين بك التامة . ونقله هذا عند بدء الاضطراب قائدا للحرس فى لادو . واستعيض عنه فى الرجاف بضابط مصرى آخر من أمادى يقال له عبد الله افندى وعين بدل هذا فولة افندى من كري .

وصوله الى لادو والحوادث التى وقعت فى غيبته

وفى ١٧ سبتمبر شخص الجميع الى لادو ولدى مرور جونكر بغندوكورو وقف ليزور هذا الموضع التاريخى الذى اتخذته الحكومة بادىء الأمر قاعدة لها ومنه دوخ سير صمويل بيكر كل الاراضى الواقعة جنوب ممتلكات مصر وأخضعها . وبعد الغداء استمروا فى طريقهم غير انهم لم يصلوا الى لادو

إلا وقت العصر بسبب هبـــوب الرياح من جهة الشمال بشدة . وكان امين بك وبعض الاصدقاء فى انتظار جونكر فى المـــوردة وبعد تبادل عبارات التحية والتسليم أخذه وأسكنه فى منزل عثمان ارباب الذى كان خاليا لداعى سفر صاحبه مع الوفد .

وبما ان خدم جونكر ما كانوا قد وصلوا بعد فقد نزل هو ضيفا على أمين بك مؤقتا . وأول محـــادثات دارت بينه وبين أمين بك كان موضوعها بالطبع الحوادث التى وقعت فى خلال غيبته . وهذا ما علمه :

أرسل الأمير كرم الله الى جميـــع موظفى المديرية كتبا كالتى بعث بها الى أمين بك : أى الى عثمان افندى لطيف فى رومبيك ، و ضيف الله فى أجـــاك ، و ابراهيم افندى فى مكراكا . وكتب هذا الأخير الى امين بك يخـــبره انه ارسل الى أمادى البغلة التى طلب منه إرسالها ليركبها فى سفره الى بحر الغزال وأنه سيقابله فى محطة أمادى المذكورة . وبناء على ذلك جمع ضابط مصرى يقال له خليل افندى مرعى مرءوسيه فى مكراكا وقال لهم : « لكل واحد منكم أن يذهب حيث شاء إذ ان الحكومة اندثرت وزالت » . وعندما سمع امـــين بك هذا النبأ انتدب فى الحال ضابطا و ١٠ من الجنود للقبض على ذلك الضابط .

وورد بعد ذلك بزمن يسير تقرير من بلال افندى بكابايندى يقول فيه ان ابراهيم افندى جورجورو أرسل ٢٠٠ رجل من الاهالى ليجمعوا النساء والاولاد وأخذهم وأخذ معهم الأسلحة والذخيرة التى فى مستودعات واندى وخرب كابايندى تخريبا تاما تقريبا ووضع الأغلال فى عنق مصطفى افندى درويش واقتاده معه وسافر مع خليل افندى مرعى ومحازبيه الى بحر

الغزال . وهكذا تمت نبوة جونكر عن هذا الرجل .

وكتب عثمان ارباب من امادى وهذا هو سكرتير أمين بك الذى سافر مع الوفد يقول ان الأمير كرم الله سيبارح بحر الغزال ميمما لادو فى ٢ رمضان الموافق ٢٦ يونيه . وكتب كذلك ضيف الله يقول ان مع الأمير كرم الله فى بحر الغزال ٧٠٠٠ مقاتل .

وورد نبأ من محطة رومبيك أن العرب فيها تركوا المحطة عندما سمعوا أن مديرية بحر الغزال سقطت لينضموا الى الأمير كرم الله وان الزنوج ذبحوهم فى اثناء الطريق وبذلك أضحت رومبيك واقعة فى الخطر فأمر امين بك باخلائها وتوجيه حاميتها الى أجاك . وكلف امين بك قائد هذه المحطة الأخيرة سليمان افندى بهذه المأمورية فذهب الى رومبيك على رأس ١٨٠ جنديا وجرد العرب الذين كانوا قد تخلفوا فيها من الأسلحة وأرجع الجنود ومدفعين والذخيرة وبعض المؤونة الى اجاك فى ١٧ أغسطس . وأخليت كذلك محطتا اجاك و بوفى بعد هذا التاريخ بزمن يسير وانضمت حاميتها الى حامية امادى لتقويتها .

وجاهر العرب فى مركز رول من أول الأمر بالعدوان والكراهة للحكومة . وجرد صياد من صيادى الافيال يقال له على كركوتلى العساكر المرابطين فى محطة صيادين الصغيرة من أسلحتهم وذخيرتهم وأخذهم أسارى . ولما نقل مرجان افندى من دوفيليه الى أمادى أرسلت إليه الأوامر بأن يبعث تكفارا رئيس الزنوج المقيم على مقربة من المحطة والذى ما فتىء مواليا للحكومة لمعاقبة على كركوتلى .

أما عن الوفد فقد علم جونكر انه قام نزاع بين أعضائه وان البعض منهم رجع الى محطة صيادين . وكان هذا الخبر صحيحا لأن أمينا بك قد وصل اليه فى ٢٠ أغسطس من مرجان افندى خطاب أرسله اليه عثمان ارباب من المحطة المذكورة يقول له فيه انه قدم من بحر الغزال حاملا مراسلات برسم أمين بك حاوية أخبارا سارة ويطلب ارسال رجال لاحضاره لأنه مستعجل . وأرسل اليه مرجان افندى الرجال فى الحال . ومع انه قد قضى الوقت الكافى لقدومه فهو لم يحضر للآن وما فتىء أمين بك ينتظره فى لادو الى تلك الساعة . وفوق ذلك فانه هو وجميع أعضاء الوفد الآخرين الذين سافروا لم يعودوا بعد مطلقا وظلوا مع الثائرين .

ووردت فى نهاية الأمر أخبار طيبة من محطة بور بعد أن ظلت أخبارها منقطعة ستة عشر شهرا وتبين من هذه الأخبار ان الضابط عبد الوهاب افندى طلعت والاثنى عشر جنديا الذين كانوا معه نجوا جميعا وان الزنوج قاموا بهجمة فصدت وان الحالة مرضية .

ولم يبق من المحطات الواقعة على ضفة النيل الشرقية إلا محطتى بور و غندوكورو ويمكن تلخيص الموقف فيما يأتى :

لم يهاجم مهديو بحر الغزال مديرية خط الاستواء وعلى هذا يجوز أن يكون عدد رجالهم الذى قدم من كردفان غير كبير أو أن الناس الذين قدموا منها توطنوا مديرية بحر الغزال . ويظهر ان قوة العدو التى يعتمد عليها فى هذه المديرية تنحصر بالأخص فى العرب الذين كانوا مقيمين فيها من قبل واحتل هؤلاء بالاتفاق مع من قدم محطات خط

الاستواء الغربية وشحذوا غرار العـــزم على القيام بهجوم على محطة أمادى . ووقع فى أيدى الثائرين علاوة على أجاك التى كانت قد أخليت ، المحطات الصغيرة الواقعة جنوب غرب رول بما فيها « صيادين » . وكانت محطتا كاليكا و لوجو Kalika & Loggo قد أخليتا كذلك . أما ممبتـــو فكانت لم تزل محتلة ومثلها محطات مكرا كا الواقعة شرقا . ونقلت حامية بوفى وانضمت الى حامية أمادى لتقويتها وأحيطت هذه بسياج من الخنادق وصارت الحصن لحدود المديرية والنقطة الحصينة الأمامية للادو .

هذه هى الحوادث التى حدثت فى أثناء غيبة جونكر والحالة التى كانت عليها المديرية يوم ١٧ سبتمبر أى تاريخ رجوعه الى لادو .

جمع الحاميات فى أمادى وتحسن الحالة

وفى ٢٦ سبتمبر وصل خـــدم جونكر الذين كانوا قد تخلفوا عنه ورتبوا منزله . وكان يصل اليه كما كان ذلك جاريا فى المدة السابقة راتب من اللحم والخضر من الحديقة واردب ذرة من مستودعات الحكومة .

وفى ٢٨ منه دعى جونكر لتناول الغداء فى منزل فيتا حسان هو و احمد افندى محمود و ابراهيم افندى حليم . وكانت دار فيتا حسان ممتازة أكثر من غيرها من الدور فى لادو لأنه كان قد استحضر أشياء حين رحلته الأخيرة الى الخرطوم . فقد كان يوجد عنده البن والسكر وهما من الأشياء التى كانت لا توجد عند غيره ولا عند أمين بك . وكان هـذا يستعمل مثل الآخرين الـكركدب وهـو حبوب شجيرة يجمرها الزنوج ويعملون منها منقوعا يشربونه عوضا عن القهوة .

ووافق أول اكتوبر أول أيام عيد النحر فعمل أمين بك فى بكرة النهار حفلة استقبال فى ديوان المديرية حضرها جميع الموظفين الملكيين و العسكريين فجلس كبارهم مع المدير العام وقدمت لهم المرطبات بحضوره . وأما الآخرون فانسحبوا بعد أن سلموا عليه الى ديوان مجاور لاقوا فيه الحفاوة والاكرام .

وحضر جونكر بالطبع هذا الاحتفال وجلس بجانب أمين بك .

وبعد العيد عقد زواج ابراهيم افندى حليم على كريمة على افندى سيد احمد وفرض لها مهر قدره ١٥٠ ريالا وأقيم لذلك حفلة كالمعتاد رغما عن أوقات الشدة التى كان يصطلى الناس بنارها .

وفى ٩ اكتوبر سافر على افندى سيد احمد و ابراهيم افندى حليم و فيتا حسان من لادو فذهب الأول الى الرجاف ليتمم عملا كان قد شرع فيه ، والثانى الى مركز عمله وهو مأمورية محطات لابوريه و موجى و كري ، والثالث ليعود مرضى المحطات الجنوبية وبالاخص دوفيليه حيث كان المستخدمون فى انتظاره .

وحفر فى مدة غياب جونكر عن لادو خندق حول المحطة والتراب الذى خرج من الحفر عمل منه متراس نصب عليه مدفعان أحدهما فى الزاوية البحرية الغربية والثانى فى الزاوية الجنوبية الغربية . وقد باشر هذا العمل الضابط المصرى محمود افندى العجيمى وأحسن اتمامه . وهذا الضابط اشترك فى حرب الترك مع الروس سنة ١٨٧٧ — ١٨٧٨ م .

وفى ١٠ منه ورد بريد من مرجان افندى وبه عدة كتب من بينها كتابان من الأمير كرم الله لأمين بك منطوقهما كمنطوق كتبه السابقة إلا

أنه زاد على ذلك ان قال ان قدومه الى لادو فى القريب العاجل من الأمور التى لا بد منها والمسألة الاساسية فى الحالة الراهنة هى مسألة الدفاع عن أمادى وكان قد أقيم حول هذه خندق كالذى عمل حول لادو ووصل اليها حاميات المحطات التى أخليت والتى وصلت اليها الأوامر بالذهاب اليها . وأرسل أمين بك بعض أوامر الى مكراكا واستدعى فيتا حسان و على افندى سيد احمد .

وفى ٣٠ اكتوبر حاول أمين بك ارسال خطاب الى بور وبعد ٢٠ يوما من هذا التاريخ ارتد له خطابه لان الطريق كان يحاصره الزنوج الثائرون . وفى اليوم ذاته أبلغ أمين بك جونكر ورود خطاب من مرجان افندى صادر عن أمادى يقول فيه انه أرسل الى محطة صيادين بعض الثقات بقصد الحصول على أخبار وان هؤلاء رجعوا وأخبروا بأنهم لم يتسن لهم الحصول على أخبار عن الأمير كرم الله ولا عن رجاله غير أنهم سمعوا من ناحية أخرى ان الرجال الذين كانوا بصيادين يستعدون للهجوم قريبا على أمادى بقيادة على كركوتلى والشيخ حسن واد الطيب . ويقول مرجان افندى علاوة على ما ذكر ان حامية أجاك بمدافعها وذخيرتها ومتاعها وصلت سليمة معافاة أما حامية بوفى فلم تزل الى الآن فى الطريق . ويقول كذلك ان الحامية على أحسن استعداد وان الوفد الذى كان قد سافر من لادو باق بأكمله مع الثوار . وهذه الأخبار سارة لاسيما الخاص منها بحامية أجاك التى كان يسود بصددها القلق والجزع .

وهكذا انتهى شهر اكتوبر وكانت الحالة قد تحسنت تحسنا بينا لجمع الحاميات التى كانت مشتتة وحشدها جميعها فى أمادى . وكان أهم الأمور

الآن محاولة استكشاف قوة العدو . أما العرب فجاهروا بالثورة بعد خيانة ابراهيم افندى جورجورو وما قام به على كركوتلى فى محطة صيادين Sayadin .

وفى ٨ نوفمبر ورد تقرير من أمادى مذكور فيه ان قوات قادمة من بحر الغزال أمست على وشك أن تهاجمها هى و مكراكا بقيادة عبد الله و على كركوتلى و طاهر . وانه أذيع ان عددا من جنود حامية شمبى لاذ بالفرار على سفينتين بقصد الانحدار مع النيل والوصول الى فاشودة وان إحدى هاتين السفينتين وقعت فى أيدى الزنوج فحطموها .

وفى ١٤ منه قدم رجال من ناحية الجنوب يحملون رسائل من أنفينا يقول فيها إنه بعد اخلاء محطة فويرا بادأه جاراه الشرقى والجنوبى بالعدوان ، وهذان الجاران هما كاميزوا Kamisoa بن ريونجا الذى عقد محالفة الدم مع سير صمويل بيكر ، و كباريجا ملك أونيورو . ويطلب أنفينا من أمين بك اعادة احتلال المحطة المذكورة لحمايته هو وأراضيه من أعدائه .

وكانت الاحوال الحاضرة لا تسمح باجابة هذا الطلب فكتب له أمين بك انه عندما تتحسن الحالة وتأتى الباخرة من الخرطوم يصير احتلال المحطة ثانية . وانتهز جونكر هذه الفرصة ليرسل خطابات الى المبشرين الذين كان يحتمل وجودهم فى أوغندة . وأوصى أمين بك حاملى الرسائل أن يطلبوا من أنفينا موالاته بارسال المكاتيب .

وفى ١٣ منه كان قد ورد خطاب من مرجان افندى يذكر فيه ان العرب يقتربون واستولوا على قرية تكفارا المجاورة لأمادى . وجاء بعد ثلاثة

أيام خطاب من عبد الله يقول فيه لأمين بك انه عين على رأس القوة التى ستستولى بأمر الأمير كرم الله على المديرية والخطاب محرر بخط كاتب من لادو وكان قد سافر مع الوفد وصار الآن فى خدمة عبد الله .

وفى ١٧ نوفمبر ورد خطاب من مرجان افندى جاء فيه أن الثائرين هاجموا المحطة وصدوا بعد ان تحملوا بعض الخسائر . وتكررت هذه الهجمات فى الايام التالية فكانت النتيجة كالمرة الأولى . وجاء فيه ايضا خبر وصول حامية بوفى . وقد بعث مرجان افندى فى الوقت نفسه الانذار الذى أرسله اليه الأمير كرم الله بتسليم المحطة .

ولدى انسحاب حاميتى أجاك و بوفى الى أمادى أخذتا عدة مئات من الاسرى وأحضرتاهم الى هذه المحطة . ولما كان يصعب كثيرا على الحامية فى الحالة التى هى عليها أمام العدو الاحتفاظ بهؤلاء الأسرى فقد اقتيدوا على دفعات الى خارج المحطة وأعدموا وذلك بسبب العداوة المتأصلة فى النفوس بين العرب والزنوج . وجىء بقسم من هؤلاء الى لادو واستخدموا فى مختلف الأعمال وفى أعناقهم الاغلال ثم أرسلوا الى دوفيليه غير أنه لم يصل واحد منهم اليها بل كان حظهم كحظ رفاقهم وقتلوا فى الطريق تقتيلا . وكان يوجد بين هؤلاء الآخيرين ضيف الله مأمور اجاك سابقا وقد بيعت بعد ذلك الاشياء التى كان يمتلكها فى لادو بالمزاد العلنى .

وقبيل آخر شهر نوفمبر أغار الثائرون على أمادى فصدوا حسب ما جاء فى تقرير مرجان افندى غير ان الحامية خرجت لمهاجمة العدو فردت هى الأخرى بخسائر فادحة . وكان من جملة خسائرها ٣ ضباط

قتلوا من بينهم فــولة افندى الذى كان قائدا فى كري و ٣٠ جريحا . والسبب فى هـذه الخسارة الجسيمة هو انه عندما ارتدت الجنود بسرعة صارت الضباط فى المؤخرة فتعرضت أكثر لنيران العدو .

وقد أرسل أمين بك نجـدات الى أمادى بقدر ما استطاع وأمر زنوج بومبيـه ومكراكا ان يسافروا الى المحطة بصفـة مساعدين غير أنهم لم ينصاعوا لهذا الأمر لأن الحالة كانت قد تغيرت والضباط القـدماء مثل بخيت بك و احمـد بك الأطروش وغيرهما من أولئك الذين يعرفون كيف يسوسون هذه القبائل ذهبوا من المديرية وخلف من بعدهم خلف ليس فى مقدرتهم ولا درايتهم حسب رأى جونكر .

وبعد ذلك الخـروج غير الموفق التزم مرجان افنـدى جانب الدفاع وهـذا ما مكن العـدو من اقامة المتاريس أمام المحطة وعلى ذلك أمسى من المتعسر زحزحتهم عنها وبدأ من بالمحطة يشعر بألم الجـوع . وكان السعاة الذين يأتون بالأخبار يقـولون ان شبان الضباط والجنـود يرغبون فى القتـال لأن العـدو لم يكمل بعـد عدده وان مرجان افندى يصر على الاستمرار فى خطة الدفاع .

ويؤخـذ من منطوق خطابات كازاتى الذى كان مقيما فى مكراكا ان ادارة هذه الناحية سيئة جدا والضابط فرج افندى يوسف لا يشتغل فى واندى على ما يظهـر بشىء آخر غير السكر ولم يكن تحت يد امين بك فى ذلك الوقت أى ضابط من كبار الضبـاط يرسله ليحل محـله لان ريحان افندى الذى كان فى الزمن السابق مأمـورا لها والذى كان يجب ان يرجع اليهـا لم يعد للآن من ممبتو مع رجـاله . غير انه

لما كان عام ١٨٨٤ م على وشك الانتهاء انتدب امين بك احمد افندى محمود للقيام بعمل تفتيش فى مستودعات المحطات الكبيرة والذهاب الى واندى وأوصاه ان يتحقق من مجرى الامور فى مكرا كا .

وانتدب من جهة اخرى فيتا حسان للذهاب الى امادى ليعود المرضى والجرحى ويفتش المستودعات ويحاول فى الوقت نفسه استكشاف قوات العدو . وانتدب كذلك على افندى سيد احمد لتفتيش مستودعات محطة الرجاف .

وورد فى مساء يوم من أيام أواخر ديسمبر على حين بغتة خبر بان مركبا كبيرا وصل الى موضع يبعد بضع ساعات عن لادو . وكان هذا المركب هو مركب عبد الوهاب افندى الذى أرسل من عدة شهور ومعه حبوب برسم محطة شمبى ووردت الأخبار من محطة بور بالتجائه الى الهرب ونجاته بمعجزة . وكتب الآن يطلب زادا له ولرجاله الذين أنهكهم الجوع وأضناهم التعب وصار فى غير استطاعتهم أن يجروا مركبهم وأخبر أيضا ان نصف حامية بور قتلهم الزنوج وبقى النصف الآخر مسجونا فى المحطة لا يقدر على المقاومة زمنا طويلا بدون زاد . فأرسل أمين بك فى التو والساعة مركبا محملا بالميرة يركبه العدد الكافى من البارين لجر المركبين . وهاك ما قصه عبد الوهاب افندى عند وصوله الى لادو :

خرج قائد محطة بور مع نصف رجاله للقيام بغارة على مسافة بضعة أيام من المحطة فقتل هو وسائر من كان معه ووقعت بنادقهم وذخيرتهم فى قبضة الزنوج ولم يبق بعد إلا خمسون رجلا محصورين فى المحطة وليس لديهم من الزاد إلا القليل . وقال عبد الوهاب افندى انه من المحتم اسعاف بور بالزاد

بلا توان إذ أنه فى الاستطاعة انقاذ الباقى من حاميتها . وقال انه قطع المسافة بين بور و لادو فى ٢٠ يوما .

أما شمبى فقال انه وجد محطتها أثرا بعد عين فانقلب راجعا الى بور وقطع المسافة بينهما فى ٢٠ يوما بعد أن ذاق الأمرين لأن المركب كان كبيرا وليس له شراع فدعت الحالة الى سحبه باللبان عكس جريان الماء فى انحاء سكانها معادون للحكومة وعاد بعسكره بدون أن ينقص منهم أحد اللهم إلا شخصا واحدا قتله الزنوج لأن الحالة اضطرته كذلك أن يقاتل .

ومما لا نزاع فيه انه هو ورجاله بشجاعتهم وجلدهم وصبرهم على الشدائد أدوا أعمالا تستحق الاعجاب وتستوجب الثناء . وهكذا انقضى العام .

ولهذه الرحلة تتمة نذكرها فى الملحق الأول للعام القادم .

٢ — ملحق سنة ١٨٨٤ م

رحلة اليوزباشى كازاتى
فى مديرية خط الاستواء

القسم الخامس

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

سفره الى واندى

قضى كازاتى القسم الأول من هذا العام فى الريادة . وفى ٢٨ مايو جاءه كتاب من أمين بك يستحثه فيه بالحاح على أن ينسحب فى اتجاه الشرق لأن حوادث ذات شأن عظيم وقعت فى مديرية بحر الغزال . وكان قد ورد اليه فى ١٢ أبريل خطاب من لبتون بك مدير هذه المديرية يخبره فيه ان جيش المهديين مرابط على مسافة ٦ ساعات من ديم سليمان الذى فيه محل اقامته ، وانه أتاه اثنان من الدراويش يدعوانه للتسليم الى الشيخ كرم الله مندوب المهدى . وان أمينا بك تلقى عدا ذلك خطابا من الأمير كرم الله يخبره فيه بما صادفه المهدى من النجاح والفلاح فى أرجاء السودان وينصحه بتسليم مديرية خط الاستواء لهذا النبى المنصور . ويحيطه كذلك علما بالاجتماع الذى عقده الضباط والموظفون فى لادو وقرروا فيه تقديم الطاعة ووجوب سفر أمين بك يوم الاثنين القادم الموافق ٣١ مايو عام ١٨٨٤ م مع وفد الى الأمير كرم الله ليقدم له الاقرار بالطاعة وتألف

هـذا الوفد عـدا المدير العام من فيتا حسان ، و القاضى ، و معلم المدرسة ، و الملازم موسى افندى ، و عضوين من الادارة وهما عثمان أرباب و احمد بابا .

وكان كتاب أمين بك مصحوبا بكتاب آخر من جونكر الى اليوزباشى كازاتى يخبره فيه بما عقد عليه النية من أمر السفر فى اتجاه الجنوب ويحثه على أن يحذو حذوه .

كل هذا قد علمه كازاتى بغتة وعلى غـير انتظار بتاتا فدهش بادىء ذى بدء وبعد أن سبر الأمور بمسبار التعقل استقر به الرأى على السفر الى مكراكا والعدول عن كل ما كان قد قرره من المشروعات .

وفى ٢٠ يوليـه انطلق فى السير وكان السفر محفوفا بأنواع التعب والنصب واشتم الزنوج رائحة الأخطار التى كانت تهدد كيانهم فكانوا يخافون أن تصيبهم الويلات والمكاره التي تلازم عـادة الغارات وتلوح عليهم سيماء الغضب . واضطر كازاتى فى سيره أن يتجنب النواحى المأهـولة بالسكان والسكك المطروقة وأن لا يسير إلا ليـلا وأن يسلك الدروب الصعبة الكثيرة التعاريج . وانجلى الدناقلة عن الأراضى التى كان بها محطات للحكومة ورحلوا الى الجهات الشمالية . أما عبيدهم فهاموا على وجوههم فى الفيافى والقفار حاملين أسلحتهم بأيديهم وأخـذوا يبثون الرعب والذعر فى أفئدة النـاس في كل صوب وناحية .

وفى ٢٩ أغسطس وصل كازاتى الى وانـدى وفيها علم ان أمينا بك لم يزل للآن فى لادو . وأتت مكاتيب من رومبيك منبئة بحدوث حوادث تتصدع لهول فظائعها القلوب وتنفطر لها الأكباد . ذلك ان المهديين بعد

أن احتلوا المديرية أحرقوا المستندات الرسمية ونهبوا المستودعات وباعوا الأسلحة وجردوا منها الجنود وباعوهم هم ونساءهم وأولادهم . ولذلك بادرت حكومة لادو بالعدول عن تنفيذ قرار ٢٧ مايو وقررت ارسال وفد الى الأمير كرم الله ليقدم الطاعة بشرط حضور بواخر من الخرطوم لنقل الجنود والموظفين . وسافر هذا الوفد المؤلف من القاضى و معلم المدرسة و ضابط و موظفين من لادو فى ٣ يوليه .

موقف الحكومة ورأى كازاتى فيه

يقول كازاتى ان الحكومة فى بلاد زنوج خط الاستواء كانت واقعة بين شقى الرحى فلا تدرى أى هذين الجنسين تفضل : العرب أم الحزب العسكرى .

وكان يوجد بين هذين الفريقين مضادة منشؤها تباين الأجناس وتزيد مساوىء النخاسين نارها اضطراما بلا انقطاع . إلا ان هذه المساوىء كانت تقمع على قدر الاستطاعة .

وكان يتولد من هذا التصادم بحكم الطبيعة غيظ كامن فى الصدور يدوى صداه كالرعد بين آونة وأخرى فيلحق بأعمال الحكومة ضررا بليغا .

وقد اتخذ أمين بك طرقا كانت على وجه العموم عادلة . ذلك أنه محا تفوق العرب البين فى مراكز رول و رومبيك و أجاك و أمادى وترك للحزب العسكرى السودانى أملا فى الترقى إلى المنزلة السامية فى إدارة البلد . ولكن هذا الأمل توارى وحل محله الخيبة عندما منح المدير ابراهيم افندى محمد جورجورو فى مكرا كا ثقته التامة والسلطة المطلقة .

نعم انه مما لا مراء فيه ان ادارته أتت بالخيرات وعادت بالفلاح على الأحوال المالية غير ان القرح الأدبى اتسع من ناحية أخرى اتساعا مدهشا بسبب استمرار النخاسين فى مباشرة أعمالهم . وكان القائمقام بخيت بك من جهة أخرى محبوبا من الأهالى لارتباطهم واياه برابطة الجنسية ومن الجنود لتقديرهم جدارته وأهليته إلا انه كان مهضوم الجانب مهيض الجناح منحط المنزلة بالقياس الى ابراهيم جورجورو ذلك النخاس الذى كان قد اشتهر أمره . فلم يشأ أن يغمض عينيه على الاهانة التى لحقته فاستعد للمقاومة فكانت العاقبة انخذاله وهزيمته وارساله الى الخرطوم وفوز الجنس العربى .

وعلى ذلك حط على مديرية خط الاستواء عدا الخطر الخارجى خطر من الداخل صير الحالة فى منتهى الشدة والحرج . وان هو إلا أن علم ابراهيم افندى جورجورو بالقرار المشئوم الذى وضع فى لادو فى أوقات ضاع فيها الرشد وساد الذعر حتى هزته النعرة الدينية فأعمل فى مستودعات الحكومة نهبا وسلب جميع ما فى مكراكا و كابايندى وخطف عددا جسيما من نساء وأولاد الأهالى وذهب للانضمام الى الثوار . وهكذا قابل ابراهيم افندى جورجورو احسان أمين بك بالشر والعدوان وضرب بعمله هذا لجميع نخاسى المديرية الذين كان لديهم أسلحة أسوأ مثل يقتدون به فأصبحت مباءة لأشنع الفظائع .

وكان الأمير كرم الله يبعث بكتب الى الموظفين يحضهم فيها على شق عصا الطاعة ونشر لواء العصيان ولا يتورع عن أن يذكر لهم أن السودان قد ضاع والخرطوم قد أمست محاصرة وصارت على أهبة التسليم .

وعلى ذلك كانت أفكار الجنود والأهالى متهيجة للغاية والعقول متهيئة لأفظع الفواجع الدموية التى سيضحى السودان عما قريب مسرحا لها . وأفلتت من لسان أمين بك فى الاجتماع الذى عقد فى لادو يوم ٢٧ مايو كلمة كان يقصد بها تدعيم سيطرته والاحتفاظ بكرامته وهذه الكلمة لم تذهب نسيا منسيا بل كانت سببا فى جميع الاضطرابات التى وقعت فيما بعد وفى إباء الجنود ومخاوفهم من الانسحاب صوب الجنوب بعد ذلك . وهذه هى الكلمة التى زل بها لسانه : « ليس أمام البيض ما يخافونه وأنا لهم بذلك كفيل . أما الجنود السود فهؤلاء سأعطيهم الى صديقى الفاضل كباريجا ملك اونيورو ليسمح لنا بالمرور من بلده » .

لم يفت المصريين إدراك الغرض من هذه الكلمات التى لم يذهب صداها أدراج الرياح ومع هذا لم يظهر السودانيون شيئا من التأثر الذى شعروا به فى داخلهم إلا أن ذلك لم يمنع السهم من اصابة المرمى فكانت الريب تتسرب الى نفوس أولئك وتدب الوساوس فى أفكارهم . وسنراهم عند سنوح أول فرصة يجنحون لعصيان رؤسائهم وينتهى بهم الحال الى التمرد والعتو إذ ان هؤلاء لم يكونوا أرقاء يمكن نبذهم هكذا نبذ النواة بدون بحث ولا جدال بل كانوا جنودا . ولما لم يكن سبيل للخلاص إلا بواسطة السلاح قبضوا على أزمة البلد بأيديهم واستغلوا الحالة وأساءوا التصرف .

إخلاء محطات الشمال والشرق وتحصين أمادى و لادو

وكانت محطات الشمال قد أخليت وهى رومبيك و أجاك و بوفى . وأخليت كذلك محطات ممبتو والشرق . وفى الوقت نفسه حصنت أمادى

و لادو وأرسل الى الأولى ١٥٠٠ بندقية ووزعت ١٥٠٠ بندقية أخـــرى بين مختلف المحطات التى فى مكراكا والتى على النيل .

وطبعت صحيفة يوم ١٨ أغسطس بحروف من الدم إذ قتل فيه الدناقلة بقيـــادة رجل يقال له على كركوتلى وهو من قناصى الافيال القدماء ٤ من الجنود . وكان قد انضم الى هـــذا الرجل عدد آخر من الثوار . وبعد ذلك دارت رحى الحرب مرات فى مـــدد مختلفة . وبلغت احـــدى هـــذه الحروب درجة كبرى وتلك هى التى وقعت أمام حصون أمادى فى ٨ ديسمبر وتمكنت فيها الحامية من الانقضاض على معسكر المحاصرين وتدمير جانب منه وتدخل الأهالى مع ذلك بالسلاح واضطروا الحاميـة أن تنسحب .

وكان مما لا نزاع فيه ان الأعمال الحربية وحدها لا تفى بالمرام وان هذه الأعمال عما قليل سيصيبها الشلل بسبب اتساع الثورة وتفاقمها وتكون النتيجة وقوع أمادي فى العاجل بين يدى الأمير كرم الله .

ورأى كازاتى ان واجبه يدعـــوه فى مثل هذه الحالة ان يضع نفسه تحت تصرف الحكومة فكتب الى امين بك ينصحه باخـــلاء أمادى وأن يحصن كابايندى و واندى و مدىرفى فى مكراكا و ممبارا غرب لادو لتصير لادو محمية بخط من الحصون الأمامية . ولزيادة إقناعه بضرورة اتخاذ هـــذه الخطط بين له ان أمادى فقدت كل أهميتها الحربيـة لأن المهديين امتلكوا جميع مرتفعات تكفارا الواقعة على ضفة نهـــير يى Yei اليسرى وهذا النهير يقل ماؤه ويمسى مخاضة فى الفصل القادم ويتعذر عند ذلك امـــداد أمادى . فلم يقبل أمين بك هذه الخطة .

وانتهى عام ١٨٨٤ م بخبر مشئوم وهو أن حامية بور المؤلفة من يوزباشى و ملازم أول و ١٠٥ من الجنود قتلها الزنوج وعدا ذلك وضع هؤلاء أيديهم على ١٠ صناديق ذخيرة و ٥٠ بندقية من طراز رمنجتون .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها فى الملحق الثانى للعام القادم .

سنة ١٨٨٥ م

من

حكمدارية أمين باشا

فى مستهل هذا العام أرسل أمين بك مع أحد الضباط و عثمان افندى وكيل المديرية ٤٠ إردبا من الحبوب وزهاء ٤٠ جنديا على ظهر مركبين الى بور امدادا لمن بقى فيها على قيد الحياة . وقد زود أمين بك هذا الضابط بتعليمات مقتضاها انه اذا لم يستطع الوصول الى هناك يترك الامتعة الخاصة ويشق له طريقا فى البر فى اتجاه غندوكورو .

الحكم على جسبارى بالاعدام ونجاته باعجوبة

وبارح فيتا حسان أمادى فى أواخر العام الماضى كما سبق القول . وصادف بالقرب من كوم الشاويش Kom El-Shawish رسولا من قبل أمين بك قادما ليستحثه على الاسراع على قدر الامكان فى العودة الى لادو .

واستعلم فيتا حسان من الرسول عما استجد من الأخبار وعن الباعث فى استدعائه على جناح السرعة فأخبره هذا انه ورد خطاب لأمين بك من ضباط أمادى وفيه يتهمون ماركو جسبارى وشخصين آخرين بالتواطؤ مع العدو فقال فيتا حسان انه لمن التورط فى السخافة والانغماس فى البلاهة التصديق بان جسبارى Gasbari المسيحى يتحيز للمهديين .

وكان أمين بك نظرا لوقوع البلد فى حـــالة حرب اتخـذ من وقت ما حدثت خيانة ابراهيم افندى جورجورو بتركه مركزه وانضمامه الى العدو القرار الصارم الصائب تلافيا لما قد عسى أن يحدث من الأمـــور المماثلة وذلك باحالة كل شخص تحوم حـــوله مظنة أو شبهة بانه اقترف خيانة أو تواطأ مع العدو الى مجلس عسكرى مستعجل . وبما ان هـذا القرار اتخـــذ للمصلحة العامة فقد أمر أمين بك بناء على التقرير الذى ورد له من مرجان افندى ذلك التقرير الذى ما كان فى استطاعته أن يشك فى صحـــة ما جاء به باعدام جسبارى ورفيقيه رميا بالرصاص وأرسل عدا ذلك خمسة صناديق من المهمات الحربية الى أمادى اجابة لرغبة مرجان افندى .

وأخذ فيتا حسان الكتاب والحكم الصادر باعـــدام الثلاثة الأبرياء حسب قوله وحفظه معه ومنح الرسول ريالا وقال له : خذ الكتب الأخرى والمهمات الحربية . وحذره من أن ينبس ببنت شفـة بشأن الكتاب الذى حجزه وحكم اعـدام الثلاثة وأنذره بالاعـــدام شنقا اذا فتح فـاه بخصوص ذلك . ولما كان لفيتا حسان تقريبا نفس المهـــابة التى لأمـين بك كتم الرسول أمر الحكم لدى وصوله الى أمـادى ولم يتحدث عنه بشىء مطلقا وعلى ذلك نجا الثلاثة من مخالب الموت .

وبما ان امـــين بك كان قد طلب من فيتـا حسان القـــدوم الى لادو فى اقرب وقت فقـد قطع المسافـة التى كان يلزم لقطعهـا ثلاثة أيام فى يوم واحد .

وكتب مرجان افنـدى الدناصورى الى امين بك يقـــول له ان الأمير كرم الله ومعه ١٢٠٠ من الدراويش يحيطون بأمادى ويلحف فى

طلب مهمات حــــربية ومؤن وامداد فأرسل إليه فى بداية شهر ينار ثلة مؤلفة من ١٦٥ جنــــديا و ٨٠٠ من الأهـالى مسلحين بالحراب وبعد ذلك بقليل ورد له نبأ أن سكرتيره قديما عثمان افندى ارباب قدم ومعه ٤٠٠ رجل وقاذفة لهب « صاروخ » امدادا للثائرين .

وكتب عثمان هذا و عبد الله وشخص ثالث يقال له حسن عجيب خطابا الى امين بك يقولون له فيــــه انهم مرسلون من قبـل الأمير كرم الله ليأتوا بهم جميعا اليـــــه إذ لا فائدة مطلقـا من المقـاومة لأن اهالى السودان قاطبة لغـاية سوا كن انضموا الى المهـدى وانه ورد لهم كتاب من الأمير كرم الله مذ كور فيه استيلاء المهدى على الخرطـــــوم ودخـوله فى هذه المدينة .

وما كاد فيتـا حسان يصل الى لادو حتى طلب منه امين بك ان يصف له الحـالة فى أمادى لأنه اذا كـانت فى خطر تـكون لادو كذلك فى حـــــالة الخطر وهى حـالة موجبـــــة لتثبيط الهمم وبث الذعر والهلـع فى القلوب . فأجابه فيتا حسان بأن أمادى بها حامية مؤلفة من ١٠٠٠ جندى وانها فى الحالة الراهنـة بعيدة عن الخطر . وبهـــــا من السلاح والمهمات الحربية ٧٢٠ بندقية من طراز رمنجتون و ٤٠٠ بندقيـة من ذات الكبسول و ٤ مدافع عيــــار ١٢ سنتيمترا منها اثنان غير صالحين للعمل وآلتان تقـــــذف اللهب و ٣٧٠٫٠٠٠ حشوة للأسلحـة ذات الكبسول و ١٧٫٠٠٠ خرطوش لأسلحـة رمنجتون و ٣٠٫٠٠٠ من الكبسول و ٣٦٠ حشوة للمدافع و ١١٠ من القنابل الصغيرة و ١٩٠ قذيفة يدوية و ٨٠ صاروخا ناريا أى لديها الوسائل الكافية لمحاربة جيش هذا اذا كانت تلك المهمات فى حوزة جنـود مدربة و ضباط من أصحاب

الكفايات وزاد على ذلك ان قال له انه اذا لم يبادر الى استبدال قومندان أمادى بآخر تبدد الذخيرة باطلاقها فى الهواء كما هو الحاصل من منذ شهر . أما المواد الغذائية فهذه جار توريدها من الأهالى على ما يرام إلا أنها لسوء الحظ يذهب معظمها هدرا فى عمل المريسة للضباط . أما أمادى فهى فى الحالة الراهنة فى أمان واطمئنان غير انه غير مرتاح من جهة مستقبلها .

وخاض بعد ذلك فيتا حسان فى الكلام عن جسبارى وتحدث بشجاعته وبما أتاه من جليل الأعمال فتغير لون وجه أمين بك عند سماع أقواله وسأله عما اذا كان لم يحدث تواطؤ بينه وبين العدو فأفهمه فيتا حسان ان تهمة كهذه لا يقبلها عقل عاقل وأنها تعد من قبيل السخافات نظرا لجنسيته وديانته ثم قال له علاوة على ما ذكر ان الذى حاك لحمة وسدى هذه الوشاية لا يقصد منها سوى أمر واحد وهو اخفاء الثروة المظنون وجودها فى حوزته كما حدث فيما سبق مع آخرين . وعندئذ أحاط أمين بك فيتا حسان بالحكم الذى صدر ضد جسبارى وتصديقه عليه ذلك الأمر الذى كان يعلمه من قبل وأبدى شديد الندم على ما أسلف من التسرع قائلا لقد سبق السيف العذل ولم يعد لدينا وقت لرد ما نزل به القضاء . فهدأ روعه فيتا حسان وأبلغه الشىء الذى عمله وأرجع اليه أمر التنفيذ الذى أصدره . فكاد يجن أمين بك طربا وأجزل الشكر لفيتا حسان والثناء عليه جزاء ما فعل .

رجوع جونكر الى لادو وهدوء الحال فيها

ورجع الدكتور جونكر الى لادو مطمئن الخاطر هادىء البال اعتمادا على الخبر المكذوب الذى ذاع بوفاة كرم الله وانحلال جيشه وذلك فى خلال غيابه . وزاره أمين بك وأكد له ان الخطر لم يكن جسيما كما تصوره بعضهم وان الحامية ما زالت ثابتة . وأن عبد الوهاب افندى طلعت الذى كان قد أرسل الى بور رجع منها مع ستة من الجنود بعد أن نجح فى خدع المحاصرين وطلب ارسال امداد .

وظلت الأحوال هادئة تماما وقتا ما فى لادو . وقد قرر أمين بك عزل مرجان افندى وارسال سليمان افندى سودان محله وهذا الضابط من ذوى الكفايات إلا أنه لما كان أمين بك يخشى عدم تنفيذ أمره لأن روح التمرد كان قد أخذ يدب فى النفوس كتب الى مرجان افندى لا ليخبره بأمر اقالته بل ليدعوه الى القدوم الى لادو ليتداول معه خلال غياب كبار الضباط الآخرين بشأن خطة الدفاع الواجب اتخاذها بصدد بور المحاصرة . فأهمل مرجان افندى تنفيذ هذا الأمر وكتب عريضة يطلب فيها إبقاءه فى مركزه وجعل الضباط و الصف ضباط يوقعون عليها .

وكان أمين بك قد حث مرارا وتكرارا اليوزباشى كازاتى على الاتيان الى لادو ولكنه لم يلب هذا الطلب . وفى نهاية الأمر أجاب طلبه وقدم من واندى وبلغ لادو فى ٢٣ يناير . ومكث جونكر وقد كان وقتها مقيما فى هذه الناحية معه ثلاثة أيام ثم رحل عنها فى ٢٦ يناير قاصدا مصر

عن طريق أوغندة و زنزبار يحمل مكاتيب لحكومة القاهرة .

ذهاب فيتا حسان بمأمورية الى دوفيليه وعودته منها

ولم يكد فيتا حسان يبل من مرض خناق شديد أصابه حتى أمره أمين بك بالذهاب الى دوفيليه ليستخبر عن القوات التى يمكن تجنيدها منها ويحضر الى لادو امدادا وذخيرة . وكان ذلك فى نفس الوقت الذى سافر فيه عبد الوهاب افندى طلعت الى مكراكا لتوصيل مؤونة الى أمادى والوقت الذى سافر فيه احمد افندى محمود الى هذه المحطة الأخيرة . وهذه هى المأمورية التى خان فيها عهد أمين بك مراعاة لصديقه مرجان افندى حسبما ذكر سابقاً .

واستغرق فيتا حسان يومين فى قطع الطريق لغاية خور ابى قره الواقع بين بيدن و كري لسقوط أمطار بللت الطريق وصيرته غير صالح للسير .

وفى هذه الاثناء انتشرت اشاعة فى لادو ليس لها نصيب من الصحة فحواها ان عثمان أرباب أضحى ذراع الأمير كرم الله اليمنى وانه زاحف ووجهته هذه المحطة ومعه ١٦٠٠ مقاتل .

وأبلغ أمين بك هذا الخبر فيتا حسان فى خور ابى قره ودعاه للعودة وأن يحضر من الرجاف على افندى سيد احمد وحوالى ٣٠ جملا . وكلفه فوق ذلك ان يبلغ حواش افندى فى دوفيليه هذا النبأ ويحثه كثيرا على زيادة السهر واليقظة .

وكان البلاغ بلهجة تجعل فيتا حسان يظن ان الدراويش أحاطوا بلادو وقضى الأمر . وبالنظر الى انه لم يكن والحالة هذه من حسن الفطن الذهاب برا أقلع هو و على افندى سيد احمد على سفينة وتركوا الجمال فى بيدن . ولم يتصل بهم فى أثناء الطريق أى خبر قل أو جل ورأوا جميع الأمور سارة قارة كالعادة وكذلك رأوا السكينة فى لادو ضاربة أطنابها والهدوء شاملا كاملا وليس هنالك أى اشارة تدل على ان العدو صار على أبواب المحطة اللهم إلا هلع الأهالى الصادر عن غير سبب معقول واختفاءهم جميعا وراء جدر مساكنهم ونشاط الجند الذين كانوا يقومون بحفر خندق حول الميدان .

وأكد أمين بك لفيتا حسان الخبر الذى نقله اليه كتابة معربا عن أسفه لتركه الجمال إذ كان فى استطاعتها تأدية خدم جليلة فى حالة حصول حصار .

وتوجه فيتا حسان الى الثكنة ليستعلم عن مصدر هذه الأخبار لأنه كان يرجح انها بعيدة عن الصحة ويعتقد انه يستحيل على المهديين تهديد لادو بينما تكون أمادى ومكراكا مستمرتين على الثبات أمامهم وتقطع عليهم الأولى طريق الغرب والثانية طريق الشمال . وقد اتضح له عندئذ ان زنجيا صغيرا يصعب فهم كلامه كان السبب فى كل هذا الانزعاج وان أمينا بك قد لعب به مرءوسوه فى هذه المرة وجسموا له الخطر . وانقضت أربعة أيام بعد ذلك ولم يطرأ ما يؤيد هذه الاراجيف .

وفى ٣٠ ينساير عادت الى لادو السفينتان اللتان كانتا أرسلتا الى بور برفقة عثمان افندى لطيف وورد معهما خبر وهو أن جميع من بالمحطة

فى صحة جيدة ولم ينقص منهم سوى أربعة جنود خرجوا بعيدا عنها فكان نصيبهم القتل . وكان عثمان افندى قد اقترح أن يعرض على الأهالى السفر برا الى لادو وضرب صفحا عن ذكر السفن . وعندما عرض عليه فى نهاية الأمر أن يكون على رأس الفرقة أبى واعتذر بواسطة رجال المحطة ورجاله بأن السفن لا تسع الجمع كله وان الطريق غير صالح للمسير . وقال ان الأصوب الانتظار الى أن تصل الحبوب ويأتى مدد مؤلف من ٣٠٠ جندى . وأقلع عثمان افندى بعد ذلك على السفن تاركا ٢٠ من جنوده لتقوية الحامية وقدم الى لادو بدون أن يحضر معه أرامل وأيتام الجنود الذين قضوا نحبهم وذلك بعد أن بدد فى الطريق ١٨ دستة من الخرطوش فى صيد الجاموس .

ولقد يدرك المرء السبب فى توقف الناس عن مبارحة بور عندما يتبين ان مسكن جمعه افندى قائد المحطة وهو رجل بلغ من العمر ٧٩ عاما يحتوى على ٣٢ نسمة من بينهم ست محظيات ، ومسكن الكاتب يحتوى على ٢٨ ، و الجاويش ١٢ ، و الأونباشى ١٦ ، وهلم جرا . فاذا بارح هؤلاء الموظفون بور يضطرون الى ترك ثلاثة أرباع هؤلاء الأرقاء وهذا هو الأمر الذى دعا أولئك السادات الى الامساك عن السفر والبقاء حيث هم .

وأبلغ أمين بك عثمان افندى عندما آب الى لادو الحوادث التى وقعت أخيرا وطلب منه ابداء رأيه فرد عليه بوقاحة قائلا ان المسئولية فى هذه الحوادث تقع عليه هو نفسه ويجب عليه ملافاتها .

وكان أمين بك هو وسواه ضحية لهذه الحوادث المشئومة التى لم يك هو قط مسئولا عنها . فكان إذن لا بد لاتهام عثمان افندى لرئيسه من معنى

آخر وسبب ذلك الاتهام عزله من وظيفته . ولم يبلغ أمر العزل هـذا إلا قبيل وصول استانلى بأيام قليلة .

وبعد ذلك بأيام قلائل شخص فيتا حسان الى دوفيليه ليتمم لدى البكباشى حواش افندى المأمورية التى كان قد عهد اليه القيام بها عندما استدعى للرجوع عاجلا الى لادو .

ما عمله حواش افندى فى دوفيليه احتياطا للطوارىء

ولم يكن فى دوفيليه جنود ولا ذخيرة كافية ليرسل منها مقدار الى لادو فضلا عن ان دوفيليه هى المعقل الأخير الذى لا بد للجميع من الالتجاء اليه مهما كان مآل ذلك . وحرمانها من القوة الضئيلة التى بها يعد من الخطل وعدم أصالة الرأى وربما جر فيما بعد الى أسوأ العواقب . وفوق ذلك فان الـ ٥٠ جنديا الذين يمكن على أكبر تقدير ارسالهم من دوفيليه وكذلك بعض صناديق الذخيرة لا ينتظر منهم ولا منها فائدة تذكر بجانب الحوادث الجارية فى أمادى حيث يوجد ١٠٠٠ جندى وكمية كبيرة احتياطية من الذخيرة .

وعلى ذلك كتب فيتا حسان الى أمين بك ان حواش افندى لا يستطيع أن يرسل جنودا ولا مهمات وبعث له فى الوقت نفسه ٢٠٠ اردب من الذرة ميرة للادو .

ومن باب الاحتياط أفعم حواش افندى مستودعات دوفيليه بالحبوب والمؤونة ، والزرائب بالانعام . وهو احتياط مبنى على الفطنة وبعد النظر . وأنشأ كذلك زراعات واسعة للاقطان وألزم الأهالى والجنود بزراعة هـذا

النوع . وبواسطة هذا التدبير تمكن فعلا من جمع الجنية الأولى وأخذ الجنود في غزل القطن تحت مباشرة رجل دنقلاوى من فاديك وتعلموا نسج ضرب من النسيج اسمه « الدامور » . ونشر حواش افندى فيما بعد زراعة القطن ونسيج الدامور كثيرا لدرجة ان كافة سكان المديرية من ملكيين وعسكريين أمكنهم أن يكتسوا منه .

محاصرة المهديين لأمادى والحرب حولها

وبعد طول الانتظار ورد مكتوب من أمادى فى ٤ فبراير مذكور فيه أن عبد الله عبد الصمد وهو أحد رؤوس جيش المهديين أصيب بقنبلة من مدفع فكسرت ساقه وأهلكت حصانه ، وان كثيرين من الدراويش وقعوا صرعى فى حومة الوغى وكثيرين أيضا لاذوا بأذيال الفرار . وأيد احمد افندى محمود الذى كان قد أرسل من لادو لجرد المستودعات هذا الخبر . وقال الترجمانان اللذان أتيا بالرسالة ان ابراهيم ادريس من أهالى بحر الغزال و رجب افندى صالح وقعا قتيلين . أما على كركوتلى ففر مع عدد كبير من الرجال وان الغارات ليلا انقطعت ويلازم الأعداء فى النهار زريبتهم فلا يخرج منها أحد . وروت فتاة من الهاربين ان الدراويش يشتغلون فى جمع الحبوب استعدادا للرحيل . وقال أيضا التراجمة ان الاذكار التى كان يقيمها المهديون ليلا ويصل دويها الى المحطة انقضت انقضاضا تاما من زمن يسير وانقطعت كذلك الهجمات الليلية .

وكان من رأى أمين بك انه من المحتمل أن يكون على كركوتلى و عثمان ارباب قد ذهبا الى جهة بحر الغزال ابتغاء الحصول منها على امداد . وعلى كل حال لم يصل الى تلك الساعة الألفان من الرجال الذين قيل ان العدو

فى انتظار قدومهم .

وفى ٨ فبراير أتت رسالة من أمادى جاء فيها انه حدث هجوم عـــام على زريبـة الدراويش قام به قسم من الحامية بقيادة سليمان افندى سودان . وفى أثناء اشتعال نار الحرب التى استمرت من الصبح الى الساعة ٢ مساء وقعت قنبلة يدوية على زريبة العدو فأحدثت فيها حريقا هائلا دمرها تدميرا وصيرها أثرا بعد عين وانفجرت الذخيرة وقتلت عددا كبيرا من الثوار . أما الحامية فلم يصبها أى أذى وخسائر العدو كانت جسيمة وقد أخذ سليمان افندى سودان يتأهب لمطاردة فلول الثائرين .

وفى ١٥ فبراير ورد الى لادو بريد من أمادى به بلاغ من احمـــد افندى محمود يقـــول فيه ان المهديين ما زالوا الى الآن يقاومون رغما عن تدمير زريبتهم وانفجار الجـــزء الأكبر من ذخيرتهم وعما لحقهم من الخسارة وفرار كثير من صفوفهم . وان فى عزم سليمان افندى القيام بهجوم آخر عام وحسم هذه المسألة حسما نهائيا إن أمكن وذلك بعد رجوعه من تجريدة صغيرة سيرها للحصول على حبوب .

وكتب المذكور ان مرجان افندى أظهـــر عدم مقدرة على القيام بأى عمل اللهم إلا افعام جيوبه ولم يبق على شىء حتى على تركات ضباطه الذين أدركتهم المنية فى ساحة القتال .

وكتب مرجان افندى الى امين بك خطابا فيـــه الشىء الكثير من عبارات الاحتشام . أما أمين بك فقرر ان يتركه موقتا فى مركزه اجتنابا للفضائح وان ينظر فى أمره فيما بعد .

وقال احمد افندى ايضا انه علم من الهاربين ان عبد الله عبد الصمد وأخاه محمود قد جرحا جروحا بليغة فى واقعة ٢ فبراير وتوفيا على إثرها .

وفى اليوم التالى لورود هذه الأخبار شخص امين بك الى ناحية تبعد عن لادو شمالا بضع ساعات ليعاقب بعض المتمردين الذين أهدروا دم ثلاثة جنود كانوا حاملين بريد بور . وكان قد عقد النية على ان يرسل الى هذه المحطة سفينتين مع ستين خطريا قبيل آخر الشهر .

وفى ٢١ فبراير ورد لأمين بك خطاب من مرجان افندى وبداخله ست رسائل منها نسختان من نداء وجهه المهدى الى اهالى مديريتى بحر الغزال وخط الاستواء يصرح فيه بمهمته ويحتم عليهم الانضواء تحت لواء الأمير كرم الله . وخطابان من هذا الأخير الى مرجان افندى يقول فيهما انه قد حضر بنفسه الآن الى امادى ويلح عليه فى طلب الخضوع ويقول ان لديه ما ينيف على الفى مقاتل وفيهم كثيرون من رءوس الدناقلة من كردفان . هذا بصرف النظر عن الضباط القدماء والجند و الكتبة . ويقول كذلك انه من العبث ضياع الوقت فى الخطابات وان الخضوع أمر لازب لازم . وخطاب من عثمان ارباب الى مرجان افندى لا يختلف فى نصه عن خطابى الأمير كرم الله . ثم خطاب بتوقيع عثمان بدوى كاتب لبتون بك قديما ، وربحى زبير ، ورؤساء دناقلة آخرين من كوردوفان غير معروفين من أمين بك ، وجمع كبير من ضباط الصف وضابط يقال له على بشارة يلحون فيه على مرجان افندى بالتسليم .

وكتب مرجان افندى الى أمين بك بطلب ١٠٠ جندى ليعاونوه فى

الانسحاب الى لادو ويوصيه بنوع خاص بارسال حبوب . ويقول انه أرسل احمد افندى محمود ليبسط له الحالة .

وأرسل الافندى المذكور من زريبة على توتو الى أمين بك خطابا مؤرخا فى ١٨ فبراير فحواه انه سائر فى الطريق ووجهته لادو وانه سيبسط له الأحوال شفويا وانه علم ان المهديين الذين قدموا من بحر الغزال قليل عديدهم إلا أن معهم زمرا من الزنوج مسلحين بالاقواس والنبال ومعهم أيضا مدفعا بذخائره .

وطلب أمين بك فى الحال جنودا من مكراكا و لابوريه وساورته الآمال أن يجد سبيلا لارسال الجنود المائة المطلوبة .

وفى ٢٢ فبراير وصل احمد افندى محمود الى لادو وروى أن القادمين من بحر الغزال لا يجاوز عددهم الثلثمائة منهم ٥٠ فقط من العرب والباقون من الزنوج وانه يقال ان عثمان بدوى سكرتير لبتون بك بين هؤلاء القادمين . أما المدفع فهو عبارة عن قاذفة لهب « صاروخ » لا أقل ولا أكثر وان واقعة ٢ فبراير خسر فيها الدراويش ٣٠٠ نفس من بينهم عبد الله وأخوه وأنه يظن ان الأمير كرم الله لاذ بالفرار وان على كركوتلى انضم الى من قدموا حديثا . ويعتقد احمد افندى انه اذا وصل الى مرجان افندى بعض الامداد لاسيما المؤونة فانه يكون عندئذ فى استطاعته تماما اتمام هذه المسألة على الوجه المرضى .

وفى الحال أرسل أمين بك عبد الوهاب افندى طلعت الى مكراكا لتنظيم عملية التموين . وسافر فرج افندى الى أمادى بالجند والتراجمة .

وفى ٢٧ فبراير ورد خطابا من أمادى منبئا باحاطة المهديين بها من جميع الجهات وبقطع الماء عنها . وفيه ان الجنود حفروا آبارا فى داخلها وأخذوا يستقون منها الماء ويطلب مرجان افندى زادا وذخيرة .

وفى ٤ مارس ورد الى أمين بك خطاب من قومندان المحطة فى زريبة على توتو الواقعة على مرحلة ١٠ ساعات من أمادى من ناحية لادو . وجاء فى هذا الخطاب انه منذ ٢٣ فبراير لم يصل اليه أى خبر من مرجان افندى وانه لم يتمكن من ارسال حبوب لأن المحاصرين أقاموا على مسافة ساعة من أمادى نقطة للمراقبة ولمنع المرور والقاء القبض على أى انسان حتى التراجمة . وانه كتب الى مكرا كا يطلب ارسال نجدات .

وورد فى ٧ مارس من نفس الضابط السالف ذكره كتاب آخر مؤرخ فى ٣ منه جاء فيه ان ترجمانا قدم من أمادى وبلغه شفويا عن لسان مرجان افندى ان النظام مستتب بها وانه لا يطلب إلا زادا . وان المهديين انتهزوا فرصة نزول مطر هطال وقاموا بهجوم إلا انهم دحروا تاركين ٨ من القتلى فى ميدان الحرب غير من قتل من التراجمة ، وقتل كذلك جندى بحر الغزال الموكول اليه استعمال قاذفة اللهب . وبعد ذلك أخذت المدافع وقاذفة اللهب الى ضفة النهير الغربية . وتتألف كل نقطة من نقط النطاق المضروب حول أمادى من خمسة أنفار مسلحين بالبنادق ومن ١٠ زنوج من الأهالى الواحد منهم على مقربة من الآخر .

وورد لأمين بك فى نفس هذا الوقت خبر من فرج افندى انه وصل فى رجوعه من مكراكا الى مسافة قريبة من زريبة على توتو ومعه ٧١ جنديا وترجمان مسلحون بالبنادق و ٥٠ زنجيا من أهالى بومبيه وكذلك

٥٥٠ حملا من الحبوب . وانه أخبر بذلك مرجان افندى ومنتظر أوامره . والثيران التى أرسلت من لادو وصلت أيضا بدون أن يصادفها عائق .

وفى بكور ٩ مارس كانت جنود الامداد المتجمعة من لادو و كري قد سافرت من المحطة الأولى . وكان ابراهيم افندى قد أرسل ضابطا و ٤٠ جنديا وجمع أمين بك من لادو و الرجاف ضابطا و ٨٠ جنديا وزودوا بألف ربطة من مظاريف رمنجتون (١٠٠٠٠ طلقة) ، و قنابل و صوفان و أسهم نارية وغيرها . وعلى هذا بقى مع امين بك فى لادو خمسون جنديا فقط وا كثرهم من المرضى فكان هو يتناوب الحراسة ليلا مع اليوزباشيين على افندى سيد احمد و محمود افندى العجيمى .

وفى ١٠ مارس تلقى امين بك خطابا من فرج افندى صادرا من زريبة على توتو يؤيد فيه خبر الهجوم الاخير على امادى ويطلب سرعة إرسال الامداد لأنه يود تقوية النقطة الصغيرة والانضمام الى مرجان افندى . وجاء ايضا فى هذا الخطاب أن اثنين من الدناقلة الذين تعلقوا بأذيال الفرار من أمادى أخذا يحرضان الثوار على الهجوم بقولهما ان الجنود يموتون جوعا . وأنه فى اثناء الهجوم الذى حدث فى وقت كان المطر فيه نازلا ثجاجا وقعت ٢٥ قنبلة و ٤ أسهم نارية على المحطة إلا أنها لم تحدث أى ضرر .

وفى ١١ مارس تناول امين بك خطابا من فرج افندى بمحطة كومى Komi مذكورا فيه ان اقارب بعض الجنود قدموا اليه من أمادى وأخبروه ان الناس فيها يأكلون جلود الثيران بسبب المجاعة وأنه أى فرج افندى سافر فى الحال مع ٨٠ جنديا وأحرق فى طريقه نقط خط المهديين حتى

وصل الى مسافة تبعد عن أمادى نصف ساعة وعندئذ أتاه ضابط صف وترجمان ومعهما أمر من مرجان افندى يقول فيه : « أولى لك ان تنسحب اذا لم يكن لديك القوة الكافية لأن العدو كثير العدد » .

وبالفعل انسحب وينتظر الآن الامداد . ولم يفهم امين بك لماذا لم يحاول مرجان افندى القيام بخروج للانضمام الى فرج افندى والاتيان بالحبوب .

وفى ١٥ مارس ورد خبر لأمين بك ان ريحان افندى ابراهيم سافر من ممبتو وهو سائر فى الطريق وبذلك تزداد القوة التى لدى امين بك ٢٠٠ جندى . وورد من دوفيليه الى لادو ضابط و ٥٠ جنديا وبعض الزاد . ومن المنتظر ان يتبع ذلك ورود ٢٠٠ بقرة .

وفى ١٦ مارس أرسل أمين بك الى أمادى ضابطا و ٥٠ جنديا وبذلك بلغ عدد الجنود التى أرسلها الى هذه المحطة ٢٣٥ جنديا . وقد انقضى زهاء عشرين يوما ولم يصل اليه منها خبر من طريق مباشر .

وأخذت أخبار أمادى تزداد سوءا يوما بعد يوم . وبعد فترة طويلة أتت الاخبار فى ٢٢ منه ان المهديين قووا صفوفهم تقوية كبرى وان الأمير كرم الله نفسه وصل مع القسم الأكبر من جيوشه وطوق المحطة وشرع فى احكام الحصار وان مرجان افندى يطلب المعونة والزاد وقد تولاه اليأس والقنوط . وأرسلت اليه من مكراكا نجدة من ٥٠٠ جندى . وكثير من أحمال الذرة إلا أنه لدى وصول قائد النجدة الى كوم شاويش

الواقع على مسافة ست ساعات من أمـــادى علم ان العـدو يحاصر الحصن ورأى ان من الحماقة محـــاولة اقتحام الخطوط . ورغما عن ذلك قد حاول مرارا شقها إلا أنه فشل ولم يفد فتيـلا ما أتته جنوده من ضروب البسالة حيث لم تعاضدها جنود الحامية بالخروج وعلى ذلك انسحب الى كوم شاويش وظل يرتقب الطوارىء وما تلده الأيام .

وفى غضون هـذه المدة أخذت المجاعـة تشتد فى أمادى وبعـد زمن يسير شرع المدافعون يأكلون الجلود بعد إنضاجها على النار ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب بل أخذوا يأكلون جلود أحذيتهم .

وجمع أمـين بك بمشقة عظيمة ٤٠٠ جندى ليحاول بهم انقـــاذ أمادى . واستدعى حواش افندى ليعهـــد اليه بالقيادة ولكنه عندما وصـل الى لادو كانت الأخبار الواردة عنهـــا داعية لليأس وموجبة للقنوط حتى ان أمينا بك اعتقد ان كل معونة تبـــذل فى سبيل انقاذها مقضى عليهـــا بالفشل فأرجـع حواش افندى الى دوفيليه لكى يضاعف نشاطـه ومجهوداته فى سبيل انقاذ مركزه .

وفى ١٩ مارس وردت الأخبـــار لأمين بك من فـرج افندى بوصول جميع الجنود وسفره مع ٢١٠ من الجنود لكى يحاول انقاذ أمادى غير انه فى ٢٣ من الشهر المذكور أتى منـه خطاب بمن كـومى ذكر فيـه انه ذهب الى أمادى وهاجم الزرائب التى اقامها المهديون على الطريق غـير ان شدة مقاومة هـؤلاء اضطرته أن يرجع القهقرى وبلغت خسارته ١١ قتيلا من ضمنهم الضابط ضياء افندى من لادو و ١٦ جريحـــا من ضمنهم فرج افندى نفسه إذ أصابه فى فخـذه عيـار نارى . أما الزرائب التى ذهبت طعمة للنيران فثلاث ورغمـــا

عن ذلك ظل المهديون قابضين على ناصية الحـــالة فى الميدان . وقال حامل الرسالة علاوة على ما ذكر ان جنود حامية أمادى خرجت فى ذلك الوقت ولكنها لم تستطع أن تنضم الى جنود فرج افندى لأن هذا أسرع كثيرا فى الانسحاب .

محاولة الجنود الخروج من أمادى بعد احداق المهديين بها

وفى ٢٥ مارس تسلم أمين بك خطابا من فرج افندى بمحطة كوى ذكر فيه ان سبعة من الجنود فروا من أمادى مدفوعين بعامل الجوع وانضموا اليه . وان هذه المحطة محاصرة حصارا شديدا وان الجرحى أرسلوا الى مكراكا وان ضباط الفرقة الثلاثة عزموا على القيام بغارة اخرى .

وفى ٢٧ منه جاء خطاب من عبد الله افندى بمحطة على توتو مذكور فيه ان الهجمة الجديدة فشلت أيضا وان فرج افندى سافر بجنوده الى مكراكا بدون أن يرتقب ما تأتى به حوادث الأيام . وأن عبد الله افندى والضابطين الآخرين على وشك ان يلموا شعث العساكر الذين تشتتوا ليعودوا هم الآخرون الى مكراكا . هذا ولم يذكر شيئا بصدد أمادى .

وفى ٢٨ منه رجع الى لادو جندى كان قد أرسل منها ومعه مكتوب الى فرج افندى . والسبب فى رجوعه انه قابل فى قرية على توتو القانص على كركوتلى ورجاله فجردوه من اسلحته واخذوا منه البريد وهموا بقتله غير انهم فى نهاية الامر تركوه يسافر . وقال ذلك الجندى ان عساكر أمادى شقوا لهم طريقا بين خطوط الأعداء .

وفى ٢٩ منه قدم الى لادو ثلاثة عساكر من حامية أمادى ورووا

ان الجنـــود طلبوا من ضباطهم مرارا وتكرارا ان يحاولوا القيام بخـــروج وان يشقوا لهم طريقا بين خطوط العدو ولكن هؤلاء كانوا يترددون دواما فى اجابة هـــذا الطلب . وحل اليأس فى نهاية الأمر فى نفوس الجنـــود فتركوا الحصن بغير ارادة كبار ضباطهم واخترقوا لهم طريقا فى وسط المهديين وذلك بقيادة ستة من الضباط البواسل وألحقوا بالعدو خسائر فادحة . واغلب هؤلاء ولوا وجوههم شطر مكراكا . واخذ الجنود معهم الذخيرة إلا انهم تركوا المدافع وحشوها .

وفى ٣٠ مارس شعر امين بك بارتياح إذ علم ان ثلاثة ضباط و ٢٦٠ جنـــديا من حامية أمادى وصلوا بغاية من الصحة والسلامة الى واندى من اعمال مكراكا ، وان الجنـــود التى استدعيت من ممبتو منذ ثلاثة أشهر قد وصلت اليها ايضا بعد ان قدم قومندانها اعذارا تافهة ليس لها آخر عن تأخره .

ورجـــع فيتا حسان الى لادو بعد ان تمم مأموريته فى دوفيليه . وبينما كان سائرا فى الطريق بين خـــور أيو ولابوريه تلقى خطابا من أمين بك يخـــبره فيه بسقوط أمادى ويذكر ان الذين امكنهم النجاة ٢٠٠ جنـــدى لا غير ولوا وجوههم شطر مكراكا . وان مرجان افندي واغلب ضبـــاطه قتلوا . أما الباقى من الحامية فلاذ بالغابات ولا يعلم شيء من امره .

واتضح بعـــد ذلك ببضعة ايام ان كل ما كان يصلح للأكل فى أمادى سواء أكان جلودا مطبوخة أم جلود أحذية أم قشا أم غير ذلك التهمه الناس ولذلك تقرر القيام بخروج واختراق خطوط العدو ولسوء الحظ

ونكد الطالع اختلف الضباط فى الرأى وما استطاعوا أن يجدوا وسيلة للاتفاق . وهذا كان السبب فى ضياعهم . فعوضا عن أن يكوّنوا مربعا من كافة من كان حاملا سلاحا وعددهم يربو على الألف ، ويضعوا فى قلبه النساء والاولاد ثم يشقوا لهم طريقا بين المحاصرين ، أراد بعضهم الخروج والآخرون أرادوا البقاء فتولتهم الحيرة وما توفقوا الى أى أمر يقرونه . ولما رأى الجند ان الضباط منقسمون فى الرأى قرروا هم وحدهم الخروج فانقض عليهم المهديون وقتلوا منهم خلقا كثيرا . أما سليمان افندى سودان وهو الضابط الوحيد القدير بين ضباط أمادى فاستولى عليه الغضب من جراء هذا التردد وهذه الحيرة والانقسام فى ساعة الخطر وأقدم هو والثلثمائة جندى الذين تحت إمرته على القيام بهجوم عنيف وتوفق الى اقتحام حصار العدو وحمله خسائر باهظة .

إحراق المهديين أمادى وانسحابهم الى مديرية بحر الغزال

واستمر سليمان افندى سودان منسحبا الى ان بلغ ريمو من أعمال مركز مكراكا وفيها انضم الى جنود ممبتو التى يقودها ريحان افندى . أما المهديون فتركوا قسما من جنودهم أمام أمادى بقيادة الأمير كرم الله والقسم الآخر شرع فى مطاردة سليمان افندى ولحق به فى ريمو وعندئذ انقضت جنود ريحان افندى و جنود سليمان افندى مجتمعة على المهديين وعلى رأسهم ضباطهم مستيئسين . وكان اليوم ممطرا عبوسا توالت فيه زمجرة الرعد وأومض البرق بلا انقطاع فأغشى لمعانه على أبصار المقاتلين . وكانت الوثبة الأولى مفزعة رهيبة سقط فيها عدد كبير من المهديين فى حومة الوغى وتخيلوا ان أمامهم جيشا عرمرما فلاذوا بأذيال الفرار

وتشتتوا فى الغابات . وتتبعهم الجنود مستبسلين فأبادوا تقريبـــا جمعهم وشتتوا شملهـم ولم يرجع الى الأمـــير كرم الله فى أمادى إلا بعض من الجنـــود المدبرين . ولخوف هذا من قيام جنود الحكومة بهجوم أحرق أمادى بأسرها وألقى بالمدافـع فى النهـــر وانسحب هو ومن بقى من جيشه الى مـديرية بحر الغزال . وهـكذا أنقذت واقعة ريمـو Rimo مـديرية خط الاستواء زمنـا من أيدى المهديين الذين ظهروا فيما بعد فى الرجاف ودوفيليه .

وصول من نجا من جنود ريمو و أمادى الى مكراكا

وفى ٣١ مارس ورد لأمـــين بك رسالة من مكراكا جاء فيها خبر وصول فـــرج افندى وجنوده وكذلك الضباط الثلاثة وهم عبد الله افندى و مرجان افنـدى و على افندى ومعهـم ٢١٣ جنـديا ومهمات حربيـة ووصول سليمان افندي ومعه الجنود الذين نجوا من أمادى .

وفى أول أبريل جاء الى لادو خـــبر يسر القلب وهو خـــبر وصول كمية كبيرة من المهمات الحربية الى مكراكا بالسلامة . وهـــذه الكمية كانت معـدة لمحطة أمادى . وكان يساور أمـــينا بك بصددها الخوف والقلق .

إنذار الأمير كرم الله أمين بك بالتسليم ورده عليه

وفى ٣ منه تلقى أمـــين بك خطـابا من الأمير كرم الله و عثمان ارباب يقصون له فيـه ما وقع من الحوادث ويقولون له ان مرجان افندى لم يذعن ويسلم بعد أن أنذر خمس مرات . وانهم اضطـــروا أن يضربوا حـــوله حصارا وأن العساكر تخلصت فى نهاية الأمر ومن بقى حيا لاذ

بمكرا كا . وان المدافع والذخيرة وقعت فى أيديهم ، وان مرجان افندى الدناصورى و رهيب افندى على وهو من الضباط البواسل قتلا فى الطريق وجىء برأسيهما الى أمادى . وأنه يوجد فى هذه المحطة من اللاجئين زهاء ٢٠٠ نفس بينهم ضباط وجنود . وفى ختام الخطاب إيعاز الى أمين بك بأن يسلم هو و وكيله و فيتا حسان و احمد افندى محمود و الضباط الى الأمير كرم الله فى ظرف عشرة أيام والا فهو يسير الى لادو وعندئذ يكون عليه تبعة ما يحدث .

وروى حاملا هذه الرسالة وهما زنجيان ان كرم الله بارح امادى . وجاوبه امين بك ردا على خطابه انه يجب عليه اولا رد الناس الذين سافروا من لادو حتى يهدئ روع من حوله .

وورد خطاب من مكراكا جاء فيه انه ما زال يأتى يوميا من امادى ضباط وجنود الى واندى وانه من غير الممكن معرفة عدد من بقى حيا بالضبط .

من المسئول عن ضياع أمادى

وجاء فى خطاب آخر من سليمان افندى ان مسئولية تسليم الحصن تقع على شبان الضباط الذين أغروا الجنود بالسفر . اما عن نفسه فيقول انه آخر من سافر وذلك عندما دخل العدو نهائيا المحطة . ويعزو حامل الرسالة وهو جاويش من محطة كومى الخطأ الى المرحوم مرجان افندى و سليمان افندى اللذين امرا مرارا وتكرارا الجنود بتسليم اسلحتهم وهؤلاء أبوا الامتثال .

قرار المجلس الحربى الانسحاب الى الشرق
ومعارضة حواش افندى وغيره لهـــذا القرار

وكان امين بك قد أخبر فيتا حسان فى كتابه السالف الذكر الذى أرسله اليه مكتوبا باللغـــة العربية ان مجلسا حربيا مؤلفا من الموظفين الملكيين وكبار الضباط انعقد فى لادو وقرر الانسحاب لناحيـــة الشرق وذلك بعد تحطيم الباخرتين « الخديو » و « نيانزا » واتلاف ما بالمستودعات من الأغذية . وكان من ضمن ما دون فى آخـــر هـذا الخطاب أمر لفيتا حسان بأن يتفق مع حواش افندى بشأن تنفيذ هـذا القرار . هذا وفى خطاب آخر سرى مكتوب بالايطالية نصح امين بك لفيتا حسان ان لا يضغط على حواش افندى فى تنفيذ هذه التدبيرات اذا أبى العمل بها .

وفى الحـــال عاد فيتا حسان وبلغ خور أيو فى نفس المساء وحصل من هـــذه الناحية بشق الانفس على ترجمانين ليرافقاه الى دوفيليه لأن حالة الجـــو كانت غاية فى الرداءة وما كان فى الاستطاعة المجازفة بالمسير بدون دليـــل . وكان المطر ينزل ثجاجا بدون انقطاع والليل أرخى سدوله والطـــريق غير مأمونة . وبعـــد ان قطع مسافة منه اختفى الترجمانان والتزم فيتا حسان ان يستمر فى السير مع خادمه وحـــلاق الحكومة كحرس له . ولحسن حظه اضطر تهاطل المطر ورداءة الجو الزنوج ان يستكنوا فى اكواخهم فوصل هو ومن معه الى دوفيليه بدون ان يلحقهم أذى اللهم إلا نفوذ المطر الى اجسامهم .

وسلم فيتا حسان الى حـــواش افندى الأمر الخاص به وهو فى

مغـــزى ومبنى خطابه فقرأه بترو وصاح وهو فى حالة تهيج : « إن تحطيم البـــواخر والسفن ، وإبادة المستودعات بما فيها من كميات الذرة البالغة ٣٠٠٠ أردب ، وترك الحقـــول الخصبة بمزروعاتها ، وتأليف قافلة من ١٠٠٠٠ نسمة ثلثاها نساء واولاد ، وزجهم فى بلاد مجهولة ليتركوا على قارعة الطريق طعمة للحيوانات المفترسة ، كل ذلك من المستحيلات بل هو جنون صرف واننى اعارض فى ذلك بكل ما أوتيت من قوة » .

ونبه فيتا حسان الى أن هذا أمر رئيسهم ومن الواجب إطاعته وأن من المعلوم أن أمينا بك لا يجهـــل نتيجة ما يعمل وان ليس من شأن مرءوسيه انتقاد اوامره . غير انه لما كان أمين بك قد قال فى الخطاب السرى لفيتا حسان إنه لا ينبغى الضغط على حـــواش افندى استنتج فيتا حسان من ذلك انه ربما كان امين بك لا يريد هـــو نفسه ان تنفذ أوامره . فلهـــذا السبب امتنع ان يبدى أى تشدد مع حواش افندى كما كان يتشدد حتما اذا لم يصل اليـــه الخطاب الثانى وينجح فى تشدده .

وكان الجميع فى دوفيليه من موظفين وضباط متحدين على معارضة قرار المجلس الحربى فى لادو . وأبلغ فيتا حسان فى نفس ذات اليوم أمينا بك أمر هذه المعارضة الاجماعية .

ومشروع الانسحاب نحـــو الشرق هـــذا تقدم به كازاتى الذى كان قد وصل الى لادو من أمد يسير . والدليل على ذلك هـــو ان أمينا بك لم ينبس عنه من قبـــل ببنت شفة البتة إذ لم يكن واضعا نصب عينيه سوى طريق الجنـــوب . وبما ان الخطر كان يزداد

يوما بعد يوم حتى أمست المديرية مهددة قرر امين بك الانسحاب امام المهديين وعند ذاك ألحف كازاتى فى الاتجاه صوب الشرق . ولما كان امين بك يريد من صميم قلبه ان يرفع عن عاتقه بعض المسئولية فى هذه الظروف الحرجة عرض هذه الخطة على كبار ضباطه وهؤلاء وافقوا عليها فى الحال . ووقتئذ ارسل امين بك الى فيتا حسان وحواش افندى الامر السالف ذكره لأنه كان يرى ان من المخاطرة السير بجمع غفير من الناس وسط وديان واراض مجهولة . وكان لم يزل باقيا على رأيه الأول وهو الانسحاب عن طريق أوغندة غير انه كان لم يزل قائما دواما امامه مسألة إباء الجنود السير شطر الجنوب فلا تترك له سبيلا لتنفيذ إرادته . على أنه كان من السهل مع استعمال قليل من الحزم تبديد مخاوفهم وحملهم على الطاعة وذلك بالعثور على من عزا الى امين بك ازماعه بيع الجند لكباريجا ، ومعاقبته عقابا صارما .

نتائج واقعة ريمو وانسحاب الجنود الى لادو

وفى ١٥ أبريل قدم بريد من ريحان افندى فى ريمو . ومن اخباره ان الواقعة التى حصلت فى هذه الناحية قتل فيها كثير من المهديين وانه استولى على علم وصندوقين من الذخيرة . أما خسارة الحامية فخمسة قتلى من بينهم ضابط صف واحد ، وثمانية جرحى منهم ٥ من الجنود و ٣ من الضباط . ومن بين هؤلاء الأخيرين اليوزباشى فرج افندى يوسف وهو مصاب بجرح بليغ . ومن أخباره أيضا أنه يريد الآن الانسحاب الى الرجاف .

وقال الجاويش الذى أتى بالبريد ان مدد لادو المؤلف من ٥٠ جنديا وصل الى بيدن وانه لاستعجال ريحان افندى فى كتابة الخطاب لم يلتفت لأهمية الاسلحة والذخيرة التى أخذت غنيمة . وانه كان فى ريمو كثير من الجنود وان بعض الخطرية ظلوا مخلصين وقاتلوا قتال الابطال . وقد حدث الجاويش المذكور عن بسالة الجنود .

وفى ١٧ أبريل وصل على افندى الى الرجاف قادما من ريمو ومعه ٥٧ جنديا . وفى الوقت نفسه ورد خطاب من عبد الوهاب افندى طلعت من مكراكا وكان هذا الخطاب قد تأخر وصوله . وقد جاء فيه انه بادر بالسفر وبهذه الكيفية بلغ ريمو فى ٦ من هذا الشهر ومعه المقدمة والمرضى ، وأن بلال افندى من كابايندى و فرج افندى الجوك من ممبتو قد انضما اليه .

وفى ١٨ أبريل جاء الى امين بك مكتوب من ريحان افندى يذكر فيه انه يأمل ان يصل الى بيدن فى ١٤ من هذا الشهر وأن فرج افندى يوسف الذى كان قد جرح فى واقعة ريمو مات متأثرا بجراحه وان العساكر تامة العدد .

وفى ١٩ أبريل وردت الأخبار من ريحان افندى ومن عبد الوهاب افندى طلعت انهما وصلا مع جنودهما الى بيدن وسافرا منها فى الحال الى لادو .

وفى ٢١ منه جاء خطاب من ريحان افندى يقول فيه انه وصل هو و ٥٥٤ جنديا الى الرجاف ومن بين هؤلاء المرضى و الجرحى وهم

جميعا الجنود الذين أمكنهم النجاة . وان العمل جار بهمة فى سبيل نقل الأسر والامتعة الى غندوكورو .

وفى ٢٣ أبريل وصل الى لادو ريحان افندى و سليمان افندى وضباط آخرون ومعهم ١٣٠ جنديا لتقوية حامية هذه المحطة .

عقد اجتماع للنظر فى الحالة واصدار قرار

وفى ٢٤ منه استدعى امين بك جميع الضباط ليتداولوا فى الاحتياطات التى يلزم اتخاذها تلافيا للمجاعة ولمقاومة الخطر الذى يهدد المديرية . وبعد ان بين الغرض من هذا الاجتماع انسحب وفوض رياسة المجلس الى البكباشى ريحان افندى حتى يكون للضباط الحرية التامة فى وضع قرارهم . أما كازاتى فحضر ايضا هذا الاجتماع . وهذه صورة ما قرره المجلس بعد المداولة :

« حيث ان محصولات الحبوب فى لادو و الرجاف و بيدن الخ . . . غير كافية لتموين الأهالى بعد اخذ حاجتنا منها . وانه سيمر وقت قبل حصاد المحصول الجديد ، وان تنجيز الطلبات يستهلك المؤونة القليلة الباقية فى حوزتنا ويدعنا تحت رحمة الزنوج . وحيث انه من المستحيلات الحصول على حبوب بأية وسيلة اخرى ، فقد تقرر نقل النساء والاولاد والامتعة فى الحال الى الجنوب والاحتفاظ بالمحطات مؤقتا وذلك بواسطة احتلال عسكرى فقط والانسحاب منها عند الضرورة وحشد كل قواتنا فى الجنوب . وان خط الانسحاب سيكون شطر الجنوب لأن طريق الشمال بعد بور غير مطروق واخبار الخرطوم مقطوعة وغير معلوم ان

كانت سقطت يقينا فى يد العدو أم لا . أما فى الجنوب فدوفيليه و وادلاى صالحتان لجعلها محطتين اساسيتين وبهما الشىء الكثير من الحبوب وضواحيها خصبة ومنهما الامل الأخير للاتصال بمصر عن طريق زنزبار واذا وقعنا فى اسوأ الاحوال فنلجأ عندئذ الى كباريجا أو الى ابن متيسا » .

وبناء على هذا القرار أصدر امين بك فى الحال الاوامر اللازمة وقرر نقل قاعدة المديرية الى وادلاى حيث تكون الحكومة فى مأمن ويمكنها منها الاتصال بسهولة مع الاونيورو وأوغندة .

وهذا المشروع فى الحقيقة كان احسن المشاريع غير ان حامية لادو رفضت اخلاء المحطة وذلك إما من باب العناد أو خوفا من المسير فى اتجاه الجنوب مع أن أمينا بك حاول أن يضطرهم الى إخلائها بواسطة تسفير ونقل المستخدمين الملكيين . وأخيرا وعدت الجنود بتسفير أسرهم الى وادلاى وان يبقوا هم فى لادو ليمنعوا المهديين عن التقدم اذا حاولوا المسير الى الامام . والتمسوا من أمين بك أن يرسل اليهم فقط الزاد بانتظام .

ولم ينقد أمين بك فى هذه المسألة لأحد إلا لما أوحت به بصيرته وفى الواقع لو كان العدو قدم لحصار لادو لكانت العاقبة بلا ريب تكرار نفس ما حدث لحامية أمادى أى المجاعة والتخاذل وتكون الخاتمة مجزرة عامة . نعم كان أمين بك قد ألف أورطة بقيادة ريحان افندى الذى ترقى الى رتبة بكباشى مكونة من ثمانية بلوكات كل بلوك فيه

١٠٣ من الجنود فيكون المجموع ٨٢٤ جنديا . وكانت ثلاثة بلوكات منهـــا مرابطة فى لادو والباقى فى غندوكورو و الرجـــاف و كري و بيدن . ولكن مع هذه القوات الضعيفة لا يكون فى استطاعة لادو أن تحتمل حصارا طويلا . ثم ان تجريد هذه المحطات لتقوية لادو معنـــاه تعريض تلك المحطات لخطر كبير من جانب قبائل الزنوج . وخطة أمين بك القاضية بنقل قاعدة الحكومة الى الجنوب كانت الوحيـــدة التى فى تنفيذها بعض الأمل بالنجاة .

وفى ٢٥ أبريل شخص أمـــين بك الى غندوكورو مع موظفيه وأسرته ليراقب مسألة النقل صوب الجنوب . وقد كان فى الامكان أن يلاحظ فى غضون ذلك بوادر العصيان إلا أن هـــذه العلامات لم تبد علانية ما دام أمين بك فى لادو .

وودع أمـــين بك على ظهر السفينة الشراعية التى كانت مقلة له شطر الجنوب بشيء قليل من الاحترام والتشريفات العسكرية إلا أنه ما كادت السفينة تمخر به عباب اليم حتى أخذ جنـــدى من الجنود السودانية يسخر قائلا : « تعلق مديرنا بأذيال الفرار » . وتردد صوت هـذه السخرية فى لادو ولاكتها الألسن وشاعت فى سائر انحاء شمال المديرية .

وقد علم أمين بك ذلك وهو فى غندوكورو واتصل به كذلك خبر فحواه ان ضباط لادو بعد رحيله قرروا الانسحاب نحـــو الشمال بدلا من الجنوب فأرسل اليهم فى الحال مندوبا ومعه مذكرة الى القائد يأمره فيهـــا بمنع كل محاولة من هذا النوع . فأتاه رد اجماعى على هذه المذكرة موقـــع عليه من جميع الضباط يؤكدون له فيه تأكيدا كليا شدة اخلاصهم ويرجونه

أن يذهب هو نفسه الى الجنوب فى أول فرصة بطريقة يأمن معها سرعة ارسال الحبوب الى بيدن و الرجاف و لادو حيث المؤن نقصت نقصا كبيرا .

فوقع كل ذلك فى نفس أمين بك موقعا دعاه الى الارتياب فيهم وعدم التعويل عليهم عند الحاجة . هذا عدا أن الحوادث الماضية قد أقامت الدليل على ذلك ومع كل فكان الأصوب أن يرجع الى لادو ليفند بوجوده فيها اشاعة الهروب السخيفة التى اذاعوها عنه .

واقام امين بك مع ذلك زهاء خمسة عشر يوما فى غندوكورو حيث يندر ايضا وجود الحبوب . وبعد ان اعطى اوامر صريحة بصدد وجوب حسن معاملة قبائل البارىين حتى لا يدعوا لهم سبيلا للثورة ، واوامر اخرى بارسال الجنود بقدر ما يستطاع الى بور بقصد سحب الجنود التى فيها . هذا اذا كان لم يزل هنالك الوقت الكافى . لذلك انتقل امين بك الى الرجاف وكان قد اتصل به ان جنود هذه المحطة ينوون اخذه اسيرا فاسرع على قدر الاستطاعة فى الذهاب اليها ليرى اذا كان فى استطاعة أحد ان يتجاسر حقيقة على وضع يده عليه ولكنه قوبل فيها بالحفاوة العسكرية حسب المعتاد وحسن سلوك جميع الحامية من ضباط وجنود لا يمكن ان يدع سبيلا للارتياب فى نية أحد منهم .

وانتقل امين بك من غندوكورو الى بيدن ولحق به فى الطريق اونباشى كان المهديون قد قبضوا عليه ولكنه استطاع الافلات منهم وقص عليه انه لحق بهؤلاء فى امادى و ريمو خسائر فادحة وان ذخيرتهم أوشكت أن تنتهى . وانهم يواصلون ليلهم بنهارهم فى جمع الرقيق وارساله الى بحر

الغزال وان الأمير كرم الله أصدر أمرا من « كمارى » Kamari باعداد كل شيء والتأهب للسير نحو هذه المديرية حيث ينتظر قدومه عما قليل . وان عددا من الناس كان قد قدم من مديرية بحر الغزال ولكنه رجع اليها وان الستة والعشرين جنديا الذين أخذوا أسارى كانوا مصفدين بالاغلال ومجبرين أن يخدموا كحمالين . وقص أيضا انه عندما سمع ذلك قرر هو وثلاثة من رفاقه الالياذ بالفرار غير انه يجهل مصير رفاقه لأنه تركهم ليجتاز النهير سابحا بالقرب من أمادى وان الأسارى تركوا بين مخالب الجوع يكابدون أشد آلامه . وأن الدناقلة احتفلت بسقوط الخرطوم وذلك باطلاق ٢٥ مدفعا .

انتقال أمين بك من بيدن الى موجى وارساله مؤونة الى لادو

وبعد ذلك ببضعة أيام قدم رفاق الاونباشي الثلاثة وأيدوا ما قصه ويلوح ان أمينا بك مر بمحطة كري ولم يقف بها وقد انتقل من بيدن الى موجى وأقام فى هذه مدة غير قصيرة وحالفه التوفيق إذ تمكن من أن يرسل الى لادو كمية كبيرة من الحبوب ومن الفول السودانى لتستخرج منه الزيوت . وفى غضون هذه المدة قدم من أمادى الى لادو اناس آخرون من الفارين وأجمع الكل على القول ان الدناقلة يستعدون بسرعة للتوجه الى بحر الغزال ويستنتج من ذلك ان مؤونتهم استهلك منها المقدار الأكبر وانهم لا يرغبون أن يفاجئهم فصل الأمطار فيتعرضوا لخطر قطع الطريق عليهم وهم فى أرض ضربت فيها المجاعة أطنابها . وقد يحتمل أيضا انهم كانوا مهتمين بالرجوع الى الخرطوم ويجوز من جهة أخرى أن يكون المهدى قد أصيب بهزيمة فأخذ فى لم شعث شمل رجاله وحشدهم فى

موضع من المواضع . وعلى كل حال فمن الصعب معرفة السر فى تصرف المهديين بهذه الكيفية .

الدسائس التى كانت تحاك لعرقلة أعمال امين بك

وورد لأمين بك فى موجى خطاب من اليوزباشى سليم افندى مطر من دوفيليه جاء فيه ان حواش افندى يأبى هو ورجاله أن يسلك طريق الشرق ولكنه هو يأخذ على عهدته مع الارتياح هذه المأمورية اذا أمرته الحكومة بذلك وانه يتعهد أن يقوم بها خير قيام وانه يرى ان هذه الخطة هى الخطة المثلى وانه من رأى جميع الموظفين الانسحاب نحو الشرق .

وكان أمين بك يبغض كل فكرة ترمى الى الانسحاب صوب الشرق وكان من جهة اخرى قد وافق على قرار المجلس الحربى الذى انعقد فى دوفيليه واتفقت فيه آراء جميع الضباط اتفاقا نهائيا على رفض الانسحاب لجهة الشرق وكان من جملتهم سليم افندى مطر والموظفون أى نفس هؤلاء الذين أصبحوا الآن يرغبون فيما رفضوا قبوله من بضعة أيام .

وأسخط هذا الموقف الغامض الذى يحجب وراءه دسيسة جديدة أمينا بك وأغضبه . وكان قد رأى وعاين سابقا من الأورطة الأولى ما فيه الكفاية . ولما كان لا يود أن يعاضد سليما افندى مطر فى موقفه المفعم بالعداء لرئيسه أرسل الى حواش افندى خطابه وزوده بتوقيع حكم عليه بحجزه عن الخروج من الحجرة مدة سبعة أيام وحبس جميع الموظفين الذين اشتركوا معه فى هذه المؤامرة وعزل رئيسهم ميخائيل افندى سعد .

وكان أمين بك يعرف معرفة تامة ـ وقد قامت الادلة على ظنه هـذا فيما بعد وأيدته ـ ان سليما أفندى مطر وهـو ضابط زنجى وأمى لا يعرف القراءة والكتابة أعجز من أن يدبر بنفسه دسيسة وان الذى حاكها هم الموظفون الملكيون فى دوفيليه إذ أن هؤلاء برهنوا فيما سلف على انهم من أصحاب الكفايات فى مثل هذه التدابير .

وقد لاح على سليم افندى فى أول الأمر أنه يجنح للتمرد وعدم تنفيذ الحكم الصادر عليه إلا أنه لما أرسل له حواش افندى نسخة من قرار الايقاف أذعن وانقلب فى وداعة الحمل . والسر فى هـذا الانقلاب المدهش فى الموقف هو تبليغه الأمر كتابة .

ويقول فيتا حسان ان الزنجى لا تؤثر فيه أصعب الكلمات وأشدها وان الذى يؤثر فيه ما كان مسطورا . فالأمر الذى يعطى شفويا يترك فى زوايا النسيان أما الأمر الذى يكون أسود على أبيض فهذا ينفذ بكل عناية ودقة . ويظهر ان الورقة هي « عفريت » الجزء الأكبر فى نظر الجنود السودانية .

وسافر أمين بك من موجى الى لابوريه ومن هـذه أرسل كمية كبيرة من الحبوب الى لادو . وبلغه وهـو فى لابوريه أن المهديين انسحبوا نهائيا بدون ان يصله تفصيلات هذا الانسحاب . وعندما كان فى هذه المحطة أذيعت اشاعة بأن أمينا بك يريد أن يجعل فيها قاعـدة المديرية وأنه أعـد هناك دارا له غير انه بعد ذلك بأربعة أيام انتقـل الى محطة خـور أيو ومنها استدعى البكباشى حواش افندى ليتداول معـه فى تأليف الأورطة الثانية إلا ان هـذا الضابط لم يحضر ولم يكتب ليعتذر عن تخلفه

عن الحضور .

وهنا يتساءل المرء عن السبب فى عدم احترام أوامر الرئيس .

وللجواب على ذلك نقول ان السبب بلا مراء هو دسائس الملكيين وسوء نيتهم إذ أن هؤلاء كثيرا ما كانوا سببا فى حدوث ارتباكات وقيام عراقيل أمام أمين بك . ولا عجب فهؤلاء الاشخاص ينتقون من بين صفوف أردأ الموظفين الذين أساءوا السلوك فى الخرطوم فصدرت الأوامر بنفيهم الى خط الاستواء ليكفروا عما اقترفوه من الذنوب . وكان ايضا الضباط غير السودانيين ما عدا القليل منهم محكوما عليهم من مجالس عسكرية وأتوا ليقضوا مدة العقوبة المحكوم عليهم بها فى السودان . وما كانت تنقطع قط دسائس الزنوج وغيرهم وكانت النتيجة رفض الأورطة الاولى اطاعة المدير بالمسير فى اتجاه الجنوب .

وكان امتناع حواش افندى عن تلبية طلب أمين بك ناشئا عن دسيسة دسها كذلك الموظف الملكى احمد افندى رائف ذلك بأن قال له ان فى ثنايا استدعائه الى خور أيو شركا نصب لوقوعه فيه .

الترتيبات الجديدة

ولما كرر أمين بك استدعاءه لحواش افندى مرارا لم يستطع هذا الاستمرار على الامتناع عن الذهاب اليه خوفا من أن ينسب اليه التمرد . وعندما مثل أمامه قابله بالأنس والبشاشة حتى عرف انه لم يقع فى مخالب الخدع . وبعد أن لامه أمين بك بطريقة أبوية لتخلفه طويلا عن الحضور رقاه الى رتبة البكباشى نظرا للخدمات العظيمة التى

أداها للمديرية وليستوى هـو ورفيقه ريحان افندى قومندان الأورطة الأولى فى المرتبـة . ثم أخـذ يشتغل معه فى ترتيب المستخدمين اللاكين وضباط الأورطـة الثانية التى كان سيؤخـذ منها حاميات المحطـات الجنوبية .

وعملت الترتيبات العسكرية فى المديرية بالكيفية الآتية :ـ

أورطتان كل واحدة منها مؤلفة من ٨ بلوكات فى كل بلوك ١٠٣ بين ضباط و ضباط صف و جنـود فيكون مجموع الأورطة الواحدة بما فى ذلك القـائد ٨٢٥ ويكون مجمـوع الاورطتين ١٦٥٠ مابين ضباط و ضباط صف و جنـود . وتم توزيع هاتين الاورطتـين بهذه الكيفية وهى :ـ

توزيع الأورطة الأولى بقيادة البكباشى ريحان افندى ابراهيم

أركان حرب الاورطة والمدافع والبلوك الأول والثانى فى لادو .
والبلوك الثالث فى غندوكورو .
والبلوك الرابع والخامس فى الرجاف .
والبلوك السادس فى بيدن .
والبلوك السابع والثامن فى كري .

وهذه اسماء ضبـاط الاورطة الاولى كما وردت فى بيان أرسله الينا عبد الرحمن افندى رحمى نجل المرحوم البكباشى عثمان افندى لطيف وكيل مديرية خط الاستواء فى عهد حكمدارية امين باشا :ـ

عدد				
١	اليوزباشي	حامد	افندى	محمد
١	»	سليم	»	مطر
١	»	ابراهيم	افندى	آدم
١	»	سالم	»	خلاف
١	»	محمد	»	الصياد
١	»	عبد الواحد	»	مقلد
١	»	سعيد	»	عبد السيد
١	»	فرج	»	يوسف
١	الملازم الأول	فرج	»	الجوك
١	»	جادين	»	احمد
١	»	على	»	جابو
١	»	عبد المبين	»	شلعى
١	»	بخيت	»	برغوت
١	»	سليمان	»	السودانى
١	»	حسن	»	الجوهرى
١	»	مصطفى	»	احمد
١	»	بخيت	»	المصرى
١	»	بخيت	»	كاسا
١	»	حسن	»	بريه
١	»	فرج	»	دنكاوى
٢٠				



البكباشى حواش افندى منتصر

توزيع الاورطة الثانية بقيادة البكباشى حواش افندى منتصر

اركان حرب الاورطة والمدافع والبلوك الاول والثانى فى دوفيليه .
البلوك الثالث فى لابوريه .
البلوك الرابع فى موجى .
البلوك الخامس فى فاديبك .
البلوك السادس فى فاتيكو .
البلوك السابع فى وادلاى .

وهـــذه أسماء ضباط الاورطة الثانية كما وردت فى بيان عبد الرحمن افندى المذكور :—

عدد		
١	اليوزباشى	عبد الوهاب افندى طلعت
١	«	مصطفى « العجمى
١	«	محمود « العجيمى
١	«	احمد « الاسيوطى
١	«	خير « مرتنيك(امريكانى)
١	«	كودى « احمد
١	«	فضل المولى « الامين
١	«	احمد « على
١	الملازم الاول	عبد الله « محمد
٩	نقل بعده	

عدد			
٩	ما قبله		
١	الملازم الاول	عبد الله افندى	منزل
١	»	عبد الله	» العبد
١	»	سرور	» على
١	»	بخيت	» محمود
١	»	فرج	» الزهيرى
١	»	فرج	» زغلول
١	الملازم الثانى	محمد	» موسى
١	»	حسين	» محمد
١	»	سليمان	» عبد الرحيم
١	»	خالد	» احمد
١	»	اسماعيل	» حسين
١	»	محمد	» عثمان المصرى
٢١			

* * *

وفيما عدا تنقلات الجنود التى تستلزمها ضرورات الاعمال أو اخلاء بعض المحطات واحتلال غيرها استمر هذا الترتيب بهذا الوضع لغاية نهاية الادارة المصرية .

فكان على ذلك البكباشى ريحان افندى يتولى القيادة من لادو

الى كري ، و البكباشى حواش افندى فى قسم المديرية الجنوبي ابتداء من كري . وقد شمروا عن ساعد الجد وواصلوا ليلهم بنهارهم فى اصلاح الأسلحة وترتيبها فكانت نتيجة ذلك صلاحية بندقيتين أو ثلاث للاستعمال من كل عشر بنادق كانت غير صالحة للاستعمال . وبهذه الكيفية صار فى حيز الامكان ايجاد بنادق يبلغ مجموعها ٢٥٠٠ بندقية . ولهذه المناسبة أصدر امين بك عدة أوامر بترقيات حملها حواش افندى معه وهو مسافر .

وكان قبل ذلك بزمن يسير قد فصل احمد افندى محمود المأمور الملكى وعبد الوهاب افندى طلعت المأمور العسكرى جزاء ما عزياه الى امين بك من الاقوال المفتراة . ولوساطة فيتا حسان عفا عنهما امين بك حسب عادته المألوفة غير أنهما فى نفس ذات اليوم الذى عفا فيه عنهما عادا الى القدح فيه بقولهما انه ليس بأهل للحكم . وهذا ما جعل فيتنا حسان يتميز من الغيظ وهمّ بأن يطلب من امين بك ان يوقع عليهما أقصى عقوبة غير انه ما لبث أن عدل عن فكرته هذه وأخذ هو نفسه يستعطف أمينا بك قائلا : ينبغى ان يعفو الانسان عن الزلات .

نقل قاعدة المديرية الى وادلاى

وقال امين بك لفيتا حسان ، وذلك قبل رجوع حواش افندى الى دوفيليه ، إنه يريد الانتقال صوب الجنوب ليقيم قاعدة حكومته فى وادلاى ، وانه يود أن لا يذهب الى هناك إلا بدافع من الاورطة الثانية . ولعل ذلك كان لخوفه من ان انتقاله الثانى هذا يحمل الاورطة المذكورة على الاعتقاد فى صحة اشاعة هروبه . وقد يجوز أيضا ان يكون ذلك صادرا

من طريق غريزته التى كانت دواما تحمله على اتخاذ طرق ملتوية معوجة ليتوصل الى حل المسائل البالغة منتهى البساطة .

وكان فيتا حسان يعتقد جواز الأمرين . غير أن أمينا بك قدم الى حواش افندى سببا لا يمت بصلة ما لغرض من هذين الغرضين وأقنعه بأن يطلب منه انتقاله الى وادلاى لأسباب طبيعية يبررها العقل . وهى ان المواصلات بين خور أيو و دوفيليه غير ممكنة إلا برا ، وبالتالى يصعب قطعها على الجنود وعلى الأهالى الذين يستخدمون كحمالين بينما يمكن قطع المسافة بين دوفيليه و وادلاى بانتظام فى سائر ايام السنة بواسطة الباخرتين « الخديو » و « نيانزا » .

وكان فيتا حسان حاضرا مع المدير فى نفس البرهة التى عرض فيها طلب حواش افندى على أمين بك الذى تناوله فى الحال وتصفحه بسرعة البرق وأقره .

انشغال المدير بشحن الغلال الى الشمال
وتطبيب مرضى أمادى وجرحاها

وشخص حواش افندى الى محل وظيفته فى دوفيليه ولبث امين بك فى خور أيو يشرف على شحن الغلال الى الشمال وعلى تطبيب مرضى وجرحى امادى . أما اليوزباشى كازاتى الذى كان لم يزل مقيما فى لادو فقدم وقابل امينا بك فى خور أيو وأبلغه انه علم ان ترجمانا من الباريين أتى الى لادو وأخبر أن المهديين أخذوه معهم من مكراكا وان هؤلاء دمروا هذه المحطة تدميرا تاما بعد ان أخلوها .

وقـــــرر امين بك السفر الى دوفيليه بعـد ان أرسل الى لادو زهاء ٤٠٠ اردب من الحبوب وكان ذلك عقب أن ورد له إخطار رسمى من البكباشى قائد الاورطة الثانية فى دوفيليه فحواه عدم استطاعته ارسال حبوب الى خور أبو بعد ان كلف بتموين لادو بالحبوب .

أما اليوزباشى كازاتى فقد رحل قبله الى وادلاى .

سفر المدير الى دوفيليه وخطر الطريق الموصل اليها

وكان امين بك قد قرر السفر من خـــــور أبو الى دوفيليه فى ٢٣ يونيـه وأعـد كل أدوات السفر غـير أن الحمـــــالين لم يأتوا الى الساعة التى توارت فيها الشمس بالحجاب . فدعت الضرورة أمينا بك أن يؤجـــــل سفره الى الغـــــد لأن الطريق كانت غير مأمونة ويستطيع ان يهاجمـه فيها عـدد قليـل من الأهالى بسهولة . وكان هـؤلاء فى الواقع ونفس الأمر منـــــذ ثورة الماتويين Metus التى قمعها حـواش افندى قبـــــل ذلك بستة أشهر قد صيروا الطريق مخـــــوفة إذ أقامـــــوا فيها المكامن على مقـربة من خـــــور الطين Khor El Tin فى منتصف الطـريق بـــــين خور أبو و دوفيليه ليهاجـوا منها عابرى السبيل الذين لا يكون لديهم الحرس الكافى .

ولما كان احمـــــد افندى محمـود السالف الذكر ليس فى امكانه الانتظـــــار سفّر والدته وشقيقته مع أربعة من الخدم وأربعـة من الحمالين فجـــــرت عليه هـذه المجازفة أعظم المصائب وأكبر الويلات إذ هاجم هذه القـافلة الصغـيرة منسر من الزنوج فى خـور الطـين فأبادها ولم ينـج منها

سوى خادم واحد تمكن من الوصول الى دوفيليه بخشى عندئذ حواش افندى من الاغارة على قافلة امين بك فأرسل ليلا أربعين جنديا ليحافظوا عليه لغاية دوفيليه . ودخل امين بك هذه المحطة فى ٢٤ يونيه .

وأقام أمين بك نحو عشرة أيام فى دوفيليه ومنها استمر فى تصدير الحبوب فى اتجاه الشمال . وتلقى فى اثناء اقامته فى هذه المحطة خطابا من ريحان افندى فى لادو لحواه أنه قام بغارة خلف جبل لادو فى اتجاه فادجيلو Fadjelu فنجحت وغنم ذرة ودخنا بمقادير كافية لتموين الجند زمنا .

مبارحة المدير لدوفيليه

وتكليفه حواش افندى القضاء على دسائس الموظفين

وعند مبارحته دوفيليه وجه الى حواش افندى فى مواجهة الجند والموظفين مجتمعين فى المرسى الكلمات الآتية .

« لقد حاق بى من الهم والاذى ما فيه الكفاية . وليس لى متسع من الوقت لاشتغل اكثر مما مضى بدسائس وسخافات الموظفين . فأنا افوض لك الأمر فى كبح جماحهم وعدم خروجهم عن حد الواجب . واترك لك مطلق الحرية وأؤيد سلفا ما تتخذه من التدابير » .

وسافر امين بك من دوفيليه فى ٤ يوليه ودخل وادلاى فى ١٠ منه واقام بها عامين تقريبا فى هدوء نسبى لغاية قدوم استانلى أول مرة ووقوع الحوادث التى قلبت المديرية رأسا على عقب .

ووجـد امين بك فى وادلاى زريبة كبيرة بها معدات الراحة كانت قد اعدت له من قبل فنزل بها وقدم اليه فيها رئيس هذه الناحية وكان من عاداته ان لا يأتى قط الى المحطة ووعده بان يرسل إليه رجالا وتراجمة .

واول عمل اقدم عليه امين بك فى وادلاى عزل احمد افندى محمود إذ ان شخصيته أمست لا تطاق بسبب رداءة سلوكه وشدة وقاحته .

ورأى امين بك انه قد أزيح عن عاتقه الاهتمام بمشاكل المهديين وتمرد الاورطة الأولى ودسائس الموظفين زمنا ما فأخذ يشتغل بتحسين حالة المديرية بنشر الزراعة وأرسل كذلك رسله سرا الى كباريجا ملك الاونيورو ليجس نبضه عن مقاصده نحو المديرية وعن اجتيازه بلده إذا طرأ ما يدعو الى ذلك .

الغرض من محاولة أمين بك ايجاد مخرج له فى أونيورو

وقد كان امين بك من جهة اخرى ينوى مد حدود مديرته الى ما وراء بحيرة البرت نيانزا حتى اذا جدد المهديون غاراتهم تكون البحيرة فاصلة بينهم وبينه . ولم يكن قصد امين بك من تلمس مخرج له فى أرض الاونيورو الرغبة فى ترك المديرية ومبارحتها ، بل كان غرضه الوحيد من ذلك ايجاد طريق للانسحاب مفتوحة ليسلكها عند الحاجة إذ أنه كان مغرما بمديرية خط الاستواء ويرى نفسه سعيدا بوجوده فيها وبدلا من ان يتركها كان يأمل ان يوسعها ويقويها

ويجعلها مقرا سعيدا . غير ان انقسام الجنود السيء العاقبة وخيانة المستخدمين وعويلهم كل ذلك كان يجعل تنفيذ هذه الخطة من الامور الصعبة بل المستحيلة .

ولقد أطارت بادىء الامر غارة المهديين غير المتوقعة لب امين بك إلا أنه حتى فى هذه الآونة العصيبة لم ييأس من النجاة . والدليل على ذلك كلامه الذى فاه به عشية اليوم السابق لوصول الأمير كرم الله وتناقلته الألسن وحرفته تحريفا مشئوما وهو :—

« إن فى استطاعتى بعون الله وحوله أن أحافظ عليكم وأسير بكم عن طريق أوغندة . وآخذ على عاتقى ان اوصلكم الى القاهرة . هذا اذا أوليتمونى الطاعة . وفى قدرتى ان اقود الكتبة والضباط وأسلك بهم من طريق أونيورو و أوغندة . أما الجنود فهؤلاء لا اظن ان كباريجا يسمح لهم بالمرور من أرضه . والخديو ليس فى حاجة الى بعض جنود سودانية والى بضع بنادق رمنجتون عتيقة . والأفضل ان يظل السودانيون فى بلدهم .

لقد يخالجنى الأمل بأنكم لو اطعتمونى استطيع ان اوصلكم الى القاهرة سالمين » .

وفى غضون حصار أمادى لم يعد امين بك يفكر فى انسحاب قد يمكن ان تكون عاقبته القضاء المبرم عليه وعلى سائر من معه لأن نقل عدة آلاف من الاشخاص بينهم بوجه خاص النساء والاطفال فى جوف غابات افريقية أمر غاية فى الصعوبة ان لم يكن مستحيلا كما جرب ذلك بضعة

الاشخاص الذين امكنهم بلوغ ساحل البحر مع استانلى .

وكان امين بك على بينة من هـــذه الصعاب التى كانت الباعث الوحيد فى تردده كلما دعت الحالة الى سفر أو انسحاب . وكان من ناحية اخـــرى اغلب اناس مديرية خط الاستواء سواء أكانوا جنودا أم أسرا لهم من الزنوج وهم يرتاحون لوجودهم فى تلك الاصقاع ولا يميلون إلا قليلا لترك مسقط رؤوسهم ليذهبوا الى مصر بعد ان يقاسوا فى الطريق من المشاق والصعاب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت .

والموظفون المصريون الذين يرغبـــون فى الرجوع الى بلدهم كانوا اقلية لا تذكر وكان السفر معهم وحدهم فى رحلة كهذه أمرا محفوفا بالأخطـــار . وعدا ذلك فان أمينا بك شغوف بخط الاستواء وفى نيته الاقامة فيـــه . فلقد كان مجذوبا اليه بهوائه العليل ، وسكانه الهادئين هدوءا نسبيا ، وعيشته الرخية . ولو أراد حقا اخلاء المديرية لما استطاع ذلك إلا بعد موافقة الجنود . واذا وافق هـؤلاء فليس هنالك شيء أسهل من الرحيل مع ال ١٦٥٠ جنـــديا المسلحين سلاحا تاما والمزودين بالمؤونة التى فى حوزتهم . اما مملكتا أوغندة والاونيورو فهاتان لا يمكن ان يخطر ببالهما الوقوف فى طريق جيش عرمرم كهذا لتعترضاه .

ولم يكن أمين بك يفكر إلا قليلا فى انسحاب كهذا بعد القيام به تقـــريبا من الاشياء المستحيلة بل كان بالعكس يرغب فى اخلاء المنطقة الشمالية ونقـــل المديرية الى القسم الجنوبى ليخضع الاهالى النازلين بين بحـــيرتى البرت نيانزا و تنجانيقا . ونقل قاعدة الحكومة الى وادلاى هى أول خطـــوة خطاها فى سبيل تنفيذ هـذه الخطة . وتهيئة المديرية على هـذه

الصورة يصير لها بحيرة البرت نيانزا بمثابة حصن يقيها هجوم المهديين على انه لا يظن ان هؤلاء يقومون بأى هجوم بعيدا هكذا عن قاعدتهم .

غير ان تنفيذ هذا المشروع يتوقف على عدم تمنع الجنود وخصوصا الاورطة الاولى عن تقديم المساعدة . وكان امين بك ينتظر ان يتكفل الزمن بتذليل الأمور فكان الزمن وحده كفيلا بان ينتزع من قلب الجنود ما زرعته يد أولئك الطغام السيئى المقاصد من الأفكار الخبيثة ويرجع اليه الثقة والطمأنينة .

وكان أمين بك يرتقب من حوادث الأيام أن يطرأ من جانب المهديين هجوم على لادو يضطر الجنود الى إخلاء جهة الشمال والانسحاب صوب الجنوب . وفى انتظار حدوث ذلك كان أمين بك يشتغل فى سبيل اكتساب ثقة الأورطة الأولى وازالة الصعوبات التى كانت قائمة أمام امتداد المديرية لشطر الجنوب وذلك بمحاولة عقد صلات مع الرؤساء والامراء المستقلين .

وفى ٢٥ يوليه جاء مع بريد لادو خبر مشئوم مؤداه ان جنود بور اتخذوا سبيلهم مولين وجوههم شطر غندوكورو حسب الأوامر التى كان أصدرها اليهم أمين بك فى يناير وذلك عندما انتقل اليها عثمان افندى لطيف وكيل المديرية فهوجموا أثناء الطريق ولم ينج من مجموعهم البالغ ٥٤ نفسا سوى ١٣ نسمة وان هذا العدد وصل الى لادو . وعد أمين بك ريحان افندى مسئولا عن هذه الكارثة لأنه رغما عن الأوامر المتعددة التى بعث بها اليه لم يرسل جنودا عندما كان

لم يزل لديه الوقت الكافى وبعد فوات الوقت أرسل ٢٠٠ جندى بقيادة فضل الله افندى .

وفى ١٦ أغسطس وصلت الباخرة « الخديو » الى وادلاى قادمة من دوفيليه وورد بها بريد لادو ومن ضمنه بلاغ من عوض افندى فحواه ان ترجمانا من الفارين من « جور غطاس » روى ان الأمير كرم الله كان آخر من بارح مكراكا وانه أحرق وهو سائر فى طريقه جميع ما صادفه من النقط العسكرية واقتاد معه كل من كان بها .

وفى أوائل سبتمبر بلغت أمينا بك أخبار من مكراكا أتى بها اناس كان قد أمر بارسالهم من الرجاف . وخلاصة هذه الأخبار ان المحطات جميعها سليمة غير انها خاوية خالية وان بعض الرؤساء اقتادهم المهديون معهم الى بحر الغزال وان هؤلاء لم يتركوا منهم أحدا لا فى مكراكا ولا فى أمادى .

وفد كباريجا ملك أونيورو الى امين بك

وفى ٢٠ سبتمبر جاء وفد الى وادلاى من قبل كباريجا ملك أونيورو مؤلف من ثلاثة مندوبين ليزور أمينا بك ردا على زيارة الرسل الذين كان قد بعث بهم اليه . وكان الوفد المذكور يحمل معه هدايا من منسوجات ودخان وبن . ومن مهمته أيضا أن يؤكد لأمين بك أميال الملك الحبية واستعداده لأن يحضر الى أونيورو الطبيب جونكر الذى كان محجوزا لدى أنفينا . وأقام الوفد أياما عومل فيها أحسن معاملة وقدم له أمين بك فى نهاية الأمر جملة هدايا ذات قيمة برسم الملك

وكلفه بأن يعرب له عن تشكراته لاظهار استعداده لاحضار جونكر من عند أنفينا ويؤكد له صداقته .

ووزع أمين بك المنسوجات المرسلة من طرف كباريجا على ضباط الأورطتين . فاتخذت خيانة المستخدمين من هذه المسألة وسيلة لبث دسائس جديدة فزعم أحدهم وهو شخص يقال له باسيلى افندى بقطر كاتب الأورطة الأولى فى لادو ان هذه المنسوجات لم تأت من عند كباريجا بل هى آتية من قبل أمين بك و فيتا حسان . أما القول بأنها هدايا مرسلة من الملك المذكور فهذا ادعاء القصد منه حمل الجنود على المسير صوب الجنوب حيث يسلمون الى كباريجا ثمنا لمرور امين بك ، بل حدث ما هو أدهى وأنكى إذ تطرفوا وشطوا فى الادعاء فقالوا ان النسيج مسموم وأرسله أمين بك بقصد اهلاك ضباط الأورطة الأولى ومواراتهم عن الأعين . واحتفظ بكباشى الأورطة المذكورة ريحان افندى بهذا النسيج ولم يشأ أن يستعمله قط وأرسل واحدا من ضباطه وهو اليوزباشى على افندى سيد احمد الى أمين بك ليستعلم عن حوادث وادلاى ويفيده بالنتيجة .

تدمير الزنوج محطة بور وارسال حملة لتأديبهم

وان هو إلا أن سافر الوفد المرسل من كباريجا حتى قدمت باخرة من دوفيليه تحمل أخبار الخراب والدمار . ذلك ان محطة بور قد دمرها الزنوج فى آخر الأمر وان هذا التدمير حدث تماما فى اللحظة التى كانت فيها حاميتها على أهبة الذهاب الى لادو . ويظهر انه على الرغم من الأوامر الصريحة الصادرة من أمين بك لم يخطر ببال البكباشى قومندان لادو

أن يرسل جنديا واحدا الى بور ولكن عندما نزل القضاء ووقعت الواقعة بادر بارسال ٢٠٠ جندى بدون أن يكون من وراء ارسالهم أمل ما وبدون أن يحسب ان هذا العدد غير كاف .

ووصلت هذه الحملة الى بور بدون أن تصاب بضرر وغنمت بعض المؤن غير انها بدلا من أن تقنع بهذه الغنيمة وتعود توجهت شطر الشمال ولربما كان ذلك حسب أوامر البكباشى الآنف الذكر . ولدى وصولها الى بحر الزراف أحيطت بجموع كبيرة من الزنوج وأبيدت تقريبا .

وتمكن الى الآن ٤٣ جنديا فقط من المائتى الجندى المذكورين من الرجوع وكانت نتيجة هذه الكارثة ان ثار الباريون الذين ارتاحوا لوهن الحكومة وضعفها .

إيفاد امين بك فيتا حسان الى أنفينا
لاسترجاع الدكتور جونكر

وحاول أمين بك الاستفادة مما أبداه كباريجا من الاستعداد لاسترجاع الدكتور جونكر من لدى أنفينا حيث مر عليه ثمانية أشهر وهو عنده بدون أن يستطيع أن يقوم بحركة أو أن يرسل خطابا أو يصل إليه شىء من ذلك ، فعهد أمين بك الى الضابط سليمان افندى عبد الرحيم القيام بهذه المهمة فاستصحب هذا بعض الجند وشخص الى فودا Foda عاصمة ماجونجو ومحل وجود جونكر ، غير ان ما أبداه الأهالى من العداوة اضطره الى الرجوع من « خور جالوبا » Khor Galuba الواقع فى منتصف الطريق . ورأى عندئذ أمين بك أن

يكلف ضابط مراسلته عبد الوهاب افندى طلعت ومندوبه الأول احمد افندى رائف بهذه المهمة لكنهما أبيا القيام بها .

وقد طلب أمين بك من فيتا حسان أن يأخذ هو هذا الأمر على عاتقه فلبي الطلب وقام على متن الباخرة « نيانزا » فى ١٠ أكتوبر . ولكون غاطس هذه الباخرة كبيرا ولا يمكنها الوصول الى « تور » Tor اضطر فيتا حسان أن ينزل منها فى « فاكانجو » Fakango وسار فى طريقه هو و الجاويش عبد الجبار و جندى ظانا أنه ليس من أصالة الرأى استصحاب عدد كبير من الجند لأن ذلك لا يكون من ورائه غير لفت الانظار وزيادة الاحتراس بينما أن اثنين أو ثلاثة أشخاص يستطيعون السير بدون أن يراهم انسان .

وبلغ فيتا حسان فى ظرف أربعة أيام فودا عاصمة ماجونجو وفيها قابله الرئيس أنفينا ، وكان قد بلغه خبر قدومه ، عند باب داره ببشاشة وايناس أدهشاه . وكان الرئيس يرتدى ملابس غربية وطربوشا وحذاء حتى أن من رآه يخاله موظفا مصريا وهو لا يلبس هذه الكسوة إلا فى الاحتفالات الرسمية كاستقبال رسول من طرف الحكومة المصرية . ويتكلم أنفينا اللغة العربية باتقان بكيفية مكنت فيتا حسان من محادثته بدون احتياج الى ترجمان .

وقد أحضر أنفينا الى ضيفه قهوة وهذا أمر يقوم به عادة رؤساء الزنوج الآخرون .

ولا يمتاز رجال الماجونجو الذين يسكنون هذا القسم عن الأقوام الرحل

الآخرين الذين سبق وصفهم إلا بنظافتهم وكثرة استعمالهم الملابس . وأكثر ما يشتغلون به الفلاحة وقليل منهم يشتغل باقتناص الفيلة . وأهم أغذيتهم الموز ويحصلون عليه من مزارع لهم واسعة من هذا النوع . ولهم عادة تعد من أعجب العادات ذلك ان بنات ملك هذا البلد يملكن تماما بلا حياء أن لا يتزوجن . وهن مع ذلك غير ملزمات أن يبقين أبكارا لأن كل رجل يعجبهن يجب عليه أن يظل طوع ارادتهن غير انهن متى قضين منه وطرهن أمرن باعدامه حتى لا يستطيع الافتخار بما نال منهن من تنعم . ولا ينجو من الاعدام إلا من ساعده الحظ وانغرست محبته فى قلوبهن فهذا عندئذ يرفع الى مرتبة « ماتونجولى » أى وزير . وعدا ذلك فان الرئيس له وحده امتياز التزوج من اخته .

وكانت « فودا » التى يقيم فيها أنفينا نقطة مصرية فى السابق تابعة لمركز فوريا وأخليت فقط عند هجوم المهديين . ويشق هذه القرية نهير ويوجد على الضفة المقابلة مسكن الطبيب جونكر . وهناك على هذه الضفة أمر أنفينا ببناء مسكن فيتا حسان ولا يفصله عن المسكن الأول غير حديقة صغيرة . ورافق أنفينا فيتا حسان لغاية حافة النهر وأمر بانزال متاعه فى مركب ولم يبق فى هذا البر سوى بغلته .

وأحضر أنفينا خلال عبور الأمتعة مقعدين جلس هو و فيتا حسان عليهما متفيئين ظلال شجرة من أشجار التمر هندى وأخذا يتجاذبان أطراف الحديث . فسأل أنفينا فيتا حسان عن الداعى الى سحب الجنود من بلده قائلا ان وجودهم يحميه من غارات كباريجا الذى يخافه ويخشاه كثيرا . ورجاه أن يطلب من أمين بك باسمه رجوع الحامية وانه يتعهد أن يقوم بلوازمها .

وأردف أنفينا أنه كان دائما أبدا مخلصا للحكومة وانه ليس من العدالة في شيء تركه هكذا تحت رحمة كباريجا وأنه سيأتي بلا ريب يوم يندم فيه ذلك الملك بلده .

فهدأ فيتا حسان روع أنفينا وطمأنه من ناحية مقاصد كباريجا ووعده بأن يكلم أمينا بك في هذا الموضوع . ثم سلم عليه وعبر وحده النهير فوجد جونكر في انتظاره ولدى مقابلتهما صافح كل منهما الآخر معبرا عما يكنه له من الشوق وبعد ذلك وليا وجههما شطر منزل الطبيب .

وظل الطبيب جونكر في هذا المكان ثمانية أشهر لم يستطع في خلالها أن يرسل جوابا واحدا الى ساحل زنزبار . أما أوغندة فكانت في حرب مع ماجونجو ولم يكن في استطاعة انسان أن يجتاز أرض ملك أوغندة المدعو موانجا Mwanga وهو ابن متيسا الذى توفى وقد تولى عرش أوغندة بعد وفاة والده . ولقد جرب جونكر كل الوسائل للخلاص من هذا الأسر فلم تنجح منها وسيلة وكان يقضى أوقاته في فلاحة بستانه ومتابعة دروسه .

ارسال حامية من الجنود المصرية الى عاصمة ماجونجو

وبر فيتا حسان بوعده لأنفينا وكتب الى أمين بك ليرسل ثلة من الجنود الى فودا . ويقول فيتا ان الأيام التى قضاها في هذه القرية هي أطيب الأيام التى قضاها من حياته في السودان . وكان أنفينا يقدم لهما بانتظام الذرة واللحم وفى كل مرة يطلب منهما الالحاح على أمين بك بارسال حامية مصرية .

وفى نهـــاية الأمر أتى الى فـــودا فى أوائل ديسمبر ضابطان وهما سعيد افندى عبد السيد و بخيت افندى ومعهما ١٥ جنـــديا . وهـذا العــــدد الأخير من الجنود مكلف بالاقامة فى القرية السالفة الذكر بصفة حاميـــــة .

وفى ١١ ديسمبر بعد أن ودع فيتا حسان و جونكر أنفينا انطلقا فى السير مع الضابطين مولين وجوههم شطر فكواج Fakwadj الواقعة على بعد ١٥ دقيقة من بحيرة الـــبرت نيانزا فبلغوها بعد سفر أربعـــة أيام ونزلوا فى دار رئيس القـــرية منتظرين حضور الباخرة « الخديو » وقد وصلت فى اليوم التالى الموافق ١٦ ديسمبر وعلى ظهرها أمين بك . وعاد الجميع معا الى وادلاى .

ويقص لنا فيتا حسان قصة فى تدوينهـــا هنا شىء من الفائدة والفكاهة ، قال :

« مما يلفت الانظار ان أسماء القرى الكبرى الواقعة فى المنطقة التى بين النيل الأبيض ونيل فكتوريا ابتـــداء من دوفيليه لغاية بحيرة البرت نيانزا حيث توجد مساقط مورشيزون ، تبتدىء تقريبا جميعها بحرف « ف » وذلك مثل :

« فاديبك . فورا . فاتيكو . فالورو . فابو . فادوللى . فارابوجو . فاتانجا . فارادجوك . فارشيلا . فاتاجورا . الخ . . .

« وهـذه المماثلة فى بدء هـــذه القرى بحرف الفاء لم تأت عفـــوا فلقـــد حفظ الأهالى سيرة عجيبة بصدد هـــذه المسألة تلقاها الخلف عن

السلف . ذلك انه فى زمن بعيد جدا ظهر فى تلك المنطقة شيخ من شيوخ العرب ومن أولياء الله الصالحين . ولم يكن معه من الأتباع سوى رجل واحد من المؤمنين وكان كل ما لديه من السلاح فرع أخضر يستعمله كمنسأة يتوكأ عليها . ورأى الأهالى فى ظهور هذا الرجل الأبيض الذى لم يسبق لهم أن رأوا مثله آية من الآيات ومعجزة من المعجزات . ولم يلبث أن صار موضع إعزاز الأهالى واحترامهم بحسن سلوكه وطيبته وصلاحه . وكان ذلك الشيخ يعرف كيف يتوصل الى إفهام الأهالى ما يريد افهامهم إياه وكيف يطفىء جذوة حدتهم عند المخاصمات وكيف يصالحهم . فقدر له الناس صلاحه حق قدره الى أن علا صيته وشاع وذاع وملأ الاصقاع وصارت كلماته لها منزلة الوحى المنزل .

« وكان الشيخ فرج ، وهذا هو اسمه ، ينبىء الأهالى بأنه سيأتى يوم يظهر فى هذه البلاد اناس بيض نظيره ويوصيهم بمقابلتهم كاخوان لا كأعداء (وربما كان يلوح الى المصريين) . ولكيلا تمسى تعليماته نسيا منسيا كان يضيف على اسم النواحى التى يمر بها أول حرف من حروف اسمه وهو الفاء . وقال للناس ان أسماء هذه النواحى يجب ان تذكركم على الدوام بالشيخ فرج وتعليماته حتى لا تكونوا سببا فى حدوث أذى يلحق باخوانكم البيض عندما يأتون .

« فاذا سألت من أين أتى هذا الشيخ ومن هو والى أين ذهب فلا تجد مجيبا . وان الذين بلغوا من الكبر عتيا هم وحدهم دون سواهم الذين ادعوا ذكر ولى مر ببلدهم مرور الطيف ولكنهم لا يعطونك من أوصافه شيئا غير أمره الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر » .

حوادث المديرية اثناء غيبة فيتا حسان

أما الحوادث التي وقعت في المديرية خلال غياب فيتا حسان عن وادلاى فها هي :—

في ١٤ اكتوبر وصلت الباخرة « الخديو » الى وادلاى على حين فجأة قادمة من دوفيليه وذلك في الساعة التاسعة والنصف مساء وجاء معها الخبر الآتي وهو :

انتقل ريحان افندى الى غندوكورو في ٢ أكتوبر ليتفقد فيها أشغال الدفاع الجارية بها . وفي ٤ منه ورد له خطاب من اليوزباشى محمود افندى العجيمى أخبره فيه انه عند بزوغ الشمس نبهه رئيس تراجمة البارين الى ما يأتي :

ان رئيسى البارين المقيمين بجوار المحطة وهما وادمارى Wad Mari و واديانجا Wad Ianga أخذا أبقار الحكومة ليلا ونشرا هما وأتباعهما راية العصيان . وبعد ذلك بساعتين هاجم جمع غفير من الزنوج محطة لادو فصوبت عليهم ثلاث طلقات من أفواه البنادق فولوا الأدبار غير ان لادو محصورة وجميع المواصلات مع الرجاف مقطوعة .

وقدم تراجمة البارين مبكرين وطلبوا ذخيرة فصرف لكل منهم ربطة بها عشرة مظاريف وذهبوا ليحضروا الى المحطة عشائرهم ومتاعهم غير انه لم يرجع منهم سوى أربعة رجال بسلاحهم وبعض رجال آخرين بدون سلاح .

وأخبر ترجمان ظل مخلصا للحكومة ان الذين قامـــوا بالهجوم على لادو و غندوكورو هم عشائر الشير Shirs ، و الدنكا Dinkas ، و النيامبارا Niambaras ، و الأليابا Elliabs ، الذين انضموا الى الباريين . ويقول ريحان افندى علاوة على ذلك ان الرئيس بافو Befo كان روح العصابة وان هذا الرئيس من البالنيان Belinien . فأرسل أمين بك فى الحال ضباطا مزودين بالتعليمات اللازمة وأرسل معهم المؤونة الكافية برسم لادو و الرجاف وهى عبارة عن ١٥٠٠ اردب تقريبا إذ أن الباريين أرسلوا أولا الحبوب الى الحكومة وبعد ذلك ثاروا .

وفى ١٨ أكتوبر قدم اناس من قبل كباريجا بقيادة أمسيجى Msigi ترجمان أمين بك سابقا وكانت مأموريته هذا تنحصر فى أن يتأكد اذا كان رئيس الأتراك (أى المصريين) هو نفس صديق كباريجا قديما أى أمين بك وانه اذا وجده هو بعينه يضع نفسه فى خدمته . أما اذا ظهر له عكس ذلك ينقلب راجعا لأن كباريجا لا يريد أن يكون له صلة ما بالحكومة .

وقص أمسيجى على أمين بك ان موانجا ملك أوغندة الجديد أعدم سائر كبار الرجال الذين كانوا فى بلاط أبيه ولم يستبق منهم إلا صديقه الوزير الأول . وان أربعة من الأجانب نزلوا فى أوغندة وان العلائق بينها وبين الأونيورو متوترة ولكن السلع ما زالت تغدو وتروح بدون أدنى عائق حتى ان العرب يصدرون ويستوردون البضائع والمراسلات من غير ارهاق ولا اعنات .

وهمس أمسيجى فى أذن أمين بك ببعض تعليمات سرية فحواها ان كباريجا يعرض عليه أولا ان ينتقل هو ورجاله إليه وذلك عند مسيس الحاجة أو ان يقدم له الوسيلة بان يجتاز بلده متجها نحو الجنوب . وكان يعلم امين بك ان فى هذا الأمر سرا غامضا وان وراء الأكمة ما وراءها .

ومن حوادث المديرية أيضا ان اليوزباشى على افندى سيد احمد الذى أرسله ريحان افندي الى وادلاى ليتصيد الأخبار كما ذكرنا قبلا ، سافر منها راجعا فى ١٤ أكتوبر وبلغ الرجاف فى ٢٤ منه ووجد الطريق مسدودة من اسبوعين بين لادو و الرجاف و غندوكورو فطلب ١٠٠ جندى وذخيرة . واختفى تراجمة الرجاف كافة وأخذوا معهم اسلحتهم وظل الرئيس لاكى Laki وحده على عهده مع الحكومة والله يعلم الى متى يظل محافظا على هذا العهد .

وفى ١٤ اكتوبر كتب ريحان افندى ان الباريين جددوا غاراتهم وانه لو تراءى ان لادو فى غير استطاعتها الثبات تتراجع حاميتها الى الرجاف . وان الطريق في جنوب هذه الناحية خالية للرائح والغادى لغاية هذا اليوم .

وفى أول نوفمبر أرجع امين بك رسل كباريجا على متن باخرة الى محطة كيبيرو Kibiro الواقعة على بحيرة البرت نيانزا بعد ان زودهم بالهدايا والخطابات واصبح الآن كل شىء معلقا بحسن ارادة كباريجا ولكنه اذا رفض وآل ذلك الى الفشل يقول امين بك انه يبقى لديه وسيلة ارسال ١٥٠ جنديا الى أوغندة عن طريق مرولى حتى لو دعت الحالة

الى استعمال القوة .

وفى ١٧ نوفمبر وصلت الباخرة « الخديو » فى البكور الى وادلاى آتية من دوفيليه وبها خطابات من على افندى سيد احمد فى الرجاف علم منها ان الرئيس لاكى انضم الى الثائرين ، وعلى هذا أمسى بلد البارين برمته متمردا حاملا راية العصيان ، وان لادو ما زالت محصورة وان جمعا غفيرا من السود البارين و الدنكا هاجم الرجاف فصد بعد ان منى بخسارة قدرت بـ ٥٠٠ قتيل وكثير من الجرحى ، وان الزنوج قاموا بهجوم آخر فصدوا ايضا بخسائر فادحة وان الرجاف محصنة تحصينا منيعا وممونة تموينا حسنا وعلى ذلك تعد كل هذه الغارات تافهة ولا يؤبه لها . وأرسل امين بك نجدات وكرر أوامره بصدد انسحاب الحامية .

وكان أمين بك قد أرسل ثلة من الجنود كما ذكرنا قبلا لينشىء محطة فى فودا لدى انفينا وأرسل معها حمالين ليعودوا بجونكر و فيتا حسان . وكان الأول قد فشل فى مأموريته وهى فتح باب المفاوضات مع زنزبار عن طريق أونيورو و أوغندة ثم علم فى ١١ ديسمبر بوصولهم الى فاجانجو Fagango الواقعة على شاطىء بحيرة البرت نيانزا فأقلع فى الحال على ظهر الباخرة « الخديو » للاتيان بهم ورجع هو وهم الى وادلاى .

وفى ١٥ ديسمبر قدمت الباخرة « نيانزا » الى وادلاى آتية من دوفيليه ومن اخبارها ان جنود الرجاف قاموا بغارة كللت بالنجاح وغنموا فيها من البارين كثيرا من الانعام .

وفى ٢٣ منه قدم الى وادلاى جماعة كباريجا الذين كان أنيط بهم

مرافقة الطبيب جونكر الى أونيورو . وكانوا يحملون خطابا من ملكهم الى أمين بك يقول فيه ان سبب تأخير أولئك الجماعة هو عدم وجود سلع لدى العرب على ان أمينا بك علم انه لم يرخص لتجار زنزبار بالذهاب الى وادلاى .

وقرر جونكر السفر فى الحال الى أونيورو وان يحاول الذهاب منها الى أوغندة ومنها الى زنزبار . وعين أمين بك فيتا حسان وكيلا للحكومة لدى كباريجا وأصدر له أمرا بالسفر مع جونكر .

وكان جونكر محتاجا الى شىء من النقود ليدفع أجر خادمة حبشية وهى أرملة ضابط خطرى . وكانت هذه الخادمة فى بادىء الأمر فى خدمة ماركوبولو . هذا عدا احتياجه الى شراء ما قد يطرأ عليه من اللوازم خلال السفر . ولما فاتح فيتا حسان بما هو فيه من الحيرة أشار عليه بأن يخاطب فى ذلك حواش افندى لأنه سخى وكريم فلا يبخل بشىء ثم انه الوحيد فى المديرية الذى يملك نصابا كبيرا من النقود .

وكان حواش افندى يملك عددا كبيرا من الرقيق يستخدمه فى كل أنواع الاعمال مثل زراعة البصل والقطن وصناعة الدامور والاحذية وكانت قطعانه العديدة تستطيع ان تفى بالشطر الأكبر من حاجات المديرية بل تأتى له بقدر طائل من الايرادات .

وكان حواش افندى من جهة اخرى ليس بالرجل الشحيح ولا من أولئك الذين تأبى نفوسهم اسداء المعروف ولا يمكنه أن يرفض شيئا يطلبه صديق له لاسيما إذا كانت المسألة مسألة دراهم والطالب

جونكر الذى تربطـــه وإياه رابطة صداقة متينة وله فى نفسه منزلة سامية . فوضع حواش افندى بسرور مبلغ سبعمائة ريال تحت أمر الطبيب جونكر وتعهد هذا ان يدفعه لاسرته عندما يصل الى القاهرة .

واتفق جونكر و فيتا حسان على ان يقيما وليمة وداع لأمين بك و كازاتى ولـكبار الضباط والموظفين فى وادلاى . فأكلوا هنيئا فرحـين إذ كان يخامرهم الأمل بأن يفتحوا طريق الاتصال بالعالم المتمدين .

١ — ملحق سنة ١٨٨٥ م

رحلة الطبيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء (١)

القسم السابع

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

تموين محطة بور وارسال حملة لانقاذها

قرر أمين بك فى مستهل هذا العام إرسال حبوب الى بور لتموينها واستدعى على افندى سيد احمد من الرجاف سريعا ليختار الضباط والعساكر اللازم اشتراكهم فى الحملة التى عزم على إرسالها الى بور لانقاذ من بقى بها على قيد الحياة فشحن بمركبين ٤٠ اردبا من الحبوب وأنزل بهما ٤٠ جنديا بقيادة ضابط معه عثمان افندى لطيف مأمور المديرية . وتقضى الأوامر الصادرة اليهما انه اذا رؤى ان حامية هذه المحطة فى غير استطاعتها أن تثبت زيادة عما مضى يجب عليها عندئذ اخلاؤها والرجوع الى غندوكورو برا . أما الامتعة والمرضى فينقلون بالمركبين . وبعد أن زودت الحملة بهذه التعليمات اتخذت طريقها فى اليم .

وكانت الأخبار قد انقطعت عن أمادى مدة . وكانت حاميتها فى ذلك

(١) — راجع الجزء الثالث من كتاب « رحلات فى افريقية » للطبيب جونكر .

الوقت مؤلفة من ٥٠٠ جندى مسلحين ببنادق رمنجتون . أما قوة العدو فكانت غير معلومة إلا أنه يؤخذ من الاشاعات الذائعة أنها مؤلفة من رجال عبد الله و على كركوتلى ويمدهم العرب الذين فى الناحية وهذا كل ما لديهم .

إنذار عثمان أرباب أمينا بك بأخذ أمادى

وبعد الانتظار وصلت مكاتبات من أمادى فى أوائل شهر ينـاير . ووردت ايضا خطابات من عثمان ارباب بمعسكر الشوار يقول فيها انه عاد من بحر الغزال ومعه ٤٠٠ مقاتل ويصرح فى عبارات سداها ولحمتها التعصب بأنه صار من كبار انصار المهدى ويبدى دهشته من انه حين رجوعه وجد اخوانا يقتتلون ويصرح فيما يتعلق بشخصه بأن مقاصده سليمة وينذر أمينا بك بعد ذلك بأنه اذا لم يأت اليه فى ظرف عشرة أيام لوضع حد لسفك الدماء فانه يستولى على أمادى برجاله .

ومما قاله انه ما كان ينتظر ان يلاقى الحرب ولذلك لم يحضر إلا ٤٠٠ رجل غير انه عند الحاجة يرسل بلا توان ٢٠٠٠ مقاتل من جور غطاس .

وورد كذلك عدة رسائل من الثائرين لموظفى المديرية يحرضونهم فيها على الانضمام الى المهدى ورسالة من الأمير كرم الله يقول فيها ان المهدى نازل امام الخرطوم .

رد أمين بك على عثمان أرباب

وعلى أثر ورود هذه الأخبار بعث امين بك برسل ليستدعوا على افندى السيد احمد من الرجاف و احمد افندى محمود من مكراكا .

وهذه اجابة امين بك لعثمان أرباب :—

« ان الذين أضرموا نيران العداوة هم العرب أنفسهم وان الموقف تغير تغييرا كبيرا بهرب ابراهيم افندى جورجورو وفرار العرب . وانه هو — أى أمين بك — لا يمكنه أن يبارح المديرية وانه ينذر عثمان ارباب بصفته مرءوسا له بأن يحضر للمثول بين يديه فى لادو » .

موقف المديرية واستعدادها للطوارىء

أما الموقف فى المديرية فى ذلك الوقت فكان كالآتى :

أخلى قسم كبير من المديرية وحشدت الحاميات التى كانت مرابطة به فى المحطات المهمة لأن هذه الحاميات لم يكن فى استطاعتها وهى على ما كانت عليه من التشتت أن تثبت فى اماكنها فى الظروف الحاضرة . وريحان افندى الذى كان يرتقب يوميا مجيئه من ممبتو ليذهب ويتولى القيادة فى مكراكا لم يحضر بعد . أما المائة الجندى النظامى الذين سيحضرهم معه فسيرسلون الى أمادى . واذا رؤى انه فى غير حيز الاستطاعة ابقاء قاعة المديرية فى لادو عندئذ يكون من الأفضل اخلاء هذه المحطة فى أقرب وقت ممكن من اللكيين ، وان لا يترك فيها إلا حامية عسكرية كما تراءى ذلك فى العام الماضى .

والظاهر ان هذا الرأى الأخـــير أقرب الى الصواب لأنه لو حصل انسحاب من أمادى يعقبه فى الحال قحط فى الحبوب فى لادو . وهـذه المادة نقص الوارد منها الى لادو نقصانا بينا منذ ظهر العدو أمام محطـة أمادى . أما عن مقـــدار الحبوب الذى يمكن استيراده من مكراكا فهذا لا ينبغى التعويل عليـه لو سقطت أمادى . وكان من الضرورى التراجع الى المحطات الجنوبيـــة لأنه لم يكن فى حيز الامكان اخلاء محطات دوفيليه و وادلاى و فاتيكو لوجودها فى قلب بلد غنى بحاصلاته من الحبـوب لاسيا المحطة الأولى إذ أن بها الترسانة النيليـة والباخرتين « الخـديو » و « نيانزا » اللتين هما روح المديرية ولا يمكن ان يحدث مثل هذا الاخـلاء إلا عند الضرورة القصوى . أما لو حـدث شىء كهذا من باب الاتفـاق عنـدئذ يجب الرجـوع الى احتلال محطات الجنـوب التى تركت ونقل قاعدة المديرية الى ماجونجو (١) حتى يكون فى الاستطاعة الاتيان إليها بالباخرتين المذكورتين . وهذا وان كان يستلزم كثيرا من المشاق فى نقل الأهالى من مدنيين وعسكريين لكثرة عددهم لـكن فيه من جهـة اخرى امتياز وجـودهم فى بلد مصاف للحكومة لأن أنفينا طلب من أمين بك احتـــلال بلده وكرر هذا الطلب . وعـدا ذلك فانه من المحتمل بل فـوق المحتمل ان المهديين لا يتتبعونهم لغاية هـذه النواحى القصية . تلك هى آراء أمـــين بك يشاركه فيها أيضا جونكر مشاركة تامـــة .

ونقل رسل انفينا الذين كانوا قد قدمـوا للمرة الثانية ان الخطابات التى سلمت اليهم ما أمكن ارسالها الى متيسا و المبشرين المقيمين عنـــده وذلك

(١) — عند مصب النيل فى بحيرة البرت نيانزا .

بسبب عدوان كاميزوا Kamiswa وان هذه الخطابات ما زالت عند رئيسهم انفينا .

وقدوم رسل انفينا هذا بعث فى نفس جونكر فكرة سفره صوب الجنوب هذه الفكرة التى كانت خامرته قبلا ولذا استبقى هؤلاء الرسل فى لادو بغية السفر معهم .

وشرع أمين بك فى تنفيذ مشروعه فأرسل الى لاوريه و دوفيليه عدة شحنات من الأمتعة . وبعد بضعة أيام جاء على افندى سيد احمد الى لادو وأتى توا على اثره فيتا حسان من أمادى . ولم يأت هذا الأخير بأخبار كثيرة لم تكن معلومة من قبل . وأبلغ عن كثير من الخرق فى الأعمال وسوء التصرف الذى شاهده وكان هذا سببا فى ارسال خطاب تعنيف الى مرجان افندى وتغيير كتبته .

وروى فيتا حسان انه وان كانت حامية أمادى مؤلفة من ٥٠٠ جندى فلم يكن أمامها سوى ٣٠٠ من الثوار وان جميع التقارير التى أرسلت قد بالغ فيها عمدا الكاتب عثمان افندى .

وجمع أمين بك كبار الموظفين وأحاطهم بخطته وترك لهم الخيار فى ارسال أمتعتهم فى الحال أو تأجيل ذلك إلا انه صرح لهم بأنه قد يحتمل ان يتمكن فيما بعد ان يجد لهم حمالين . أما جونكر فحزم متاعه وأرسل بعضه وانتظر مجيء كازاتى و احمد افندى محمود من مكراكا المرتقب وصولهما يوما بعد يوم لكى يستقى منهما الأخبار .

وفى ٢٠ يناير وصل كلاهما ومعه توابع كثير عديدهم . وأيد احمد افندى محمود أقوال كازاتى بأن الحالة فى مكراكا ليست مرضية إلا قليلا وأنه لغاية سفر جونكر لم يكن ريحان افندى قد بارح ممبتو ولم يكن قد جمع السلاح من العرب النازلين فى المحطات النائية ، وان هؤلاء لا ينوون تسليمها لأنهم يجنحون للثورة وانه من المحتمل ان يغيروا على المحطة قريبا .

أما فيما يتعلق بأمادى فان مرجان افندى لا ينفك يطلب لها ذخيرة على انه يوجد فى المستودعات حسبما هو مسطور فى الدفاتر ١٠٠ر٠٠٠ مظروف وانه لم يقع حول المحطة وقائع هامة . والظاهر ان مرجان افندى لم يكن أهلا للمهمة التى ألقيت على عاتقه رغما عن كونه اشترك فى حرب المكسيك . وفوق ذلك فانه يصرف همه فى تعاطى المسكرات ولكونه أميا يجهل القراءة والكتابة كان الكتبة لا ينفكون عن أن يلعبوا به . ونظرا لهذه الحالة قدم احمد افندى محمود نفسه للذهاب الى أمادى مع انه لم يسترح من وعثاء السفر فى مكراكا لكى يأتى بمعلومات صحيحة لأمين بك عن الحالة السائدة فى تلك المحطة ، وسافر فعلا .

سفر جونكر الى لانوريه

ظل جونكر بعد ذلك عدة أيام مع كازاتى ثم سافر من لادو فى ٢٦ يناير . وكل من كان عليه أن يبقى بها سار معه الى ما بعد الباب الكبير . وبعد ان صافح الجميع ـ وقد صافح أغلبهم مصافحة الوداع الأخير ـ امتطى حماره ولحق بحماليه .

وتسلم جونكر اشياء كثيرة منها ١٥ حملا من امين بك و ١٠ من علي افندي سيد احمد ، وهذه الأشياء يجب توصيلها الى لابوريه . وتسلم كذلك كمية من الرسائل برسم تصديرها ان امكن الى زنزبار ومنها الى القاهرة . وسلمه امين بك ايضا تقاريره لترسل الى الوزارة في القاهرة وخطابات برسم المبشرين في أوغندة وبرسم شوينفورث Schweinfurth في ديار مصر .

وأخذ جونكر من الرجاف حملين من الملح لأن هذه المادة مطلوبة كثيرا في البلاد الجنوبية . وفي هذه المرة قطع المسافة بين بيدن و كري برا لأن السفينة التي سافر عليها في المرة الأخيرة قد غرقت ومع انها انتشلت كان لا يرجى منها نفع في ذلك الوقت .

وكان جونكر قد عقد النية على أن يقيم يوما في كري عند احمد افندي الاسيوطي الذي أكرم مثواه عند زيارته له في رحلته الأخيرة . وبما ان احمد افندي المذكور كان قد انتقل الى محطة موجي فقد استمر جونكر آخذا في السير وعندما وصل الى هذه المحطة علم ان ابراهيم افندي حليم قد استدعاه في لابوريه لأن هذا كان قد صحت عزيمته على القيام بغارة . وبعد أن قضى في هذه المحطة الليل انطلق في سبيله .وعندما بلغ لابوريه استقبله هذا الضابط وأنزله في ديوانه .

سفر جونكر الى دوفيليه

أقام جونكر في لابوريه يوما وأحاط الضابطين بما حدث في لادو كما أبلغهم الأخبار التي جاءت اليها . وتسلم ابراهيم افندي حليم الاحمال

التى أرسلها أمين بك و على افندى سيد احمد الى جونكر . وبما ان حواش افندى كان قد اصدر الى ابراهيم افندى حليم أمرا بأن يحضر مع جونكر الى دوفيليه فقد سافرا معا ووصلا أولا الى خور ايو وقضيا فيها الليل فى ضيافة قائد المحطة مصطفى افندى .

وفى ٣ فبراير سافرا من خور أيو وبلغا دوفيليه . وكان حواش افندى وقتئذ غائبا فى وادلاى ولعدم وجود باخرة اضطر جونكر أن يقيم فيها لغاية ٩ فبراير .

وكثرت عليه خلال اقامته طلبات الموظفين الذين يريدون مرافقته بصفة كتبة لأن أمينا بك كان قد سمح له بقصد تسهيل مأموريته أن يأخذ معه الموظف الذى يريده . وكان فيتا حسان مستعدا لمرافقته ثم قدم عبد الوهاب افندى لهذه الخدمة وفى نهاية الأمر استقر الرأى على انه اذا جرت الأمور فى مجرى غير حسن يسافر معه حواش افندى الى زنزبار وبعدها الى القاهرة .

وطلب أيضا احمد افندى رائف استخدامه بصفة مندوب فوق العادة لأنه كان يخشى كثيرا أن يقع فى مخالب الثائرين ولكن جونكر رفض طلبه لشدة خوفه وجزعه . وتظلم الكاتبان القبطيان باسيلى افندى و توما افندى له من سوء معاملة حواش افندى لهما وطلبا السفر معه مصحوبين بزوجتيهما القبطيتين فقبل جونكر ذلك فى بادىء الأمر ولكنه عدل واستقر به الرأى أخيرا على ان لا يأخذ معه احدا .

ووصلت فى نهاية الأمر الباخرة « نيانزا » من وادلاى بدون أن

يكون فيها حواش افنـدى وعلى ذلك رجع ابراهيم افندى حليم الى لابوريه وأراد جونكر أن يعجل بالسفر ولكنه استحـال عليه أن يسافر قبـل ٩ فبراير . وكانت الباخرة مقلة عددا كبيرا من الركاب وليس بها غرف للمسافرين إلا أنه عندما وضع قدمـه على ظهرها تخيـل له انه وضعها فى أرض المدنيـة . وتسلم من دوفيليه كثيرا من الخطابات برسم القاهـرة والخرطوم وهـذا مـا زاد فى حجم طـرد البريد الموكول اليه توصيله زيادة كبرى .

سفر جونكر الى وادلاى

استمر السفر فى أول يوم الى ساعة متأخرة لأن قاع النهر كان مأمونا ومعلوما تماما . ووقفت بهم الباخرة جملة مرار لأخـذ الوقود الذى أحضره الأهـالى الخاضعون للحكومة . وكانت محطة أبى نخرة القائمة على الضفة الغربية فى نصف الطريق بين دوفيليه و وادلاى والتى بنيت فى العام الماضى قد أخليت وتركت .

وفى اليوم الثانى وصلت الباخرة الى وادلاى بعد الزوال . وكان حواش افندى هناك وكان قد أرسل ١٧٥ جنـديا ليقوموا بغارة فى أرض الماديين ابتغاء الحصول على مغانم من الأنعام . وهذا العـدد يؤلف أكبر قسم من الحامية .

وكانت وادلاى قائمـة على هضبـة فى الضفة الغربية مشرفة على بلد اللور الواقع فى الجنوب على امتداد النهر .

وكانت المحطـة مكتنفة بالمتاريس وقلاع من الأتربة مثل دوفيليـه .

وتمت هذه الأعمال فى الشهر الأخير . وكان الزنوج فى النواحى المجاورة يعرفون حق المعرفة انه من سنين مضت لم ترد أية باخرة من الخرطوم وكانوا يشاهدون المحطات تترك الواحدة تلو الاخرى ولا يخلو الأمر من ان هذا يدع أثرا سيئا فى نفس الأهالى من جهة الحكومة أو يستنتجون منه ان يومها مالت شمسه الى المغيب وعلى ذلك يرفضون الدخول فى خدمتها بل يثورون فى بعض الأحوال .

سفر جونكر الى كاميزوا لتسهيل طرق المواصلات مع أوغندة

وكان من الواجب على جونكر أن ينتظر الى حين رجوع الجنود الذين كانوا قد ذهبوا لشن الغارة إلا أنه مرت الأيام تترى ولم يحضروا بل أذيع انهم ذهبوا بعيدا عما كان مقررا فى الخطة التى رسموها أولا . وعلى ذلك أدرك حواش افندى ان جونكر لا يستطيع الانتظار أكثر مما مضى وقرر تسفيره بالباخرة « الخديو » إلى نقطة يقال لها « خط الطور » ومنها يسلك برا الى أن يصل الى محل اقامة أنفينا وان يؤلف حرسه من بضعة جنود وتراجمة ويأخذ معه حمالين من « اللوريين » . وركب قسم من أعضاء هذه الحملة فى الباخرة والقسم الآخر فى مركب حديدى قطرته الباخرة . وكان لهذا المركب أهمية خاصة لأنه احد المركبين اللذين طاف عليهما جيسى حول شواطىء بحيرة البرت نيانزا لأول مرة .

ورفعت الباخرة « الخديو » مراسيها فى ٢١ فبراير وكانت أكبر من الباخرة « نيانزا » وبها معدات للراحة أكثر منها أيضا وكان بها غرفة صغيرة أقام بها جونكر . وكان منسوب ماء النهر قد هبط هبوطا

كبيرا وبعد أن سارت الباخرة زمنا أمسى غور الماء قريبا جدا وتعذر متابعة السير وعلى ذلك قرر الربان الرجوع الى وادلاى ولكن جونكر أمر بوقفها على مسافة بضع ساعات من المحطة ونزل الى البر بقصد متابعة السفر .

وفى ٢٢ فبراير انطلق فى السير مخترقا أرض الشولى ووصل فى ٢٧ منه الى النيل قرب محطة فودا التى كانت قد أخليت . وكان أنفينا ينتظره فيها هو وعدد من الرؤساء . وكانت سلطة أنفينا قد تضاءلت وضعفت ضعفا بينا بعد سفر العساكر لأن هؤلاء كانوا يحمونه من عنت كباريجا و كاميزوا واستبدادهما .

ودعاه خوفه من بطش هذين الجارين الى أن يرحل ويقيم فى جزيرة صخرية فى وسط النهر وابتعد عنه كثير من رعاياه وتركوه والباقى نزح الى الجزيرة وأقام معه فيها .

وفى ٢٧ فبراير عبر جونكر النيل ونزل فى محطة الحكومة القديمة وكانت الأكواخ قد احترقت إلا أن اثنين منها بقيا فى حالة حسنة فأتخذهما سكنا له .

وكانت مهمة جونكر الرئيسية تنحصر فى أن يعمل على مرور المراسلات التى معه الى أوغندة وتسهيل المواصلات معها وأن يتصل بكاميزوا بن ريونجا من أجل هذه الغاية . وكانت الخطابات التى أرسلت من لادو قبل ذلك بزمن ما زالت عند أنفينا ولم يقبل أحد أن يتكفل بنجاز هذه المهمة . وعلى هذا كتب جونكر الى كاميزوا خطابات يقول له فيها انه يريد الحضور عنده لزيارته ويطلب منه

المعونة لتسهيل سفره .

وفى ١٢ مارس أرجع جونكر الجنود الذين رافقوه فى رحلته من وادلاى وحملهم رسائل برسم أمين بك ولم يحجز إلا ترجمانين و ضابط صف يقال له عبد الرجال وقد عزم على ارجاعهم فيما بعد .

وفى ١٥ منه ورد رد كاميزوا بالسماح لجونكر بالحضور عنده إلا أنه يحظر على أتباعه أن يدخلوا أرض أنفينا . وعلى هذا قرر الانطلاق اليه وان كان لم يرتح لهذه الاجابة إلا قليلا .

وفى ٢٥ منه أرجع جونكر الترجمانين الباقيين عنده الى وادلاى واحتفظ بضابط الصف الذى كان قد اعتزم على ان يدعه فى المحطة مع متاعه عندما يسافر لزيارة كاميزوا وأرسل مع هذين الترجمانين خطابات لأمين بك وتبغا لفيتا حسان .

وفى ٢٧ مارس سافر ووصل الى حيث يقيم كاميزوا ولم يعترضه شىء فى طريقه ونزل فى كوخ كان قد أعد له . وقابل جونكر كاميزوا مرارا وعلم منه ان متيسا ملك أوغندة قد قضى نحبه وخلفه على العرش ولده « موانجا » وانه يوجد لدى هذا ثلاثة من البيض .

وحصل جونكر على وعد من كاميزوا بأن يتكفل بتوصيل المراسلات الى هؤلاء البيض وأن يرسل إليه الرد الذى يأتيه منهم عند وروده فى الحال .

وفى ٢ أبريل استأذن جونكر من كاميزوا وبلغ المحطة فى اليوم التالى وبادر

لدى وصوله باحاطة أمين بك علما بما عمله .

وقبيل منتصف شهر أبريل ورد إليه خطاب من وادلاى وطـــرد به ليمون إلا أنه لم يصل اليه شيء من أمين بك . ومما جاء فى هذا الخطاب انه ورد لحواش افنـدى وهـو فى لابوريه أمر بأن يرجـــع الى دوفيليـه ويؤلف بهـا على قـدم الاستعداد نجـــدة من ٢٥٠ جنديا ويسافر معهـــا الى أمادى .

سقوط أمادى وما جرى من الحوادث أثناء سفر جونكر

وفى ١٩ منـه وردت من أمين بك أخبـــار طويلة ومزعجة ذلك ان ما كان يخشاه الناس طرا قد وقع فعـــلا فأمادى سقطت وأمست فى قبضة الثائرين وان بعضـا من الجنود شق له طريقا بين صفوف الأعـــداء وهو يقاتل وتعلق بأذيال الفرار . وهاك ما حدث منذ أن سافر جونـكر من لادو فى شهر يناير من هذا العام (١٨٨٥ م) :

بعـد أن عاد عبـد الوهـاب افندى من بور يحمـل أخبـــار الخسائر التى لحقت هـذه المحطة أرسل عثمان افندى لطيف ومعـه مركبان مشحونـان بالحبـوب وبعض الجنود لنجدتها . ورجع هـؤلاء فى آخـر يناير وقـالوا ان الحاميـة استقر رأيها على أن تقاوم الى أن تأتيها امـــداد لترجعهـا الى غندوكورو وعـلى ذلك اجتمع سائر العساكر غـير النظاميين الذين فى المديرية تحت اشراف واد الملك الذى ذاع صيتـه من عهد سير صمويل بيكر وسافروا لاسترجاعها .

أما الأخبار الاخرى فـكانت مسطورة فى عدة مكاتيب نذكر كل واحد

منها بتاريخه وما حواه من الأنباء فيما يأتى :

فى ٢ فبراير كتب أمين بك ان سليمان افندى قام بغارة مع قسم من الحامية على زريبة الثائرين أمام أمادى ولدى اشتداد وطيس القتال سقطت قنبلة فى زريبة العدو فأحدثت بها حريقا وانفجر ما فيها من الذخائر فقتل عدد كبير من الأعداء وجرح عبد الله ومات بعد ذلك متأثرا بجراحه .

وفى ٢١ منه كتب أمين بك انه ورد له خطابات من مرجان افندى وضمنها نداء من المهدى كالنداء السابق ونداء آخر منه له يدعوه فيه الى الانضمام الى الأمير كرم الله . ورسالة من هذا الأخير يقول فيها لمرجان افندى انه قادم بنفسه الى أمادى ويطلب منه أن يسلم عاجلا . ويقول علاوة على ما ذكر انه استحضر معه ٢٠٠٠ مقاتل وانه من الواجب على مرجان افندى أن يخضع فى الحال بدون مخابرة أمين بك فى هذا الشأن .

وكتب عثمان ارباب الذى كان بصحبة الأمير كرم الله رسالة الى مرجان افندى أيضا بمبنى ومغزى الرسالة السابقة وجاءته رسالة اخرى من عثمان بدوى الذى كان سكرتير لبتون بك . وطلب مرجان افندى قبل كل شىء حبوبا و ١٠٠ جندى ليستطيع الانسحاب الى لادو .

وقال أمين بك انه أرسل عبد الوهاب افندى الى مكراكا ليرسل الحبوب وعين فرج افندى لمرافقة الجنود الى أمادى وان جميع الضباط الذين

فى هذه المحطة مؤيدون لخطة الانسحاب فى اتجاه الجنوب .

وفى ٢٧ فبراير كتب أمين بك ان الأمير كرم الله حاصر محطة أمادى من جهاتها الأربع وقطع عنها الماء وان الجنود حفروا بئرا فى داخل المحطة . وفى خلال ذلك كان فرج افندى قد سافر من مكراكا ومعه ٧٠ جنديا و ٥٠ قنبلة و ٥٥٠ حملا من الحبوب وبلغ الى مسافة ١٠ ساعات من أمادى من جهة لادو غير انه لم يتمكن من الانضمام الى مرجان افندى . وأرسلت فى الحال من لادو قوة مشكلة من ١٢٠ جنديا و الف حزمة مظاريف رمنجتون وقنبيلات وعدد من قاذفات اللهب لانجاد فرقة فرج افندى لأن الموقف فى أمادى أمسى ميئوسا منه واضطرت الحامية الى أكل جلود الأبقار ليطفئوا حرارة الجوع . وكان ريحان افندى قد وصل الى مكراكا قادما من ممبتو ومعه جنوده . وسافر أيضا من دوفيليه ضابط ومعه ٥٠ جنديا و ٥٠ بقرة لامداد فرج افندى . وكان حواش افندى قد وصل الى لادو قادما من دوفيليه ليلحق بالجيوش التى سافرت لأمداد أمادى ولكنه رجع الى دوفيليه على أثر الاضطرابات التى أذيع انها حدثت فى هذه المحطة الأخيرة .

وفى ١٩ مارس كتب أمين بك ان فرج افندى أخبره ان سائر الفرق انضمت الى بعضها وانه هو على وشك السير على رأس ٢١٠ من الجنود لمعاونة أمادى .

وفى ٢٣ منه ورد الى أمين بك خطاب من فرج افندى انه سار نحو أمادى وهاجم متاريس الثائرين ولكنه لم يستطع أن يتخطاها رغما عن استيلائه على ثلاث زرائب وانه اضطر أن يقاتل منسحبا وانه خسر

١١ قتيلا من بينهم ضابط من لادو يقال له ضياء افندى و ١٦ جريحا من بينهم فرج افندى إذ أصيب فى فخذه . وقال الرجل الذى أتى بهذا الخطاب علاوة على ما ذكر ان حامية أمادى خرجت لتنضم الى الفرقة المساعدة فلم تتمكن بسبب انسحاب فرج افندى بسرعة .

وفى ٢٧ مارس ورد خطاب من عبد الله افندى فحواه انه بذل مجهودا آخر بقصد نجدة أمادى وان هذه المحاولة فشلت كالمحاولة الأولى وان فرج افندى رجع الى مكراكا وان عبد الله افندى شرع بمعاونة ضابطين آخرين فى جمع العساكر والرجوع الى مكراكا .

وفى ٢٩ منه وصل الى لادو ثلاثة جنود من أمادى وقالوا ان العساكر الذين كانوا يموتون جوعا طلبوا بلجاجة مرارا من رؤسائهم لاسيما من مرجان افندى القيام بخروج فلم يلب أحد لهم طلبا وانهم فى نهاية الأمر تركوا المحطة بقيادة ضابط وشقوا لهم طريقا فى صفوف الأعداء ثم ولوا وجوههم شطر مكراكا . وانهم تركوا وراءهم فى أمادى ضابطين سودانيين و ١٥ جنديا جميعهم مرضى وانهم أخذوا معهم أسلحتهم وذخيرتهم وتركوا المدافع بقنابلها .

وفى ٣١ مارس ورد بريد الى لادو من مكراكا جاء فيه ان فرج افندى وجنوده قد وصلوا وكذلك عبد الله افندى والضابطان اللذان كانا معه وهما مرجان افندى و على افندى ومعهم ٢١٣ جنديا وذخيرتهم . وقدم أيضا من أمادى سليمان افندى و ٢٣ جنديا . أما مرجان افندى الدناصورى فقتل وقت الخروج وفصل رأسه وأرسل الى معسكر الثائرين ووصل ريحان افندى الى كابايندى وعينه أمين بك

قائدا لمكراكا .

وفى أول أبريل كتب أمين بك انه صرف النظر عن الانسحاب صوب الجنوب إذ أنه أذيع فى لادو ان النية عقدت على اقتياد الجنود فى ذلك الاتجاه وبيعها لملوك الزنوج هناك والتعلق بأذيال الفرار فيما بعد . ويعزون هذه النية الى أمين بك و جونكر و فيتا حسان . وان أمينا بك عقد اجتماعا تقرر فيه استدعاء جونكر وأخذ رأيه . وتقرر كذلك اخلاء فاتيكو ، و وادلاى ، و لابوريه ، و موجى والاحتشاد فى لادو ، و بور ، و مكراكا ، و غندوكورو ، و الرجاف ، و بيدن ، و كري ونبذت ظهريا مسألة طريق الجنوب مع انها كانت قد نالت الاستحسان فى بادىء الأمر .

وفى ١١ منه كتب أمين بك انه تلقى رسائل من الأمير كرم الله و عثمان أرباب من أمادى فذكر الأول ما وقع فى هذه المحطة وان مرجان افندى أبى أن يسلمها مع انه انذر خمس مرات ، ويستحث أمينا بك على الاتيان عنده هو و فيتا حسان و احمد افندى محمود والضباط مؤكدا له بأنه لا يمسه أدنى أذى أما إذا أبى فانه يأتى الى لادو فى عشرة أيام والمسئولية تقع على رأسه . وخطاب عثمان أرباب فى مبنى ومغزى الخطاب السابق .

والخطاب الثالث مرسل من العساكر الذين أخذوا أسارى من أمادى وهؤلاء يلقون كل الخطأ على عاتق الضباط ويقولون انهم اضطروا الى أكل أحذيتهم ويستعجلون أمينا بك فى التسليم . ويقول أمين بك ان سليمان افندى وهو من الضباط الذين نجوا من أمادى يوجه كل

اللــــوم فى سقوط المحطة الى الضباط الشبان الذين حرضوا العساكر على العصيان وانه هو نفسه كان آخر من هاجـــر من المحطة . وقال أمين بك علاوة على ذلك ان حواش افندى لم يقبل أن يترك فاتيكو ولا أن ينضم اليهم ويستعجله بالانتقـــال الى الجنوب . ويقول أمين بك ان تلبية طلبه أمر مستحيل نظرا لمسلك جنوده ولأن الضباط قدموا له التماسا يعربون فيه عن رغبتهم جميعا فى ابقاء لادو وانهم يأخذون على عاتقهم أمر تحصينها الى أن يصير فى حيز الامكان ايجاد طريق .

وفى ٢٥ أبريل كتب أمين بك يقـــول انه بعد أن زايلت الجنود أمادى احتشدت فى وانـدى وتتبعها المهـديون وأرسلوا اليها انـذارا يدعونها فيـه الى التسليم فلم تعبأ بانذارهم واستمرت فى الانسحاب فوصلت المقـــدمة بقيادة عبد الوهـاب افندى الى ريمـــو فى جنـوب وانـــدى فى ٦ أبريل ومعهـــا الجرحى والمرضى وانضمت اليهـــا المؤخـرة بقيادة ريحان افندى فى اليوم التـــالى . ووجـدت الجنود فى ريمـو الذخـيرة والنقود التى كان يلـزم ارجـاعهـــا الى لادو وتوقف رجوعهـــا لعـدم وجـود حمالـــين .. وكان بهـذه المحطة بلال افندى من كابابنـــدى و فرج افندى الجـوك من ممبتو .

وهاجم المهديون الذين كانوا يقتفون أثر الجنـــود المذكورة محطة ريمـو فصدتهم هذه بقيـادة ريحان افنـدى وحملتهم خسائر فادحـــة وقتلت منهم خلقا كثيرا واستولت على عـدد كبير من الأسلحة وكمية جسيمة من الذخائر وعلى علم واحد . وقد تعلق المهديون بأذيال الفرار وتتبعتهم الجنود مسافة عدة ساعات وقد أصيب فرج افندى يوسف بجروح بليغة ومات بعـــد أيام

متأثرا بها . وانسحبت الجنـــــود عقب هذا النصر الى محطة بيدن الواقعة على النيل منقسمة الى جملة فرق . وبلغ عدد الجنود الذين وصلوا الى هذه المحطة ٥٥٤ جنديا بما فى ذلك الجرحى .

وفى ٢٣ أبريل وصل الى لادو الجنـــــود الذين كانوا قد أعدوا لتقوية حامية هـــــذه المحطة وعددهم ١٢٣ جنديا ومعهم ريحان افندى وسليمان افندى وضباط آخرون كان قد استدعاهم امين بك ابتغاء فحص الموقف ووضع قرار بالخطة الواجب اتباعها .

وتلقى امين بك كذلك من الأمير كرم الله خطابا يخبره فيه بسقوط الخرطوم . ووردت اخبار سارة من بور ذلك ان المركب التى كانت قد أرسلت اليها فى ١٥ مارس عادت تحمل خبرا مؤداه ان الزنوج هاجموا المحطة فصدتهم الحامية وحملتهم خسائر فادحة .

وفى اليـــــوم التالى لوصول ريحان افندى أى يوم ٢٤ أبريل انعقد مجلس برياسة هـــــذا الضابط مؤلف من كازاتى و احمد افندى محمود و عوض افندى ومن ٦ من الضباط المصريين و ٦ من السودانيين . اما امين بك فامتنع عن الحضور . وقد وافق الجميع ما عدا الثلاثة الأولين على الانسحاب فى اتجاه الجنوب والاحتشاد فى دوفيليه ، و وادلاى ، الخ . . . وقال امين بك علاوة على ما ذكر انه على وشك الشخوص الى غندوكورو ليعد المعدات اللازمة للانسحاب .

ولم ينفذ مع ذلك هـــــذا القرار ولم تنسحب الجنود من لادو لأن المهديين الذين كان يظن انهم سيتابعون التقـــــدم بعد انتصارهم ويغيرون

على هـــذه المحطة انسحبوا بغتة لأسباب غـــير معلومة وارتـــدوا الى بحر الغزال .

وأحيط جونكر علما بالقرار الأول الخاص بالانسحاب نحـــو الجنوب وكتب له أمين بك انه أمر حـــواش افندى أن يرسل له حرسا ليأتوا به ثانية . وبما أن ذلك كان مناقضا لرأى جونكر رد عليه هـــذا بأنه يرفض العودة ويطلب منه أن لا يشغل نفسه به لأنه يريد أن ينتظر الرد على الرسائل التى بعث بها الى أوغندة ولهذا فرح فرحا جزيلا عندما علم بتغيير هذا القرار .

وفى ٢٦ مايو كتب أمين بك من موجى انه بلغ هذه الناحية وهـــو آخذ فى طريقه نحـــو محطات الجنوب وانه شرع ان يرسل اليه الكاتب سليمان افندى وبعض التراجمة ويرجـــوه الحضور لمقابلته عنـــدما يصل الى وادلاى .

وبعد انسحاب المهديين عملت الترتيبات اللازمة وذلك بالكيفية الآتية :

أن يبقى ٣ بلوكات فى لادو بقيادة ريحان افندى و بلوكان فى بيدن و بلوك ونصف بلوك فى كري وبلوكان فى لابوريه .

وكان على كركوتلى يتولى القيادة فى أمادى وعندما وصلت اليه الأخبار بسقوط الخرطوم أمر باطلاق ٢٥ مدفعا .

وكان الأمير كرم الله قد أقام حاميات فى جميع محطات مكراكا ثم رجع الى أمادى . وكان أكبر قسم من المهديين قد سافر الى بحر الغزال

والقسم الباقى يتأهب لاقتفـــاء أثره . وما كان يدرى أحـــد الباعث لهـــذا الرحيـــل الذى أتى فجـــأة فأنقذ المديرية حقـــا من شر غـــاراتهم .

وفى ١٠ يونيه كتب أمـــين بك من خور ايو انه هو و حواش افنـــدى حشدا جميع قـــوات المديرية وألفا منها أورطتين فى كل أورطة ٨ بلوكات وفى كل بلوك ١٠٣ من الضباط والجنود . وعين لقيادة الأورطة الأولى البكباشى ريحان افندى وصار توزيع قواتهـــا بين المحطات من لادو الى كري بما فيها هذه المحطة الأخيرة . اما الاورطة الثانية فعين لها حـــواش افندى وشرعت تحتل سائر المحطات القائمة جنوب كري . وشرع فى تصليح البنادق وباتمام ذلك يكون لدى الجنود ٢٥٠٠ بندقية صالحة للاستعمال .

وفى ١٠ يوليـــه وصل امين بك إلى وادلاى وأسس فيها قاعدة المديرية وكتب بذلك الى جونكر ولكن هذا كان قد دخل فى مكاتبات مع كباريجا ويرغب ان يبقى بعـــد ذلك مدة يحاول فيها الحصول على ترخيص له بالمرور أو بمرور خطاباته التى يريد ارسالها الى المبشرين الذين كان قد سمع انهم فى أوغندة .

وفى ٢٥ يوليـــه كتب امين بك من وادلاى ان حامية بور أخلت هذه المحطة ولدى انسحابها نحـــو غندوكورو أغار عليها الزنوج فـــلم ينج من جنودها البالغ عددهم ٥٤ جنديا إلا ١٣ جنديا لا غير . وان المسئولية فى هذه الكارثة تقع على ريحان افندى لاهمـــاله ارسال فرقة فى الوقت اللازم لملاقاة هؤلاء الزنوج رغما عن الأوامر المتكررة التى كانت صدرت له من أمين بك مع

أنه أرسل الآن ٢٠٠ جندى بقيادة فضل الله افندى .

وفى ١٦ أكتوبر كتب أمين بك من وادلاى ان الأهالى الباريين جميعهم شقوا عصا الطاعة وأضرموا نيران الثورة وانقضوا على لادو خلال غيبة ريحان افندى فى غندوكورو فصوب عليهم اليوزباشى محمود افندى العجيمى نيران المدافع واضطرهم الى الانسحاب ومع ذلك بقيت لادو محصورة ومنعزلة عن الرجاف إلا أنه يوجد فى مستودعاتها ١٥٠٠ اردب من الحبوب إذ أن الزنوج وردوا الحبوب قبلا ثم تمردوا . وان على افندى سيد احمد فى الرجاف يطلب ذخيرة و ١٠٠ جندى بصفة نجدة وان تراجمة هذه المحطة فروا جميعهم ومعهم أسلحتهم وانه لو أمست المقاومة فى لادو غير ممكنة عندئذ يصير إخلاؤها وحشد الجنود فى الرجاف .

وفى ٢١ نوفمبر كتب أمين بك من وادلاى ان الباريين بعد الغارة الأخيرة التى قاموا بها على لادو شنوا غارة اخرى على الرجاف وكان عدد المغيرين فى هذه المرة ٥٠٠٠ زنجى ولكنهم صدوا وبلغت خسارتهم ٣٠٠ من القتلى وكثير من الجرحى وأخمدت أنفاس الثورة تماما وضربت على الباريين غرامة فادحة ووردوها .

وانتظر جونكر لغاية أكتوبر بلا جدوى وبدون ان يفوز باشارة يستدل منها على امكان نيله مبتغاه وكان ينتظر كذلك بفارغ الصبر الرجال الذين كان امين بك قد وعده بارسالهم اليه . وبينما هو على هذه الحالة إذ أتاه خبر فى ١٧ أكتوبر ان فيتا حسان وصل الى ضفة النهر الأخرى فهرع جونكر لعبوره ورجع الى مسكنه بضيفه فرحا مسرورا برفيق متمدين يستطيع ان يطارحه اطايب الحديث .

وبعد ان أقاما معا لغاية آخر شهر نوفمـــبر وبعـد ان يئسا من الحصول على افادة من كباريجا مع طـول الانتظار استقر رأى جونكر على الرجوع الى وادلاى وعلى هذا رحل هو و فيتا حسان فبلغا النهر فى ٩ ديسمبر وأتى أمين بك على ظهر باخرة فى ١١ منـه لاستقبالهما وكانا قد أبلغاه خبر قدومهما ورجعوا معا الى وادلاى وفيها وجدوا كازاتى .

وفى ١٣ ديسمبر أى بعــــد وصولهم بيومـين الى وادلاى جاء اليهـــا حواش افندى من دوفيليه ليقـــابل امينا بك ورجع منها فى ١٧ منه مع جونكر الذى اقترض منه مبلـغ ٧٠٠ ريال لمصروفات سفره على شرط ان يدفعها لأسرة حــــواش افنـدى فى مصر عند وصوله اليها . وبعـد ان قبض هـذه القيمـة اشترى بعض المتاع وعاد الى وادلاى فى ٢١ منـه فدخلها فى اليـــــوم التـالى وفيها علم بوصـول وفد من قبل كباريجا وبالقـرار الذى أصدره امين بك بأن يرسل معـه فيتـــا حسان الذى سيكون بصفة وكيل رسمى للحكومة لدى هذا الملك .

عودة جونكر الى بلده

وانتهى جونكر من اعداد معـــدات السفر وكانت آخر ليلة من عام ١٨٨٥م هى ايضا آخر ليلة من ايام اقامته فى وادلاى . وجمعت الكل فى تلك الليـــلة حفـلة باهرة . وفى الغـد بعد ان ودع الحاضرين الذين لن يراهم بعد أجمل الوداع ركب هو و فيتا حسان متن الباخرة « الخديو » فأقلعت بهـما وأخذت تشق عباب الماء ووجهتها بحيرة البرت نيانزا .

وفى ٤ يناير من عام ١٨٨٦ م بلغا كيبيرو القائمة على الضفة الشرقية للبحيرة

وهناك نزلا وقفلت الباخرة راجعة الى وادلاى . أما هما فاتخذا سبيلهما برا وسافرا معا إلى أونيورو وبعد ان أقاما شهرا تقريبا فى هذا البلد افترقا من بعضهما فسافر جونكر الى أوغندة ورجع فيتا حسان الى كيبيرو .

وأقام جونكر مدة فى أوغندة وشخص منها الى زنزبار فدخلها فى اول ديسمبر سنة ١٨٨٦ م وأقلع من هذه المدينة فى ٢١ منه ووصل الى عدن فى ٣ يناير سنة ١٨٨٧ م ووصل الى السويس فى ٩ منه ومن هذه انتقل الى القاهرة حيث أقام لغاية شهر مارس لكى يقابل استانلى الذى سيتولى قيادة الحملة المزمع ارسالها على ما يقال لاغاثة امين بك مع أنها فى الحقيقة كانت مرسلة لاقتلاعه من مديريته واخفاء آخر أثر من آثار مصر الرسمية وذلك لفتح الطريق لغيرها ممن يرنون بعين الطمع الى تلك الاصقاع من زمن بعيد وهم أولئك الذين انتهزوا هذه الفرصة مسرورين كل السرور ليشبعوا بطونهم ويشفوا امراض مطامعهم بالحاق الضرر بمصر .

وبعد ذلك بارح جونكر بلاد مصر وولى وجهه شطر بلده بعد ان غاب عنه ثمان سنوات .

٢ — ملحق سنة ١٨٨٥ م

رحلة اليوزباشي كازاتى في مديرية خط الاستواء

القسم السادس

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

استيلاء المهديين على أمادى

لم يكن طالع عام ١٨٨٥ م أحسن حالا من العام الذى سبقه إذ كانت أخبار الخرطوم قد انقطعت ولم يعد بعد إلا قليل من الأمل فى الحصول على معونة .

والوفد الذى أرسل الى الأمير كرم الله انضم الى العدو . وكتب عثمان ارباب وهو من أعضاء الوفد فى ٦ يناير انه جاء أمام أمادى ومعه ٤٠٠ جندى وانه فى انتظار ورود امداد وانه يقدم النصح بالخضوع ويتكفل باقتياد الجنود والموظفين الى ديم سليمان لتقديمهم للأمير كرم الله . وحدثت ثلاث وقائع فى أمادى ولم يأت منها فائدة تذكر رغما عما تحمله الجنود من الخسائر . هذا عدا ان اختلاف الرؤساء وتمرد جنود الحامية جعل نجاح الهجومات التى تخرج وتقوم بها أمرا مشكوكا فيه وجنود ممبتو لم تمتثل الى الآن للأمر وتتراجع الى مكراكا .

وأذعن كازاتى أخيرا لرغبة أمين بك وجونكر وطلباتهما المتكررة وبارح واندى فى ٢٠ يناير ميمما لادو فدخلها بعد رحلة خمسة ايام ولم ير أى تحسين فى الحالة وكانت ترسل امدادات الى امادى .

وفى ٢٦ يناير سافر جونكر الى الجنوب ابتغاء الحصول على اخبار عن طريق أونيورو و أوغندة .

وفى ٢٢ فبراير رجع رجل كان امين بك قد أرسله الى امادى لاستكشاف الاحوال فيها . وقدم هذا تقريرا عباراته معقدة ومتضاربة . ومما جاء فيه ان الأمير كرم الله قدم الى ساحة الحرب على رأس عدد كبير من الدنافلة ورغما عن جميع ذلك ختم تقريره بانه يرى ان المقاومة ممكنة . وبناء على ذلك أرسل أمين بك امدادات جديدة ومؤونة . ويعتبر كازاتى ان هذا التصرف ضرب من العمى يعجز العقل عن ادراك كنهه . ويقول انهم وان كانوا يمدون الحامية ويزودونها بالمؤن إلاّ أن المحاصرين من جهة اخرى ما كانوا قاعدين مكتوفى الأيدى وعما قليل تنقطع المواصلات مع الحصن . وبعد أن لبثت الأخبار مقطوعة مدة أتى فى ٢٩ مارس ثلاثة من جنود حامية أمادى يحملون خبرا مشئوما ألا وهو خبر اخلاء محطة أمادى . ذلك ان الجوع لما نهش احشاء الجنود خرجوا خروج اليائس ومعهم أسلحتهم وشقوا لهم طريقا بين صفوف المحاصرين فى اتجاه مكراكا وذلك رغم ممانعة ضباطهم وجروا معهم هؤلاء على غير ارادتهم وصير المهديون بطبيعة الحال هذا الخروج مجزرة يشيب لهولها الولدان واختلط فيها الحابل بالنابل والرجال بالنساء والاولاد . هكذا كانت آخرة أمادى وهكذا ضاع فيها عدد عظيم من قوات المديرية الحربية .

انذار الأمير كرم الله أمينا بك بالمسير الى لادو
وتقرير إخلائها والانسحاب الى الجنوب

وفى ٣ أبريل على اثر كارثة أمادى التى اعتبرها المهديون الحد الفاصل والطور الأخير من أطوار هذه الحرب كتب الأمير كرم الله الى أمين بك خطابا يخبره فيه بما ناله من الفوز وبوفاة القائد مرجان افندى الدناصورى . وزاد على ذلك ان قال انه اذا لم يحضر أمامه فى ظرف عشرة أيام يسير الى لادو . فاجتمع الضباط والمستخدمون بهيئة مجلس وقرروا باجماع الآراء رغبة منهم فى مرضاة أمين بك ، اخلاء لادو والانسحاب صوب الجنوب . وعلى هذا جاوب أمين بك الأمير كرم الله بمكتوب جاء من ضمن ما سطره فيه ان الجنود مانعة له من الذهاب عنده كما كان يريد .

وكان أمين بك فى أشد حالة من التهيج وقد يستطيع المرء أن يدرك ذلك بسهولة عندما يفكر فى المسئولية الملقاة على عاتقه . فعندما تناقش هو وكازاتى فى الموقف عرض عليه هذا حشد الجنود على الضفة الشرقية فى غندوكورو ثم الانسحاب الى بور فالى اتجاه شمالى شرقى شطر السوباط . فأظهر أمين بك انه مقتنع بهذا الرأى ولكنه كان يرى استشارة مرؤوسيه وفعلا استدعاهم من أجل ذلك فى اليوم التالى .

وانعقدت الجلسة بكرة ذلك اليوم وبعد أن عرض عليهم كازاتى خطته صودق عليها باجماع الآراء وبناء على ذلك صدرت الأوامر . إلا أن هذه الأوامر أمست بعد قليل من الزمن حبرا على ورق لأن

قائــد دوفيليه وضباطها وموظفيها لم يقبلوا العمل بهذه الخطة لأنها حسب رأيهم تجر خسائر فادحة على المالية المصرية بتدمير الباخرتين . أما أمين بك فكان لا يشاطر كازاتى رأيه ووجد الفرصة سانحة بوجود سبب يرتكز عليه فى اهمال تلك الخطة .

محاولة الأمير كرم الله اخضاع مكراكا
وانهزامه فى ريمــو

وفى خلال ذلك كانت جنود ممبتو قد وصلت الى مكراكا وانضمت الى الجنود التى نجت من واقعة أمادى وبهذا تجمع فيها ٦٠٠ من الضباط والجنود .

وأراد الأمير كرم الله اخضاع مكراكا قبل أن يزحف على لادو وشجعه على اقدامه هذا انتصاره فانقض فى أوائل أبريل من عام ١٨٨٥ م فى ريمو على الجنود السالف ذكرهم وقد كانوا عندئذ يستعدون للتراجع الى لادو . وبعد أن دارت رحى حرب طاحنة أظهر فيها الفريقان المتقاتلان منتهى الصرامة والشدة انهزم المهديون انهزاما تاما وولوا الادبار صوب أمادى تاركين عددا كبيرا من رجالهم فى حومة الوغى .

دعوة الأمير كرم الله موظفى المديرية الى الخضوع والطاعة
وعقــد اجتماع للنظر فى الحالة

وأخذت كتب الأمير كرم الله تترى الى المستخدمين والضبــاط يدعوهم فيهــا الى الخضوع والطاعة . واعلن أمين بك أنه قادم اليه بنفسه عوضا عن أن يرسل اليه وفدا مؤملا أن لا يكون قد قصر فيما

تقتضيه اللياقة . ووردت فى نهاية الأمر رسالة من الأمير كرم الله ومعها صورة مكاتبة من نفس المهدى مؤرخة من الخرطوم فى ٢٨ يناير سنة ١٨٨٥ م معلنة الاستيلاء على هذه المدينة وقتل غوردون باشا واعدام كافة اعدائه . وقد ختم المهدى مكتوبه متمنيا ان يكون الأمير كرم الله قد استطاع هو الآخر ان يكلل اعماله بالنجاح . ويستطيع المرء ان يدرك بسهولة ما يحدثه خبر كهذا من الشغب والاضطراب فى لادو .

وصار توزيع الجنود التى كتب لها الظفر بالاعداء فى ربحو على المحطات الواقعة على النيل وتركت مكرا كا للأعداء وأصبح يخشى الآن ان يخطر ببال الأمير كرم الله ، وقد أغراه انتصار المهدى الذى امتلك الخرطوم فصار المتحكم فى شئون السودان ، ان يهم بالقيام بضربة قاضية .

ودعيت جمعية عمومية للانعقاد فى ٢٤ أبريل وكان انعقادها على أثر الانفعال الأليم الذى أحدثه هذا الخبر الأخير المحزن وقررت الانسحاب فى اتجاه الجنوب . ودعى كازاتى الى هذا الاجتماع ولكنه انسحب إذ رأى ان الأصوات لا تعطى عن اخلاص وصفاء نية بل كانت تعطى محاباة للمدير ابتغاء كسب رضاه .

انسحاب أمين بك الى الجنوب وتقرير عدم اخلاء لادو

وبارح أمين بك فى بكرة اليوم التالى الموافق ٢٥ منه لادو . ولم يحضر لتوديعه عند الاقلاع من المرسى غير كازاتى و ريحان افندى قائد المحطة . ورأى كازاتى ان فى هذا التخلى من جميع مرؤوسيه معنى واضحا وانه نذير طالع مشئوم .

وقد كان لريحان افندى ابن أخ يقال له عبد الله ولقب بـ « نيامبارا » وكان نيامبارا هذا قائدا لمحطة مديرفى الى أن شبت الثورة وامتدت حتى اتصل لهيبها بمديرية خط الاستواء . وقد عرف كيف يجمع حوله ٧٠ من الدناقلة ويقوم هو وهم بخدم جلى . ولم يتورع الحزب العسكرى عن أن ينتهز كل فرصة تسنح له لالصاق التهم بهذا الرجل ورجاله ابتغاء الحاقهم بصفوف المشبوهين مع انهم اظهروا اخلاصا لا يمكن لكائن أن يمارى فيه .

وعندما وضع على بساط البحث مسألة اخلاء لادو وارجاع قاعدة المديرية مؤقتا فى غندوكورو تكفل عبد الله بتموين مستودعات هذه المحطة الأخيرة وفعلا أحضر ٧٠٠ حمل من الحبوب وتركها فى الرجاف مع مرؤوسيه السبعين المدججين بالسلاح قبل أن يرجع الى لادو . وبينما أمين بك يكيل له المدح والثناء ويرفع درجته ويزيد مرتبه كان قومندان الرجاف يحاول تجريد رجاله من الأسلحة والقبض عليهم لكن هؤلاء قاوموه وانسحبوا الى الجبال المجاورة . ولما لم يجد عبد الله رجاله عند رجوعه الى الرجاف تحرى عنهم فعلم بما تم فذهب ليلا وانضم اليهم ومنذ ذلك التاريخ لم يرو عنه أحد خبرا .

ويعزو ريحان افندى كل الجور والمظالم التى حاقت بقريبه الى الرغبة فى الانتقام لثأر قديم يرجع الى ما كان يظهره عبد الله من الميل الى القائمقام بخيت بك عندما حصل شقاق بين هذا و أمين بك . وكان ريحان افندى لا يحاول أن يكتم غضبه فلقد كان رجلا متقدما فى السن من صفاته الصلاح النادر والصلابة مع الرحمة وقد كانت الجنود تحترمه

كثيرا وتحبه حبا جما .

وما غابت سفينة أمين بك عن الانظار حتى شاع وذاع وملأ الاسماع ان أمينا بك فر هاربا .

واجتمع مجلس غداة يوم سفره وقرر عدم وجود ضرورة لاخلاء لادو وتكليف أمين بك بتموين هذه المحطة . وفى خلال ذلك شرع فى الحال بالقيام باعداد وسائل الدفاع .

انسحاب المهديين من مكرا كا و أمادى

بادر كازاتى بالكتابة إلى أمين بك يخبره بما حدث ويرجوه أن لا يبتعد أكثر من غندوكورو اذا كان يريد أن يتجنب الانشقاق الذى بات حصوله قاب قوسين ولكن أمينا بك لم يعر هذا الكلام أذنا مصغية واستمر آخذا فى طريقه الى الجنوب جاعلا له مستقبلا مجردا من السطوة والاحترام مملوءا كدرا غير ان العناية الالهية أظلت بوارف رحمتها المديرية أيضا هذه المرة فنزح الأمير كرم الله عن مكرا كا و أمادى فجأة لأمر لا يعلمه إلا علام الغيوب وانسحبت قواته الى مديرية بحر الغزال .

موالاة امين بك الانسحاب الى الجنوب وتوطنه خور أيو

وما زال أمين بك يتابع السير منسحبا نحو محطات الجنوب ذلك الانسحاب الذى نعته الرأى العام بالفرار . فهاج الضباط وأرادوا حجزه فى الرجاف لكنه تشبث برأيه ومع ذلك وعد بالاقامة فى لابوريه بل أصدر أمرا باقامة المبانى اللازمة فى هذه الناحية الأخيرة على ضفة

النيل اليمنى . وسكن روع الأهالى فى بيدن ، و كري ، و موجى ، و لابوريه بشأن المستقبل . ولما لم يستطع ان يسترجع ثقتهم به ذهب وأقام فى خور أبو . ومن هذه الناحية أمر بتصدير الحبوب الى الأورطة المحتلة لادو وملحقاتها مؤملا بذلك تهدئة الخواطر والتمكن من سحب الحاميات الضاربة شمالا فيما يستقبل من الزمان . ولقد ارتكب أيضا أمين بك خرقا آخر فى الرأى ذلك بأن منح زيادات فى رواتب جنود الأورطة الثانية .

ارسال امين بك فرقة لاستطلاع أخبار حامية بور وابادة الدنكاوية لها

وكان امين بك قد وطد العزم وعقد النية على ان يذهب الى مناطق البحيرات ومع ذلك بعث بحملة بقصد التأكد من الخبر الذى كان قد أذيع عن قتل حامية بور ثم يواصل السير بعد ذلك صوب فاشودة لاستطلاع اخبار الثورة . وألفت فرقة لهذا الغرض من ١٨٠ جنديا ومشت فى طريقها الى ان بلغت بحر الزراف . وهناك دبت عقارب الخلاف بين صفوفهم ففريق كان يرى اتمام المأمورية وفريق يرى عكس ذلك . وأخيرا استقر الرأى على النكوص على اعقابهم وبعد مسير ثمانية ايام وقعت الفرقة فى كمين نصبه الدنكاوية وأبيدت تقريبا . وأتى بهذا الخبر المحزن الجنود القلائل الذين نجوا منها .

سفر كازاتى الى موجى ومنها الى لابوريه و دوفيليه

لما كان كازاتى لا يميل البتة الى التدخل فى اشغال المديرية حيث

كان يرى والأسى ملء جوانحه المسائل الشائكة والاعمال المقعدة تتراكم فقد نزح عن لادو فى ٩ مايو من سنة ١٨٨٥ م ووصل الى موجى فى ٢٣ منه وعاش بها فى مسكنه وحيدا فريدا .

وكان كازاتى يعتقد اعتقادا راسخا أنه ليس هناك سلامة ترجى من وراء الذهاب الى الجنوب . ويرى ان نتيجة التجارب الاخيرة ليست مرضية إلا اقل من القليل فكتب الى امين بك يخبره انه نوى مبارحة المديرية موليا وجهه شطر الشمال الشرقى فى اتجاه فادازى Fadasi فرد عليه المدير بأنه لا يتسنى له ان يسمح باجابة طلبه نظرا للمسئولية الكبرى التى تقع على كاهله إذا حدث له حادث . فكتب له كازاتى جوابا أخلاه فيه من كل مسئولية غير أن أمينا بك ظل ثابتا على رأيه رافضا السماح له بما طلب وكتب اليه يستقدمه لزيارته فى لابوريه . فامتثل كازاتى وسافر الى هذه المحطة الاخيرة وقابل فيها امينا بك . وعندما تناقشا معا فى الموقف عرض عليه كازاتى نقل قاعدة المديرية موقتا الى كري ريثما تتمكن جنود لادو و الرجاف و بيدن من التراجع صوب الجنوب . فقبل امين بك ان يعمل بهذا الرأى وبعد ذلك ببضع ساعات عدل عنه الى نقيضه وسافر الى دوفيليه ولحقه فيها كازاتى فى ٢٣ يونيه من سنة ١٨٨٥ م .

وكانت دوفيليه عندئذ تموج بالجنود والأهالى فالأولون كانوا نازلين بها بسبب ما نالته محطتها من الاهمية بغتة والآخرون كانوا قد قدموا اليها ليستبدلوا بمحصولاتهم خرزا ونحاسا .

واستقر الرأى بأمين بك على ان ينتقل الى وادلاى غير انه أبعد احمد

افندى محمود سكرتيره و عثمان افندى لطيف وكيل المديرية وعهد بادارة قلم الحسابات الى البكباشى حواش افندى .

سفر كازاتى الى وادلاى

وصلت الباخرة « الخديو » فى مساء ٢٦ يونيه من سنة ١٨٨٥ م من وادلاى وعلى ظهرها قائد هـــذه المحطة . وقتل فى الطريق رجل وهو يحاول تخليص الرفاس من الأعشاب المشتبكة به لأن الرفاس تحرك قبل ان ينتهى الرجل من عمله .

وزايل كازاتى فى ٢٨ منه دوفيليه قاصدا وادلاى ولحقه فيها أمين بك فى ١٠ يوليه . وابتدأت الأشغال فى المحطة واتسعت المحطة لدرجة نستطيع معها أن تقوم بما يطلب منها من الأعمال وأحيطت بخندق .

وكلمة « وادلاى » التى وضعت علما على المحطة هى اسم لرجـــل طويل القامة ضخم الجثة لدرجة صار معها شنيع الخلقة غير قادر على الحركة ولذا يعيش متنعما فى أحضان عدد كبير من النساء ويكره الحروب ويرغب فى الحيـــاة الهادئة هدوءا شاملا .

واللـــور رعايا وادلاى هم والشولى النازلون فى ضفة البحيرة الغربية من عنصر واحد إلا أن الأولين لا يشتركون مع الآخرين فى ميـولهم الحربيـة بل بالعكس يجنحون للسلم ويميلون للسكينـة وهم عـــلاوة على ذلك من خيرة المزارعين ولهم باع طويل فى تربية الماشية . وعادت الثقة والطمأنينة الى نفـــوس اللور وأخذوا يميرون المحطة وكفل لهم وجود المدير بينهم وقوف الجنود عند حدهم.

إغارة الباريين على لادو وانتصار حاميتها عليهم

وفى أكتوبر ورد خبر اغارة قبائل الباريين هم وحلفائهم الدنكاويين على لادو و غندوكورو و الرجاف .

وقد حدا سوء استعمال السلطة المعطاة للقواد التى تخولهم مطلق التصرف فى الأمور من جهة وموقف الحكومة الحرج من جهة اخرى الى تحزب الرؤساء بقصد محاولة ضربها ضربة قاضية .

وأرسلت الامداد والذخيرة على وجه السرعة واستمرت المعركة حامية الوطيس يذكى نارها الحقد والضغينة .

وفى لادو انقضت جموع المغيرين الساحقة على الخنادق وازدروا بالموت الزؤام وأذكت حميتهم اصوات الابواق والطبول . وكدسوا حزما من العشب والحطب لسهولة المرور الى داخل الحصن . وبينما كانت تشتد حميا وثوبهم لدرجة خيل معها ان النصر امسى ولا ريب حليفهم إذا برصاصة أصابت جبين كبير سحرتهم وألقته بأسفل المتراس . وكان هذا أول من وصل الى القمة . وشل صياحه المزعج الوثوب ووقفه وقفا تاما وأحال الخوف الذى حاق بهم رعبا لا مبرر له وبذا نجت لادو ووضعت الحرب أوزارها على ان الباريين وحدهم دفعوا نفقات هذه المعامع ذلك ان الدنكاويين وقد شق عليهم موت كبير سحرتهم نهبوا البلد وسلبوا كل ما صادفهم فى طريقهم من الماشية عند رجوعهم .

اما الحامية ، وقد سكرت بخمرة النصر ، فخالت أنها لا تغلب بعد ذلك

وعوضا عن ان تتراجع الى كري و موجى و لابوريه عقدت النية على اعادة احتلال مكراكا بغية الحصول على الحبوب اللازمة للمحطات القائمة على النهر وباشرت تنظيم المديرية من جديد بالكيفية التى سولها لها شيطانها من غير ان تتنازل وتستشير المدير .

عودة المواصلات بين أونيورو
وطلب كباريجا تعيين وكيل لديه من قبل الحكومة

وأتى رسل قبيل آخر اكتوبر يحملون مكاتيب من طرف العرب المقيمين فى بلاد اونيورو وقد آبوا حاملين الرد فى أول نوفمبر وبذا انفتح باب المواصلات .

ووردت فى ٢٣ ديسمبر رسائل اخرى من قبل كباريجا ملك اونيورو يخبر فيها امينا بك انه يرغب فى ان يرى لديه وكيلا من قبل الحكومة وانه يأذن بنقل المراسلات الى أوغندة عن طريق بلده وانه يجود بهذه المنحة لأجل صديقه الدكتور امين ذلك الصديق القديم الذى مازال له عنده منزلة احترام عظيمة وصداقة ولكى يرضى امين بك الملك كلف جونكر و فيتا حسان بهذه المهمة .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها فى الملحق الأول للسنة القادمة .

سنة ١٨٨٦ م

من

حكمدارية أمين باشا

تعيين فيتا حسان نائبا عن الحكومة فى أونيورو

فى أول ينـاير من هذا العام رافـق امـين بك و كازاتى الى المرسى الدكتور جونـكر وفيتـا حسان . وكان ينتظر هذين فيها لتوديعهما كبار موظفى المحطة من ملكيين وعسكريين . وبعد ان ودعهما الجميع صعدا الى ظهـر الباخرة « الخديو » التى لم تلبث إلا قليلا حتى أطلقت صفارتها ايذانا بالسفر . واقتلعت المراسى وتحركت الآلات وأخذت الباخرة تبتعد والمودعون يلوحـون بمناديلهم البيضاء الى ان توارت عن الأبصار .

ولم يكن فى عـــزم الطبيب جونكر ان يقيم ردحا طـويلا فى اونيورو بل كان عاقدا النية على ان يعاود المسير شطر الساحل عند سنوح اول فرصة . اما فيتا حسان فحاله كانت كما يأتى :ـــ

« لقد كان معينا نائبـا عن الحكومة المصرية لدى كباريجا ملك اونيـــورو . وكان لديه أمر بالسفر الى تلك الديار والاقامـة فيهـا والسهر على حفظ العــلائق الودية والسياسية بين البلدين وان يرافـق الدكتور جونكر الى اونيـورو ويساعده على اجتيـاز اوغنـــدة حتى يتمكن من الذهاب الى زنزبار عنـــد سنوح أول فرصة . وان يقوم بعمل اللازم لدى

الملك ليهيئ طريقا فى مملكته ينسحب منها موظفو المديرية المصريون عند الحاجة وان يباشر مشترى المنسوجات والاشياء الاخرى التى تلزم لمستخدمى المديرية ويبادل عليها بالعاج الذى يرسل اليه من وادلاى . ويجب عليه كذلك ان يجتهد باقواله واعماله حتى يحصل على ثقة الملك وصداقته ويحافظ عليهما حتى ينال منه اجزل ما يمكن من الفوائد خلال قيامه بالمهمة التى عهد اليه اتمامها » .

سفر فيتا حسان مع جونكر الى أونيورو

سافر فيتا حسان ووجهته الاونيورو مزودا بهذه التعليمات ومصحوبا بالطبيب جونكر و جنديين و مندوبى كباريجا الخمسة وأخذ معه ٣٠ نابا من انياب الفيلة هدية من امين بك الى كباريجا وكبار موظفى اونيورو . وبعد مسير ست ساعات وصلت الباخرة « الخديو » الى مصب بحيرة البرت نيانزا وكان من المحتم ان تقف عنده لتستوفى ما يلزمها من الوقود وتقضى ساعات الليل . وسافرا فى اليوم التالى وبلغا كيبيرو القائمة على شاطىء البحيرة بعد الظهر . وعرض عليهما كاجارو Kagaro رئيس الناحية الضيافة الى ان يتمكنا من جمع ما يلزمهما من الحمالين وبعث لهما بخروف ومقدار من الملح .

وكان كاجارو معينا من قبل كباريجا مأمورا لانتاج الملح وبسبب هذه المادة التى تأتى بدخل كبير صار لكيبيرو أهمية كبرى .

وأقاما فى كيبيرو يومين جمع فى خلالهما الرئيس ٣٢٠ حمالا لنقل المتاع والعاج . وليس فى جسامة هذا العدد ما يوجب الاستغراب

متى علم ان الزنوج لا يودون حمـــل الاشياء الثقيلة . فاقصى ما يحمـــله الواحد منهم يتراوح بين ٢٠ و ٢٥ كيلو جراما . وهـذه المسألة جعلت السياحة فى افريقية امرا صعبا .

وفى اليـــوم الثالث انطلقا فى السير وبعـد سفر ثلاثة ايام دخلا امبارا Mpara محل اقامة الملك ووجدا على بعد ربع ساعة من الناحية خمسة اكواخ جـــديدة أعدت لاقامتهما بأمر كباريجا فنزلا فيها نزول صاحب الدار فى داره . وامبارا هـــذه كرسى مملكة اونيورو . وقدم فى المساء ماتونجولى ، أى وزير ، لزيارتهما وليتمنى لهما نيابة عن الملك قـدوما سعيـدا . واستفهم عما اذا كانت كل الأمور قد جرت فى مجـــراها الحسن فى غضون سفرهما ، وعما اذا كانا قد قوبلا من رعايا الملك مقابلة طيبـة . واحضر لهما علاوة على ما ذكر من قبـله زادا مشتمـلا على ثور و مريسة و دقيـــق ذرة و تبـــغ و بن و بطاطة و فـول احمـــر و موز و حطب وكل هـذا بمقادير وافرة . وكان الملك يوصيهما ايضا ان يأخـــذا الراحـة التامة ليستريحا من وعثاء السفر فكلفا الماتونجولى ردا على ذلك ان يبلـغ الملك تشكراتهما القلبية .

وأتى فى اليـــوم التالى ماتونجولى آخر وحياهما باسم الملك واحضر لهما مقدارا من المـاريسة وخمسة عشر عـــذق مـوز على ان المؤونة التى قدمت لهـــما بالأمس كانت لم تزل على حالتها تقريبـــا غـير انه من عادة السودانيين ان لا يظهروا امام ضيـــوفهم وايديهم خاوية وذلك من باب اللياقة والمجاملة .

ولم يبارح فيتا حسان و جـونكر سكنهما فى الثلاثة الايام الأول

لانشغالهما بترتيب واعداد متاعهما وتأثيث منزلهما . وكان القائم بأذهانهما ان الملك سيستدعيهما بين آونة وأخرى ولكن سكوته عن هذا الاستدعاء فى هذه المدة بعث فى نفوسهما بعض الدهش .

وزارا فى اليوم الرابع المدينة بموجب الأذن الذى كان أعطى لهما بزيارتها . ولم تكن هذه سوى قرية بسيطة مثل باقى قرى الزنوج لكنها كبيرة ومأهولة كثيرا بالسكان وهى تتألف من اكداس من الاكواخ المصنوعة من الخيزران والقش موضوعة على الارض بلا نظام ولا ترتيب . واتخذا الترجمان الذى عين لخدمتهما عند قدومهما مرشدا لهما أثناء هذه الزيارة .

ولم يبلغهما الملك خبر استعداده لاستقبالهما إلا فى اليوم السابع . وكان فى الامكان حصول هذا الاستقبال فى اليوم الاول إلا ان الملك الذى كان من شيمه المكر والخداع فضلا عن الجهل رأى ان يموه عليهما بتكليفهما الانتظار . فدعاهما ماتونجولى يقال له « كاتاجروا » Katagrua كان قبلا وزيرا لكمرازى والد كباريجا وكلفهما بان يرتديا احسن ملابسهما حتى يكونا فى حالة تليق بمقابلة صاحب التاج إذ أنه لشدة كبريائه يجنح للتأثير على رعاياه بأبهة ملابسهما وفخامتها ويستطيع ان يفتخر بان لديه ضيوفا بلغوا هذا الشأو من علو المنزلة .

مقابلتهما لكباريجا ملك أونيورو

حضر قبيل ظهر ذلك اليوم الماتونجولى امسيجى Msigi ليقدم فيتا حسان و جونكر للملك . وقابلا على بعد خمس دقائق من محل اقامتهما ثلة صغيرة

من الجنـد وعند رؤيتها لهما اصطفت على جانبي الطـريق ثم بعـد ذلك بقليـل قابلتهما ثلة اخرى وأدت لهما التعظيم بتقديم الأسلحة عند مرورهما وفى اثناء ذلك كان ينفخ فى الابواق وتدق الطبول وهذه كل آلات العزف التى يمتلكونها .

ويسمى هـؤلاء الجنـود « الباناسورا » Banassuras ويتألف منهم جيش منظم مجموعه ١٥٠٠ نسمة يرتدى الملابس الحسنة ويحمـــل بنادق بشطف أو سريعة الطلقات .

ونظم هـــذه الهيئة عساكر من جنود الحكومة المصرية يبلغ عددهم زهاء الثلاثين كانوا قد فروا من محطتى كيزوجا Kisoga و كيروتو اللتين كان قد أنشأهما غوردون باشا فى بلد اونيـورو وذلك فى خلال حصول مجاعة . وعنـــد هروبهم أخذوا معهم اسلحتهم وآلاتهم الموسيقية ولم يحتفظ الباناسورا بشيء من تلك الآلات اللهم إلا بالأبواق والطبـول وذلك لسهولة استعمالها . ولا يصرف للباناسورا راتب ولا جـــراية ويتعين عليهم ان يعيشوا من الطلبـــات التى يأذن لهم بها الملك والتى تعمـــل ليتخذوها مبررا لنهب الأهالى نهبا منظما . وبما ان الملك وحده هو المتولى اقامة العـدل واصدار الاحكام بدون بحث ولا مناقشة والباناسورا هم المتـــولون تنفيـذ تلك الاحكام استباح هؤلاء اتخـــاذ اسمه ذريعة لسوء استعمال السلطـــة فى احـــوال كثيرة وعزوا ذلك اليه تعسفا وظلما . ولقد ابعد قلوب الأهالى عن هؤلاء الجنـود وأحنقها عليهم وعلى سيدهم « أى الملك » ما يرتكبونه من السلب والنهب لدرجـــة صار معها وجود هـــؤلاء السلابين النهابين ضروريا لأمن الملك الذى أصبح لايهابه شعبه إلا خـــوفا من هـؤلاء الطغام المرتدين لباس الجندية .

ويتألف قصر الملك من سور كبير داخله مجمـــوعة من الاكـواخ تسكنها نساؤه الكثيرات العـــدد وخدمه . وأقيم حيال هذا السور كوخ على شكل دائرة له مدخلان وبه حاجز يقسمه قسمين . ويتألف هـــذا الحاجز من سدول مختلفة الانواع من سجاد و منسوجات حريرية وقطنيـة مزركشة بالذهب والفضة وغير مزركشة ملتئمة ببعضها فيتألف من مجموع هذه الألوان الزاهيـة النضرة منظر يأخذ بالألباب . ويجلس الملك كباريجا فى الوسط خلف القسم الذى مدخـــله فى الامام على مقعد كبير مكسو من نوع كساء الحاجز . ووراء هـــذا يقف ثمانيـة من الغلمان اعمارهم تتراوح بين اثنتى عشرة وست عشرة سنة . يحملون قرابينات وينشستر Winchester ويرفعون من وقت الى آخـــر طرف الستار للقيام بمستلزمات الحراسة أو ربما كانوا مدفوعين فى ذلك بغريزة حب الاستطلاع ويلقون بنظرة فى الكوخ الملكى . وهؤلاء يكونون الحرس الملكى الذى كان يتغير كل نصف يوم . وكان كبار اعيان الأنيورو يجلسون صفا على الارض على يمين كباريجا ويساره وكانت الارض مفروشة باوراق البردى بزى السجاد . ويحيط بالكوخ فى الخارج على بعد أربعة أمتار منه ثلة من الجند واقفة على شكل دائرة .

ورافق جونكر و فيتا حسان اتباعا لأوامر الملك الجنديان اللذان قدما معهما وكانا يحملان مقعديهما . ولم يتحرك الملك عند دخولهما وعند وصولهما الى مسافة وجيزة من الملك حياه فيتا حسان باللغة العربية قائلا : « السلام عليكم يأيها السلطان » اما جونكر فرفع قبعته . ووضع الجنديان مقعديهما على يمين الملك فجلسا عليهما بين الوزراء « الماتونجوليين » .

وكان الملك يلبس سروالا و سترة « استامبولينا » وطربوشا ولم يكن على جسمه قميص ولا فى قدميه حذاء . وبعد ان جلسا التفت الملك الى جونكر وكان يعرفه تمام المعرفة لانه كان قد طلب ارساله وسأله بلهجة تنم عن الكبرياء والعظمة عن الغرض من سياحته مع ان موظفى أمين بك عرفوه من زمن سابق السبب .

وترجم هذه الأسئلة الترجمان أمسيجى وهو ذلك الذى كان ترجمانا لأمين بك فى رحلاته السابقة الى بلد أونيورو فى مدة غوردون باشا . وأجابه جونكر بأنه قدم ليجتاز أوغندة حيث يريد أن يجتمع باخوانه البيض المبشرين اذا كان ذلك فى حيز الامكان .

أما فيتا حسان فقال ان لديه خطابات من أمين بك يرغب فى ارسالها الى رؤسائه فى القاهرة بواسطة الملك عن طريق أوغندة و زنزبار . وما أتم كلامه حتى صاح ماتونجولى قائلا : « واذا لم يشأ الملك ارسال هذه الخطابات ؟ » . فأجاب فيتا حسان : « ان الملك هو صاحب الشأن وله وحده أن يأمر بأن ترسل أو لا ترسل وانه لا يطلب ذلك من باب الالزام بل يطلب بالنيابة عن أمين بك أن يفعل ذلك منة منه وكرما . وعلاوة على ما ذكر فانه لا يطلب من الملك ارسال هذا البريد بدون أن يجنى من وراء ذلك فائدة بل مقابل هدايا تقدم اليه . وانه اذا أراد سلاحا أو ذخيرة حتى اذا شاء مدفعا فهو يقدم له كل ذلك عربون صداقة رئيسه للملك » .

ولم يتكلم فيتا حسان بهذه الكيفية إلا عملا بوصايا أمين بك وطبقا لارادته لأنه قد رسم له أن يعمل دواما بما تقتضيه سلامة الذوق . ورأى

فيتا حسان من رضا الملك ما دله على انه قد أصاب منه عرقا حساسا .
فأجاب كباريجا انه يعتبر أمينا بك كأخ له وانه سيعمل كل ما يرضيه .
وبعد أن وجه جملة أسئلة غريبة فى بابها لم يتمالكا عند سماعها من
الضحك إلا بشق الأنفس فض الجلسة بقوله : « ان أكواخكما الحالية
لم تكن إلا وقتية وذلك ريثما تستريحان من وعثاء السفر وفى
استطاعتكما أن تختارا المكان الذى يوافقكما فأقيم لكما فيه مسكنا فى
الحال » . وعلى هذا استأذنا جلالته ورجعا الى محل اقامتهما يصحبهما
ماتونجولى .

ووقع اختيارهما على ربوة صغيرة تشرف على كل نواحى المدينة .
وكانت أرضها مزروعة بطاطة فأمر الماتونجولى باقتلاعها فورا . وفى الغد
سلما رسم المسكن الى العمال وكان هؤلاء كثيرى العدد فأنجزوه فى
عشرين يوما .

وفى خلال هذه المدة استدعاهما الملك ثلاث مرات وكان فى كل
مرة يرتدى ملبسا يختلف عن ملبسه فى المرة التى سبقتها . وكان دواما يهتم
اهتماما خاصا بحالتهما الصحية ويستعلم منهما عن لوازمهما وعما اذا كانت المؤونة
التى تقدم لهما تكفى حاجاتهما .

ولم تستدع الجنود وتقام الاحتفالات التى سبق ذكرها إلا لدى المقابلة
الأولى . وطلب الملك عند الزيارة الثانية أن يرى الخطابات التى يرغبان
ارسالها الى مبشرى أوغندة . وكان أحدها مرسلا من أمين بك والثانى من
جونكر وكلاهما برسم الأب ماكاى Mackay فتناولهما كباريجا وقال :
« سيصل اليكما الرد فى مدة تسعة عشر يوما » . وبر الملك فى الواقع بوعده

وفى اليـوم التاسع عشر وصلت اليهما اجابة ماكاى ومعها خطاب باللغة الفرنسية مرسل من نوبار باشا الى أمـين بك . وهذا الخطاب ظل لدى هذا المبشر زمنا طويلا بدون أن يتمكن من توصيله للمرسل اليه .

وبادر فيتا حسان بارسال خطابى نوبار باشا وماكاى الى أمين بك .

وما وضعا أقـدامهما فى مسكنهما الجـديد حتى تلقيا بطريقـة سرية رسالتين إحداهمـا باللغة العربيـة والاخرى بالفرنسية من شخص يقـال له محمد برى تاجر من أهالى طرابلس .

ورأى فيتا حسان فى مساء يوم عند افول الشمس رجـــــلا زنزباريا يقال له حمـــــوده قادما ودخل عليهما مع ترجمانهما ليقدم لهما تحيات شيخ الزنزباريين فى أونيورو . وتمكن حموده هذا من أن يلقى تحت المائدة خطابين بدون أن يلحظ ذلك أحد وما كاد يخرج مع الترجمان حتى تناولهما فيتا حسان ودهش عندما رأى ان بهما توقيع محمد برى .

وكان المكتوب الفرنسى برسم جونكر والعربى لفيتا حسان . ويقول محمد برى فى كتابه الثانى ان موطنه طرابلس وانه مقيم بين الزنزباريين بصفة تاجر وانه يكون سعيدا اذا تمكن من مقابلته وان الوسيلة لذلك هـــــو أن يحصـل فيتـا حسان على اذن من الملك بالسماح له بزيارة حى الزنزباريين وان فى امكانه معرفته بسهولة بقامته الطويلة النحيفة وأوصاه أن لا يكلمه إلا بالفرنسية أو التركية اذا قابله وكان معه أحد .

ويقول فى كتاب جونكر ان أحـد الألمانيين المدعو الدكتور

فيشر Dr. Fisher جاء الى أفريقية للبحث عنه وان الحكومة المصرية كتبت بصدد ذلك بعض الخطابات لمديرية خط الاستواء . ولم يذكر محل وجود هذه الخطابات ولكنه أظهر انه يريد أن يذكر ذلك شفويا عند أول فرصة .

ولقد كان من الفطنة واصالة الرأى أن يتصرف محمد برى هذا التصرف المستتر وأن يخشى انكشاف علاقته بفيتا حسان و جونكر لأن الملك كان بفطرته شديد الغضب . ويستوى فى ذلك هو وجاره موانجا . وقد كان من طبع هذا الملك أن يراقب مراقبة مدهشة كل من يدخل بلده ويبحث عن الوسائل التى تعرقل اتصال الواحد بالآخر من الأجانب . فلم يكن ليعفيهما من أشد المراقبة وأدقها مع انهما أتيا بناء على طلبه وبصفة مرسلين من قبل أمين بك الذى كان يدعوه بصديقه وأخيه الأبيض .

وما كان الجنديان اللذان وضعا تحت تصرفهما مكلفين بخدمتهما فحسب بل كانا فى الوقت نفسه مراقبين بل سجانين لهما .

وكان الملك لا يمنع عنهما أى شىء تتطلع اليه أنفسهما إلا أنه كان يعرف الطريقة التى بها يبعدهما عن الأجانب الآخرين . وكان لا يقول لهما شيئا مطلقا غير ان ترجمانه ما كان يكتم عنهما نصائحه الغالية وكان فيتا حسان و جونكر يقدران تلك النصائح حق قدرها وذلك باعتبارها كأوامر صادرة من ذات الملك . ولقد كابد أمين بك نفس هذه الريب والشكوك عند أسفاره فى أونيورو و أوغندة فى عهد غوردون باشا ففى البلد الأول لم يستطع أن يتصل بنور بك محمد وفى أوغندة لم يتمكن من الاتصال بميسون بك مع ان كليهما كان من موظفى الحكومة

المصرية كما أن أمين بك كان أيضا من موظفى نفس هذه الحكومة . فهؤلاء الامراء الكثيرو الشكوك والظنون كانت لهم طريقة واحدة غاية فى البساطة . ذلك انهم حالما يعلمون بقرب قدوم أجنبي يصرفون من كان لديهم من الأجانب الآخرين فى اتجاه آخر .

وكانت المصلحة وحب الوقوف على الحقيقة يدفعان فيتا حسان و جونكر لمقابلة محمد برى فى أقرب وقت فطلبا من كباريجا أن يرخص لهما بزيارة حى الزنباريين فلم يأذن لهما بذلك إلا بعد يومين .

وذهبا الى الحى المذكور وحالا عرف فيتا حسان محمد برى بأوصافه التى ذكرها وخاطبه بالفرنسية وكان هذا الأخير يتكلمها بسهولة إذ أنه كان موظفا بالشركة البلجيكية الافريقية وساح فى أغلب نواحى القارة الأوربية .

وبعد أن سلما عليه قص عليهما ثورة عرابى واحتلال الانكليز لديار مصر بسبب هذه الثورة واخلاء الحكومة المصرية السودان وسقوط الخرطوم وقتل غوردون . وكان لديه معلومات صحيحة فيما يختص بأحوالهما وأكد لهما أنه يوجد لدى المبشر ما كاى مراسلات برسمهما من نوبار باشا رئيس مجلس الوزراء . وعرض برى عليهما وساطته فى توصيل ما لديهما من المكاتبات وفى انجاز كل أمر يريدانه . وعند مبارحتهما له أوصاهما أن يأخذا الحذر من بابادونجو رئيس وزراء الملك ومن رجل يقال له عبد الرحمن وهو شخص زنبارى له نفوذ كبير عند كباريجا ودعاهما لتناول الطعام عند رفيقه الشيخ مسعودى ووعدهما بأن

يستأذن من الملك فى أن يتناول عندهما الطعام مرة .

وكان الزنزباريون شبه محتكرين لتجارة أفريقية الوسطى فكانوا يوردون أنواعا منوعة من السلع ويستبدلون العاج بها . وعلاوة على هذا النوع المباح تصديره كانوا يتجرون فى الرقيق وما يحصلون عليه من داخل القارة يبيعونه فى الساحل . ولو لم يكن التجار عرضة لأذى الملوك لكان فى استطاعتهم الحصول على ارباح طائلة . وكان أولئك عندما يضعون مكاسبهم فى مكان مأمون يرجعون الى الساحل . وهذا ما كان يعمله أغلب تجار الخرطوم الذين يسافرون الى النواحى الواقعة الى الجنوب مخاطرين بأرواحهم ابتغاء كسب الدراهم التى ينفقونها فيما بعد فى هذه المدينة .

وكان العربى عند سفره من الخرطوم أو زنزبار يردد لسانه هذه العبارة « الذهب الأحمر أو الموت الأحمر » .

وكتب فيتا حسان فى الحال بعد أن ترك محمد برى الى أمين بك تقريرا مفصلا بما دار بينهما من الحديث وأضاف اليه جونكر بعض كلمات ذيلها باسمه ووضع مع التقرير صورة الخطاب الذى تلقاه من المبشر ماكاى بالاذن له من موانجا Mwanga ملك أوغندة بدخول مملكته وبعدم التمكن من الحصول منه على ترخيص كهذا لموظفى أمين بك .

وكان فيتا حسان لم يقدم الى كباريجا لغاية ذلك الوقت إلا هدايا صغيرة واحتفظ بالعاج لحين سنوح فرصة اكثر مناسبة فانتهز فرصة قيامه باحضار البريد لهما من أوغندة وقدمه له دلالة على رضا الحكومة .

ففى اليـــوم التـالى لوصول البريد قـدم فيتـا حسان ٢٠ نابا من انيـاب الفيـــلة الى الملك وواحدا لبـابادونجو Babedongo ، وواحدا لعبد الرحمن الزنبارى ، وواحدا للوزير كاتاجروا ، وواحدا للترجمان اسيجى ، وواحدا لقائد الشرطة « باناسورا » ، وثلاثة الى بعض الضباط واحتفظ بثلاثة لما يطرأ فى مستقبل الأيام .

وكان العـاج ضالة الزنباريين المنشودة وكان احـدى الوسائل الهـامة فى المبـادلة فى بلاد الاونيـورو التى يندر فيهـا وجـود هـــذا النوع لأن الفيلة لا توجد إلا شمـال بحيرة البرت نيـانزا . وكان الزنباريون يشترون الفرازيلا من العاج من الأونيورو بـ ٤٥٠٠ سيمى Simbis والفرازيلا Frâsila عبارة عن ٢٠ نابا . و ٢٥٠ سيمى تساوى ريالا مجيديا . وقيمة هذا الريال سبعة عشر قرشا ونصف قرش وعلى هـــذا يكون ثمن الفرازيلا ١٨ ريالا أو ٣١٥ قرشا . ويبيعـونه فى السـاحـل بثمن يـتراوح بين ٨٠ و ١٠٠ ريال أى من ١٤٠٠ الى ١٧٥٠ قرشا . إذ أنهم كانوا يتكبدون نفقـات كثيرة للوصول الى الساحل .

ويتخـذون في الاونيـورو « السيمى » أساسا للمعامـــلة فى الصفقـات التجـارية وهـــذه العمـلة ادخلهـــا الزنباريون فى هـــذا البلد . وله قيمة ثـابتـــة لا تتغـــير . وكانت التجـارة رائجـة فى الاونيورو بفضـــل ما كان يبـــديه الزنباريون من الهمـة والنشاط فى الاسفـار ذهـــابا وايابا بـين السـاحل وأواسط افريقيـــة بلا انقطاع . وكان ايضـــا فى الاونيـورو تنتظم الدقة المعـاملات التجارية لأن ثمن كل سلعة كان محـددا بمعرفة الملك فلا يتغير ولا يتبدل مطلقا وكان لديه معـــلومات صحيحة عن

كل ما يحدث فى ارض مملكته .

وروى فيتا حسان انه ابتاع ذات يوم دجاجة ودفع ثمنا لها ٣٠ سيمبى مع ان ثمنها المحدد كان ٢٥ فقط وبعد ذلك بقليل أتاه ترجمان الملك وأعطاه الفرق وقال له ان التاجر الذى عامله باجحاف سيوقع عليه الملك عقابا وأوصاه بان لا يدفع شيئا يزيد عن الثمن المحدد مراعاة لمصلحته واجتنابا لحدوث اضطراب فى السوق .

واليك أثمان بعض الحاجات المهمة :—

أمة سواء اكانت عذراء أم امرأة من ١٢٠٠٠ الى ١٥٠٠٠ سيمبى « ٣٦٠ الى ٤٥٠ قرشا » . صبى رقيق من ٨٠٠٠ الى ١٠٫٠٠٠ سيمبى « من ٢٤٠ الى ٣٠٠ قرش » . بقرة حلوب من ٤٠٠٠ الى ٥٠٠٠ سيمبى « من ١٢٠ الى ١٥٠ قرشا » . عجل ذكر من ١٢٠٠ الى ١٥٠٠ سيمبى « من ٣٧ الى ٤٥ قرشا » . خروف من ٣٠٠ الى ٤٠٠ سيمبى « من ٩ الى ١٢ قرشا » الخ .

ويجب على كل تاجر يقدم الى الاونيورو ان يقدم بادىء بدء بعض السلع للملك فيختار منها ما يعجبه بدون مقابل وكان يدفع أوقاتا سنا مقابل ما يأخذه غير ان هذا يتعلق بمشيئة الملك على ان القاعدة هى ان يترك للملك ما يستحسنه من غير عوض .

وربما كانت الاونيورو أغنى البلاد فى نوع البقر فقطعان الملك وحدها تعد بمئات الألوف . والسبب فى هذه الكثرة التى لا يتصورها العقل يرجع الى تحريم ذبح الأبقار تحريما باتا اللهم إلا اذا ظهر عقمها ظهور الشمس فى رابعة النهار وحتى عندئذ لابد من الاستئذان من الملك .

أما اذا شذ أحـــــدهم عن هـذا القانون فتصادر أملاكه وتبـــاع أسرته فى سوق الرقيق .

وكان الوزراء « الماتونجوليون » المكلفون بحراسة القطعان ملزمـــين بعرضها أمام الملك من وقت لآخر حتى يمكنه الوقوف على حالتها لأن هذه القطعان ثروته الوحيدة فهو يفوض أمر رعيها لرعاياه ويسمح لهم بأخذ ألبانها . أما الماشية فتظل ملكا له .

نشوب الحرب بين أوغندة و أونيورو
واحتلال فيتـــا حسان جزيرة تونجورو

وفى ٢٥ فبراير أتى من وادلاى رجـــال فيتا حسان . وكان أمين بك يحسب ان مدة اقامته فى أونيورو ستطول ولم يكن قد طـــرأ على فكر فيتا حسان نفسه ان الحرب بين أوغنـدة و أونيـورو قد صارت قاب قـوسين أو أدنى وانه سيرى نفسه قريبـــا مضطرا أن ينسحب . ومع أن الفريقين كانا يتأهبان للحرب ويعدان عدتها كان كباريجـــا قد أمر بملازمـــة الصمت وأن لا يبـــوح أى انسان بشىء ما ولم يأذن لرجال فيتـا حسان بالقـدوم إلا عنـدما تيقن أن العاصفـة قد مرت وهدأ الجـــو .

وأرسل أمين بك ٥٠ نابا من أنياب الفيـــلة الى فيتـا حسان وأرسل اليه أيضا خطـابا يأمره فيــــه بأن يسلمهـا الى جونكر بالايصـال اللازم إذ ربما دعته الحـالة لأن يستعملها للمبادلة اثنـاء الطريق . ولم يشأ جونكر أن يقبل منها شيئا وقال انه متى بلغ أوغنـدة يسهل عليه كل أمر بواسطة البشر

ماكاى Makay .

وفى ٢ مارس سافر جونكر الى أوغندة وكان قد أخذ اجازة دخوله فيها وكان يرافقه فى رحلته هذه ٣٠٠ حمال أرسلها اليه الملك والجندى سرور . وكان هذا مكلفا بحمل ثلاثة خطابات من أمين بك الى سمو الخديو .

وحاول جونكر أن يقنع فيتا حسان بأن يرحل معه وأجل سفره لحين أن يأتى إذن له من أمين بك بذلك فأبى فيتا حسان لأنه كان يرى ان واجبه يحتم عليه البقاء بجانب رئيسه . وقد أشار عليه حتى نفس كباريجا بالسفر قائلا له ان الأجمل به أن يرجع الى بلد البيض لا أن يستمر مقيما فى بلد الزنوج السود .

وفى ٧ مارس وقت الظهر حضر الترجمان « واندو » بغتة الى محل اقامة فيتا حسان ومعه ٣٢ حمالا وأبلغه أمر الملك وهو يقضى برحيله عاجلا لأن الواجاند Wagandas « وهؤلاء هم سكان أوغندة » على بعد نصف ساعة من المدينة ويلزمه أن يحمل معه من المتاع ما يقدر على حمله وما يبقى يرسل اليه فيما بعد .

وكانت الحالة فى الحقيقة حرجة ولما كان فيتا حسان يعرف طريقة الحرب فى هذا البلد أدرك ان وقته أمسى ثمينا ولا ينبغى أن يضيع لحظة منه . وكان أول شىء يعمله الأهالى عندما يهاجمون هو حرق مساكنهم ثم ينسحبون . وما ادار عرض اكتافه للمدينة حتى أخذ اللهب يشتعل فى جميع نواحيها وكان كلما تلفت بين آونة واخرى رأى ذلك المنظر

الهائل الشنيع . وناهيك بمدينة كبيرة مكونة من القش تتلظى كأنها بحر زاخر بالنيران .

ولما كان لا مفر له من الابتعاد عن ميدان القتال بقدر ما يستطيع من السرعة سار هزيعا من الليل وحط رحاله بالقرب من قرية . ورأى وقت السحر ان حماليه تركوه وان القرية أصبحت خالية خاوية وما ذلك إلا لأن الهلع كان قد استولى على أهلها فهاموا على وجوههم هاربين ومعهم أمتعتهم وظل فيتا حسان على ذلك الحال وبقى معه جندياه وترجمانه ونفر قليل من شرطة أونيورو « الباناسورا » . وأوعز الترجمان الى فيتا حسان بالانتظار لأن الأهالى أعلنوا بمرورهم وسيرجعون لمساعدتهم . وفعلا قبيل الظهر أتى خمسة رجال فمهد اليهم بزوجته السيدة وابنه موسى وترك متاعه فى القرية . وكان من مصلحة فيتا حسان أن يبلغ كيبيرو فى أقرب وقت لأن أمينا بك عندما اتصلت به أخبار الحرب أعطى أمرا للباخرة « الخديو » بأن تنتظره ثمانية أيام أمام هذه الناحية . وبما أن نصف هذه المدة كان قد انقضى اسرع الخطى ووصل بعد يومين الى كيبيرو فوجد فيها الباخرة . وشاهد مع الدهشة والارتياح ان المتاع الذى كان تركه فى الطريق قد وصل أيضا .

وفى ١٣ مارس زايل فيتا حسان كيبيرو وبينما هو فى طريقه رأى على ضفة بحيرة البرت نيانزا الشمالية جزيرة يفصلها عن الشاطىء ممر ضيق وهيئتها تدل على انها حديثة التكوين . وبما أنها واقعة قرب مخرج النيل وحاكمة على مدخل البحيرة بدا لفيتا حسان انها نقطة حربية خطيرة جدا لاسيما ان أمينا بك كان شارعا فى توسيع مديريته من جهة الجنوب . ونزل

بها فلم يجد فيها سوى صياد واحد يسكن كوخا حقيرا وعلم منه ان الجزيرة تسمى تونجورو Tonguru وهى تابعة للرئيس سونجا Songa من رعايا كباريجا . وأقام فيتا حسان فى الجزيرة هو و الجاويش عبد الرجال الذى معه و الجندى عبد الجبار و شرطى كباريجا « الباناسورا » . وأرجع الباخرة الى أمين بك مزودة بخبر احتلال الجزيرة وطلب منه أن يمده بالتعليمات اللازمة قائلا له انه اذا كان موافقا على ما عمله يرسل اليه ثلة من الجند لتقيم فيها بصفة حامية والا فليرسل اليه تعليمات بما يراه .

تحصين فيتا حسان جزيرة تونجورو وسفره الى وادلاى

وبعد انتظار ١١ يوما وصلت الباخرة نيانزا وعلى ظهرها تجريدة من ١٠ جنود و ١٠ تراجمة بقيادة الملازم الأول محمد مسعود افندى ومعهم صندوقان من الذخيرة ومؤونة شهر . وكان بالباخرة أيضا الرد من أمين بك بالموافقة على احتلال الجزيرة وبوضع الباخرة تحت تصرف فيتا حسان حتى يذهب الى كيبيرو ويتسقط أخبار الحرب . وبمقتضى هذا الأمر سافر فيتا حسان اليها ثلاث مرات . ففى الدفعتين الأوليين وجدها خالية خاوية كما كان تركها لكنه فى الدفعة الثالثة وجدها مأهولة كما كانت قبل الحرب وعلم ان الواجندا « أى سكان أوغندة » بعد أن غزوا أونيورو انسحبوا غانمين ١٢٠٠٠ رأس من الأنعام وعددا من الرقيق إلا أنه فى وقت انسحابهم انقض عليهم كباريجا وقتل قائدهم وحملهم خسائر فادحة وأبدى فى ذلك من البسالة وعلو الهمة ما دعا رعاياه ان يلقبوه « اتشوا » Tshua أى الأسد .

وأبلغ فيتا حسان أمينا بك هذه الأخبار طالبا امداده بالأوامر وكان فى

أثناء ذلك مستمرا على اقامة المبانى والتحصينات فى الجزيرة . وبعد ثمانية أيام أتاه أمر منه بالقدوم الى وادلاى .

وقبل أن يبارح الجزيرة أحضر له الترجمان أمسيجى مكتوبا من جونكر صادرا من حدود أوغندة يقول فيه انه مر عليه ٣٠ يوما وهو مقيم هناك بدون أن يحصل على اذن من موانجا بالترخيص له بدخول مملكته . وانه لو لم يسعفه كباريجا الذى يقر له بالشكر لهلك جوعا .

وكان أيضا لدى أمسيجى خطاب بالعربية من كباريجا برسم أمين بك يحيطه فيه علما بما ناله من النصر الباهر مع ان عاقبة الحرب ما كانت مرضية ويطلب منه عدا ذلك ارسال ذخيرة لاسيما رصاصا . وكان لدى أمسيجى أمر بأن يزور فى وادلاى الثلاثة الشبان « الوانيورو » Wanyoros الذين أرسلهم اليها فيتا حسان بناء على طلب كباريجا لكى يتعلموا اللغة العربية قراءة وكتابة .

وسلم فيتا حسان قيادة النقطة الى الضابط محمد مسعود افندى بعد أن أعطاه الارشادات اللازمة ثم سافر الى وادلاى ووصل اليها فى الخمسة عشر يوما الأخيرة من شهر أبريل . وقابله أمين بك بالبشاشة والبشر وقدم له تهانيه مع الشكر على ما بذله من النشاط فى مأموريته لدى كباريجا وعلى ما أبداه من اصالة الرأى باحتلال جزيرة « تونجورو » Tonguru ورأى ان هذه الفكرة تبشر بطالع سعيد لأنه بذلك كسب مركزا بين وادلاى وكيبيرو يمكن الحصول منه على استيراد الاحطاب للبواخر والعلم سريعا بما تصادفه هذه من العوارض وهى فى البحيرة

ومن جهة اخرى فان امتلاك مركز فى قلب مملكة كباريجا له أهمية كبرى من وجهة الفنون الحربية إذ أن احتلال هذا المركز يجعل فى قبضة الحكومة منع الأونيورو عن النزوع الى الشر والمبادأة بالعدوان .

وأبدى أمين بك ان من اغراضه توجيه فيتا حسان الى أوغندة وارسال موظف آخر الى أونيورو حتى يتيسر سرعة ارسال جميع مستخدمى المديرية المصريين بالتدريج نحو الساحل . أما الزنوج الذين ليس لديهم قط ميل للذهاب الى مصر فيمكن تركهم فى خط الاستواء مسقط رؤوسهم . وأمر فيتا حسان بالتوجه لمقابلة سكرتيره راغب افندى وأن يكتب بالاتفاق معه كشفا بكل ما يمكن ان يحتاج اليه فى رحلته الى أوغندة وان يرجع الى جزيرة تونجورو لينتظر فيها الحصول على اذن الدخول فى البلد المذكور .

وذهب فيتا حسان عند راغب افندى حسب أمر امين بك وحرر معه كشفا بالاشياء التى تلزم لسفره . وبما ان الصنف المتوافر كثيرا بالمخازن هو العاج فقد أخذ منه ١٥٠ قطعة وهذه فى استطاعته ان يحولها الى انواع منوعة من البضائع فى اوغندة كما هو الحال فى اونيورو وأقلع ثانية ميمما جزيرة تونجورو ليرتقب فيها ورود الاذن بالذهاب الى اوغندة .

الحوادث التى وقعت فى المديرية أثناء غياب فيتا حسان عنها

أما الحوادث التى وقعت فى المديرية وقت غياب فيتا حسان فما هى :

وردت الأخبار لأمـــين بك فى وادلاى فى شهر يناير منبئة بأن جموعا هائلة من الزنوج محتشدة خلف جبل لادو بقصد الهجوم على محطتى لادو و الرجاف .

وفى ١٤ فبراير أحضر رجال من قبل كباريجا خطابات لأمـــين بك من فيتا حسان و جونكر شرحا له فيها ما وقع لهما من الحوادث لغاية الوقت الذى قابلهما فيه حمودة الزنبارى الذى أحضر لهما خطابين من محمد برى وذلك قبل ان يريا هذا الأخير .

وفى ١٨ منه أرسل اليهما امـــين بك ردا على خطاباتهما كما بعث لهما بجاويش مع رجال كباريجا ليحضر له ما عسى ان يكون جلبه لهما برى من الأخبار . وكتب ايضا كتابا وديا لكباريجا يرجوه فيه أن لا يحجز الجاويش وكذلك كتب مكتوبا خاصا الى جونكر فى البريد عينه يقول فيه ان الباخرة التى أقلعت برسل كباريجا و الجاويش ستظل خمسة ايام ابتغاء ركوبه . هذا فيما اذا أراد القدوم .

وفى ٢٦ منه رجع الجاويش يحمل بريدا ضخما من ضمنه مكتوب من نوبار باشا هذا نصه :

القاهرة فى ١٣ شعبان سنة ١٣٠٢ ﻫ (٢٧ مايو ١٨٨٥ م) .

الى امين باشا قائد جنود خط الاستواء فى غندوكورو .

ان حركة الثورة التى شبت فى السودان اضطرت حكومة صاحب السمو الى اخلاء تلك الأراضى . وبناء على ذلك لا نستطيع ان نبعث لكم بأى امداد . ومن جهة اخرى نحن لا نعرف بالتدقيق موقفكم انتم والجنود الآن . بل وليست متوافرة لدينا الوسائل لامدادكم بما يلزم من الارشادات بصدد الخطة الواجب اتباعها . وعلاوة على هذا وذاك اذا طلبنا منكم ارسال تقرير مفصل عن الموقف لنبنى عليه ما نزودكم به من التعليمات فان ذلك يستغرق زمنا طويلا وقد يكون ضياع هذا الوقت فى غير مصلحتكم .

والغرض من هذا الجواب الذى سوف يصل اليكم عن طريق زنزبار بواسطة السير جون كيرك قنصل بريطانيا فى هذا البلد الأخير هو منحكم الحرية التامة فى العمل . فاذا رأيتم ان الأضمن لكم ولجنودكم الانسحاب والرجوع الى مصر فالسير جون كيرك وسلطان زنزبار يكتبان لمختلفى رؤساء قبائل الزنوج الضاربين فى الطريق ويبذلان ما فى وسعهما لكى يسهلا لكم الانسحاب .

ومرخص لكم الحصول على ما يلزمكم من العملة وذلك بواسطة سحب سفاتج على السير جون كيرك . واكرر لكم القول وأعيده بأن لكم مطلق التصرف بما يناسب مصلحتكم ومصلحة الجنود . هذا وفى وسعنا أن نفيدكم ان الطريق الوحيد الممكن عبوره فيما اذا لو أردتم مبارحة

غندوكورو هى طريق زنزبار . ورجاؤنا هو انه عندما تستقرون على رأى أن تشعرونا فى الحال بما تقررونه .

وسيكتب لكم ايضا السير جون كيرك ليحيطكم بالوسائل التى سيحاول اتخاذها ليسهل لكم الانسحاب عن طريق زنزبار ؟

رئيس مجلس النظار

« نوبار »

* * *

ولم يرق فى عين أمين باشا هذا الخطاب الذى لم يرد فيه حتى كلمة واحدة تشف عن الاعتراف له بالجميل عن خدمة الثلاث السنوات التى قضاها فى العزلة يكافح المهديين و الزنوج ويقاسى ألم الجوع ويعيش معيشة الزهاد بل ليس فيه كلمة تشجيع تبث فى روعه الجرأة والاقدام فى مستقبل الأيام للقيام بالمهمة الكبرى التى أمامه ألا وهى مهمة ارجاع جنوده . إلا أنه قال فى نفسه انه قد اعتاد أن يعامل بمثل هذه المعاملة لأنه من عام ١٨٧٨ الى عام ١٨٨٠ م أى مدة الاثنين والعشرين شهرا التى ظل النيل فيها مسدودا وظلت مديريته فى عزلة برهن ان فى استطاعته ان يجعل المديرية تعتمد فى احتياجاتها على نفسها دون التجاء الى الخرطوم ولم تقدر الحكومة عمله هذا حق قدره .

ومع ذلك قال أيضا ان الناس فى مصر بل فى غيرها لا يقدرون المتاعب والمصائب التى يصطدم بها غيرهم ويتصورون الذهاب الى زنزبار تصورهم نزهة

يقومون بها فى حى شبرا .

وكان من الواضح الجلى انه لا يمكنه الاعتماد على أحد من ضباطه إذ أن الأغلبية فيهم لا تميل قط الى الهجرة من البلد لعدة أسباب منها ان لكل واحد منهم اسرة وخدما يتكون منهما حاشية كثيرة العدد وكل واحد منهم يمتلك قطيعا من الماعز والابقار . وكان يعرف الجميع ان الطريق ممتد كثيرا وان فى سلوكه تعبا ونصبا وان أيام جوع ترتقبهم فى ذلك الطريق .

أما الجنود فمعظمهم من أهالى البلد ولم يروا بأعينهم قط ديار مصر فكانوا يؤثرون بالطبع البقاء فى بلدهم ليعيشوا فيه . وأما الضباط أو الجنود الزنوج الذين قدموا أصلا من مصر أو من مكان آخر فقد تعودوا مناخ البلد وألفوه فى السنين الطويلة التى قضوها فى خط الاستواء لدرجة ان صاروا يعزونه معزة مسقط رؤوسهم .

وكان أمين باشا قد لفت مرارا فيما سلف من الأيام نظر حكومة الخرطوم الى هذا المحذور وبين لها ضرورة تغيير الضباط و الجنود ولو باستبدال عدد منهم كل عامين لكيلا تعترض حركات الجنود عوائق وعراقيل عديدة عند قيامهم بعمل من الأعمال الحربية ولكنها أعارت طلباته اذنا صماء ولم تجبه بكلمة . وكان امين باشا قد كتب الى نوبار باشا من مدة انه سيبذل ما فى وسعه ولكنه لم يتوسع ويخض فى هذه المسألة بالتفصيل خوفا من ان تفتح خطاباته فى اونيورو أو اوغندة أو غيرهما .

وفى ٥ مارس طلب أمين باشا من جونكر أن يتكرم بتعجيل سفره

الى أوغنـدة ويتفق مع ملكها موانجا على أن يسمح لرجـــاله بالمرور عندما يصلون الى حـــدود بلده فلقد كان بلغه ان المهديين فى « أجاك » وصار فى غير حيز الاستطاعة الانتظار . فان كان موانجـــا يجنح لأن يتقبلهم قبـولا حسنا يكن ذلك منه منة وكرما وإلا فهـــو يبحث عن طريق آخر . ومن جهة ثانية فانه لم يعد من المحتمـــل الحصول على عاج من لادو لأنه لما كان رجالها يصعب عليهم تصـــديق ورود أمر من نوبار باشا أمسى أمر قدومهم بعيد الاحـــتمال وان أحسن خدمة يمكنه أن يقدمها لهم هـو أن يعطف الملك عليهم حتى يمكنه أن يرسل إليهم رجالا . وانه اذا كان كباريجا قد هاجر عاصمة مملكته على أثر الحرب فانه يعتمد على الرحيل اليها والاقامة فيها ويتربص مجيء رجال موانجا .

وفى ٥ أبريل أعرب أمين باشا عن رأيه فى الحـــرب بين أونيـورو و أوغندة فقال انها اتخذت دورا اكثر اهمية مما كان يظن وان كباريجا خير جونكر بين أمرين إما الانسحاب معه أو السفر الى أوغنـــدة فاختار هذا الأمر الأخير وسافر فى ٢ مارس الى هـذا البلد ومن رأى امين باشا انه يـكون الآن قد وصل الى روباجا عاصمة اوغندة .

أما وكيله فيتا حسان فقد علم انه انسحب الى البحـــيرة ولبث ينتظر انسحاب الواجنـدا « سكان اوغنـدة » لينضم الى كباريجا وعلى ذلك أرسل اليه باخرة لتوصله الى كيبيرو . وكان امين باشا يود من صميم قلبه ان يحـــل بالواجندا كارثة تكون فيها عبرة وموعظة لهـــم حتى يخفضوا جناحهم لانه كان يبـــدو ان موانجا ركب هـواه واستوى فى ذلك هـــو و والده متيسا .

أما الحـــالة لدى امين باشا فكانت مبهمة غامضة والأغلبية من رجاله غير ميالين للسفر وكان يرتقب قبيل منتصف الشهر وصـــول جواب حاسم من لادو . وكان يقول انه لو تيسر سفر المصريين فقط يتخذ العدة للبقاء فى خط الاستواء .

وفى ٢٠ أبريل وصلت الباخـرة من الجهـــات الشمالية وورد معها اخبـار غـير سارة . ولم يرد اى خـــبر من الضباط الذين أرسلهم امـــين باشا الى لادو تستفاد منه الحالة التى عليهـــا الآراء فى هـذه الناحية غـــير انه ورد خطاب خاص من احـد الموظفين المصريين ومن ضمن ما جـــاء به انه حـدث هياج شديد على أثر اذاعة اشاعة فحـــواها ان عـدة ضباط أخذوا طريقهـم الى وادلاى لسرعة ترحيل الجنـــود صوب الجنـوب وذلك لأن هؤلاء كانوا اتفقوا ان لا يسافروا فى هـــذا الاتجاه لأنهم يعتبرون ان الطريق الموصـلة الى حكومتهم لا تتجه نحـو الجنـوب بل عن طريق لادو و الخرطوم وانهم يؤثرون الذهاب الى محـــال اقامتهم على الرحيـــل الى الجنوب .

وقـدم رجـال من قبل كباريجا وقالوا ان الهزيـة حلت بالواجنـدا فانسحبوا وان كباريجا يشتكى مر الشكوى من الزنزباريين المقيمين بأوغندة لأنهم أتوا مع الواجندا ونهبوا بلده .

تعيين كازاتى وكيلا عن الحكومة فى أونيورو بدلا من فيتا حسان

وقرر أمـين باشا ارسال كـازاتى الى كباريجا بصفة وكيل بعد زمن

قريب . أما السبب فى تغيير اشخاص الوكلاء فيرجع الى أن فيتا حسان عند سفره من عاصمة أونيورو خرق المتبع ودخل دار الملك عنوة فنشأ عن ذلك حدوث مشهد مكروه . فاشتكى كباريجا لأمين باشا وقص عليه الحادث وصرح له بأنه لن يقبل بعد فيتا حسان بحال من الأحوال بصفة وكيل وطلب منه أن يبعث بوكيل آخر . ولهذا السبب وقع اختيار أمين باشا على كازاتى وكانت أخبار جونكر قد انقطعت عن أمين باشا ويجوز أن تكون الحرب هى السبب فى ذلك . على انه كان يأمل أن يصل اليه بعد زمن قريب رسل من قبل كباريجا يحملون له أخبارا عنه .

وكان مرض الجدرى قد انتشر فى وادلاى منذ ثلاثة أشهر ومع ان وطأته لم تكن فتاكة إلا ان الذين كانوا يصابون به كثيرون .

وكان يوجد فى فاتيكو فى بلوك من الأورطة الثانية التى كانت مرابطة فيها ٦٢ من الخطرية الدناقلة وهؤلاء لا يمكن أن يتفقوا هم والعساكر السودانيون . وقد أضرم أولئك الدناقلة نار فتنة فرأى أمين باشا أن الفرصة سانحة لأن يفصل ذينك الجنسين الواحد عن الآخر بأن يرسل الخطرية الى جزيرة تونجورو .

وبعد وصول فيتا حسان الى الجزيرة بوقت قليل قدم اليها ابراهيم افندى غطاس ومعه ٤٢ خطريا و ١١ ترجمانا ومعهم خطاب من أمين باشا يأمر فيه فيتا حسان بارجاع العشرة الجنود النظاميين السودانيين وضابطهم الذين لديه ويؤلف الحامية من التراجمة العشرة الذين بها من قبل ومن الأحد عشر الذين قدموا حديثا والاثنين والاربعين خطريا بحيث يكون المجموع ٦٣ . أما

العشرون خطريا الباقون فكانوا صناعا بين نجار وخياط وصانع أحذية وحائك وغير ذلك ولذا حجزهم حواش افندى فى دوفيليه .

سفر كازاتى لتسلم منصبه فى أونيورو

وفى ١٦ مايو سافر كازاتى من وادلاى ليشغل مركزه وهو وكيل الحكومة المصرية فى أونيورو عند كباريجا ليسهل مرور البريد الذى سيرسل عن طريق أوغندة و زنزبار أو البريد الذى يأتى عن طريقهما لأن الحرب بين أونيورو و أوغندة كانت قد وضعت أوزارها .

وعلم فيتا حسان ان كازاتى سافر رأسا الى كيبيرو بدون أن يأتى ليزوره فاستقبح هذا الأمر ظنا منه انه يقصد الرجوع الى أوربا متخذا الطريق الذى سلكه جونكر مثلما أشار عليه أمين باشا مرارا غير أنه تلقى خطابا علم منه الحقيقة وانحسم بذلك الاشكال .

نفى بعض موظفى لادو الى تونجورو وما نجم عن ذلك

ونفى أمين باشا الى جزيرة تونجورو موظفين اشتهرا بالعربدة والطيش من وادلاى وهما عبد الوهاب افندى طلمت و احمد افندى رائف . ولاحظ فيتا حسان عند رجوعه الى الجزيرة ان الاول التزم شيئا من الرزانة أما الثانى فلم يراع جانب الهدوء والسكينة إذ كانت الافكار تساوره بأن أمينا باشا ما أتى به الى هناك إلا لاعدامه وحدث بينه وبين فيتا حسان عدة اشكالات لا تسر فأخذ هذا يهدىء روعه ويطمئنه ويفهمه خطأه وشططه فى أفكاره . وبعد ان اقتنع شرع يدس الدسائس ويبذر بذور الفتن لدرجة ان فيتا حسان التمس من أمين باشا أن يخلصه

من هذين الرجلين فأجابه هـذا بالتزام جانب الصبر . ولم يمض بعـــد ذلك إلا أيام حتى كلفه بالذهاب الى فاتيكو وعمل تفتيش فيهـــا على الجنود . وما أن وصل اليهـــا حتى أتاه مكاتبة من أمين باشا بان جنـــودا قدموا من تونجورو الى وادلاى ليشوا شكواهم من جور عبد الوهاب افندى طلعت وتعسفه . وكان هذا قد أحله فيتا حسان محله مـــدة غيابه إذ أنه لم يكن ليجد أمامه من يفضله عليه . وقفل فيتا حسان راجعا فى الحال الى تونجورو فوجد ان الحامية اشتبكت مع الاهالى فى المخاصمات وان الزاد فرغ من الجزيرة .

ويؤخـــذ من تقرير ابراهيم افندى غطاس قائد الخطرية ان عدد الأهالى الذين شرعوا فى الهجوم على النقطة يقدر بعدة الوف وعلى ذلك اتصل فيتا حسان برؤساء الناحية وسوى الخلاف وهدأ الاحوال ولم تكن قد بلغت من الخطر المقدار الذى غالوا كثيرا فى تقديره .

تفقد امين باشا نقطة تونجـــورو
واشاعة تمرد الاورطة الأولى

وقدم امين باشا بعـــد ذلك بايام ليتفقد النقطة فاعجب بها اعجابا لا مزيد عليـــه وفى غضون اليـومين اللذين اقامهما حضر اليه الرئيس سونجا Songa ودارت بينهما محادثة واتحفـــه امين باشا بشىء من الهدايا . وبعد هذا انتقـــل امين باشا الى كيبيرو على ظهر الباخرة « الخديو » حيث أخذ يرتقب على غير جدوى ورود أخبار من كباريجا و كازاتى لغاية ٨ يونيه . وفى اثناء اقامته فى كيبيرو توفى على افندى ربان الباخرة على أثر مرض طالة مدته . واقلع أمين باشا من هذه الناحية فى ٩ منه وعند إيابه

أخذ معه فيتا حسان الى وادلاى .

وفى خلال هـــذه المدة أذيعت اشاعات متضاربة كل التضارب عن الأورطة الأولى . فزعموا انها تمردت وان تمردها بلغ أشده وان المديرية بقضها وقضيضها صارت من جراء ذلك فى خطر ولفت أمـــين باشا فيتا حسان الى ضرورة الوقوف على حقيقة الأحوال فقدم هـــذا نفسه للذهاب اليهـــا شخصيا ليتأكد صحـــة ما أذيع من الاشاعات . وبينما هـــو آخذ فى التأهب للسفر إذ وردت على حين فجـــأة الأخبار بوفاة البكباشى ريحان افندى ابراهيم قومندان الأورطة المذكورة فى ١٤ مايو بعد مرض مدته قصيرة وان اليوزباشى على افندى سيد احمد تسلم موقتا قيادة الأورطة . وبما ان سفر فيتا حسان أضحى لا فائدة منه فى الحالة الراهنة فقد رجع الى تونجورو .

ووصل الى أمين باشا فى نفس هـــذا البريد ، أى الذى حمل خبر وفاة ريحان افندى ابراهيم ، الرد على اقتراحه بحشد الجيوش فى خط دوفيليـــه و وادلاى تمهيـــدا للرجوع بالتدريج الى مصر . وهـــذا الرد موقع عليه من جميع ضباط الأورطة الأولى ويحتـــوى كما كان ذلك منتظرا جوابا سلبيا . فهو يؤكد رغبتهم التامة فى الخضوع لأمر الحكومة غـــير انهم يذكرون انه لما كانت أغلبية الجنود من أهالى مديرية خط الاستواء فهم يتعلقون بأذيال الهـــرب اذا أمروا بالمسير صوب الجنـــوب عوضا عن الشمال وعلى ذلك فانه يخشى أن ينقض البارون على الجنود المنسحبة وفوق هـــذا وذاك قد بدأ فصل الأمطار . وفى الختـــام يطلبون من أمين باشا ان يكتب الى القاهرة لترسل الحكومة بأية وسيلة من الوسائل

فرقة من الجند بصفة امـداد ويطلبون كذلك ذخـيرة وحبوبا لأن مستودعاتهم أضحت خالية خاوية .

وقال أمين باشا ان كل شرح وتفسير لهذا القرار الأحمق لا فائـــدة منه . وكان يتعذر عليـه أن ينقل من دوفيليه من الحبوب ما يكفى ٧٠٠ رجل عدا النساء والأولاد لمدة سنة لاسيما أن الباريين لم يزرعوا شيئا . غـير انه كان يعتبر كل ذلك من باب التحايل . وكان يعلم حـق العلم ان حزبا تألف فى لادو من مصريين و سودانيين وقرر الذهاب الى الخرطوم مهما كلفه ذلك ومهما كانت العاقبة وسواء عنده أكانت مدينـة الخرطـوم فى قبضة المهديين أم الحكومة . وكان هـذا المشروع قد نضج ولم يبـق إلا تنفيذه وعندما ورد أمر نوبار باشا استعيض عنه بالقيام بحملة الى مكراكا لاقامة محطات فيها .

وفى ١٧ يونيه وصلت الباخرة « نيانزا » الى دوفيليه وعلى ظهرهـــا بريد لادو . ولدى الاطلاع على كشف موجودات تركة ريحان افندى وجـد به ٢١ بندقيـــة من بينهـا ست من نوع رمنجتون على ان الأمر الصادر للمذكور من أمـين باشا يقضى بان جميع البنـادق المششخنة التى من هـذا النوع تعتبر قطعا ملكا للحكومـة وتسلم فى المستودعات لتوزع على الجنود . وردا على هذا الأمر أكد المرحوم ريحان افندى رسميـا أنه لا يوجد عند أحـد سلاح من هذا النـــوع . أما عـدد أسرته وحاشيته فتبلغ ٩٥ نسمة وكان أمـين باشا يتساءل كيف يستطيع « أى أمـين باشا » اطعام كل هـذا العدد ، ولم يكن ريحان افندى وحده واقعا فى هـذه الحالة بل جميع الموظفين و الضباط الآخرين ، وكيف يرغبون والحالة هـذه فى ترك هذا البلد والرجوع

الى ديار مصر .

وورد لأمين باشا أيضا فى خطاب خاص ان فرقة مؤلفة من ٢٥٠ جنديا بقيادة ٣ يوزباشية احدهم مصرى والاثنان الآخران سودانيان سافرت من بيدن الى مكراكا بدون أن تطلب منه إذنا بذلك وبدون ان تبلغه حتى خبر سفرها وكان الغرض من ذلك القيام بانشاء محطات . هذا اذا لازم الزنوج جانب السكينة وبعد اتمام ذلك يلحق بهم رفاقهم الذين بقوا على شاطىء النهر . أما اذا رأوا من الزنوج مقاومة فيغزونهم ويرجعون بما غنموه من الحبوب الى لادو . ويدل هذا العمل على ان النظام آخذ فى التلاشى فى المديرية وأن التفكك يدب فى ادارتها . ويعزو أمين باشا هذه الأحوال الى دسائس احمد افندى محمود و عوض افندى ويقول انهما يحضان على التمرد والعصيان . وقد يجوز أن يكون أمين باشا على حق فيما قاله غير ان السبب الرئيسى فى بث الفوضى فى ادارته لا بد من عزوه الى ضعفه وتجرده من الشجاعة واشتغاله بالعلوم أكثر من اشتغاله بادارة مديريته مما دعاه الى ترك حبل الأمور على غاربها .

وفى ٢٧ يونيه وصلت الباخرة « الخديو » الى وادلاى قادمة من دوفيليه وعليها بريد لادو . وورد فى هذا بلاغ هو ان الفرقة التى أرسلت الى مكراكا لم يكن لها مقصد آخر سوى القيام بغزوة فى قرية الشيخ كومبو Kombo للحصول على حبوب .

وكان أمين باشا قد أمر باستحضار ثلاثة ضباط من لادو الى وادلاى ليريهم رأى العين الصورة الأصلية للأوامر التى وردت من مصر

وقصده من ذلك ارجاعهم الى الصواب اذا كان ذلك فى حيز الامكان . فكان جوابه ان الضباط المطلوبين غائبون مع انه علم علم اليقين ان احدهم فى لادو والآخر فى الرجاف .

وتلقى أمين باشا عدا ذلك خطابين أحدهما من على افندى سيد احمد والثانى من عوض افندى . واعتذر الأول وكان لم يكتب اليه من مدة أربعة أشهر بالحجر الذى كان مضروبا عليه فى زمن ريحان افندى ويقول ان الذى يراه هو ان الضباط غير مكترثين بشىء ولا مستعدين للانطلاق صوب الجنوب وانه اذا حتم أمين باشا ذلك ينتقض النظام ويختفى كلية فى أقل من لمح البصر . وبناء عليه يكون من الصواب امدادهم بالزاد والذخيرة حتى يجيء لهم الطريق لطاعته . واستخلص أمين باشا من هذه القصة ان على افندى أضاع كل ما له من نفوذ وأمسى لعبة فى يد ضباطه . وعلى هذا ينبغى اعتبار كل شىء يتعلق بالنظام خارجا عن الموضوع .

أما جواب عوض افندى فكان أكثر صراحة وايضاحا . ولقد كان هذا الرجل من أول الأمر من أكبر محركى الفتن والعاملين ضد الانسحاب صوب الجنوب . وقال الأفندى المذكور فى خطابه الى أمين باشا انه وقتما استدعى ريحان افندى الضباط ليتداول معهم فى مسألة الذهاب فى اتجاه بحيرة البرت نيانزا عزا الى أمين باشا نهارا جهارا أمام المجتمعين ترك الجنود يقتتلون مع المهديين والسفر الى وادلاى وانه قصر بالاتفاق مع الباريين خلال الحرب فى تموين الجنود بما فيه الكفاية وذلك فى الوقت الذى يحصر فيه كل التفاته الى الأورطة الثانية ويوجه اليها كل

ما أوتى من خير لأن قائدها مصرى هو حواش افندى . ثم طفق ينصح أمينا باشا بالقدوم الى لادو وان يعامل الناس بالعدل والانصاف وأن يرسل زادا وذخيرة وان يبذل بالاختصار جهده فى اطعام الجنود لأنه بدون ذلك يجوز أن يأتى يوم يأخذون فيه أسلحتهم ويذهبون الى حال سبيلهم تاركين ضباطهم والموظفين فى قبضة الزنوج .

ثم أردف عوض افندى الى كلامه السابق ان الكل فى لادو يعلمون من مصدر وثيق انه فى خلال تمرد الباريين صعدت ثلاث بواخر النيل لغاية شمبى تحمل لهم امدادا . غير أنها لما علمت فى هذه الناحية أن بور و لادو و المحطات الأخرى دمرها الزنوج قفلت راجعة الى الخرطوم وأن جميع الضباط من لادو الى فاتيكو من جهة اخرى اتفقوا من زمن بعيد على السفر الى الخرطوم وانه لا ينبغى لأمين باشا بناء على ذلك أن يعتمد على الأورطة الثانية ولا على قدوم الضباط الثلاثة الذين كان قد أرسل فى طلبهم إذ أن هؤلاء لن يأتوا .

وقد أثبت أمين باشا ان اتهامهم اياه بتركهم والذهاب فى اتجاه الجنوب ما هو إلا زور وبهتان لأنه لم يأت ذلك إلا بناء على طلبهم وان لديه مستندا بذلك مكتوبا وموقعا عليه من جميع الضباط وان هذا المستند تحت يده . أما مسألة البواخر الثلاث فهى دليل قاطع على انحطاط طبقة الناس الذين يشتغل معهم .

وفى ٢ يوليه تلقى أمين باشا بواسطة كباريجا و كازاتى بريد أوغندة

وبه خطابات من جونكر و ماكاى تتضمن نبأ سفر الأول الى الساحل بعد زمن قريب . وردا على ذلك كتب أمين باشا الى جونكر عن ارتياحه لهذا الخبر وقال له انه طرح من باله موقتا فكرة الانسحاب لجهة الجنوب حتى لا يعرض رجاله للتعب والخطر بدون جدوى . وانه سيحاول على قدر الامكان اخلاء المحطات الشمالية وحشد الجنود فى دوفيليه و فاتيكو و فاديبك و وادلاى وغيرها وانه سيبلغ ذلك للحكومة فى القاهرة وانه يرجو جونكر عندما يصل الى الديار المصرية ان يطلب من أولى الحل والعقد نيابة عنه ارسال نداء مكتوب باللغة العربية موقعا عليه من الخديو اذا كان ذلك فى حيز الامكان للعسكريين والملكيين فى المديرية بأن يتبعوه ويطيعوا أوامره كما كان الحال فيما مضى . وينبغى ان يكون هذا النداء به بعض كلمات مشجعة للجنود وان يطلب ايضا باسمه التصديق على الترقيات التى منحها .

ارسال فيتا حسان الى لادو
لتلاوة خطاب نوبار باشا على الأورطة الأولى

وفى ٩ يوليه تناول فيتا حسان خطابا فى تونجورو من امين باشا يأمره فيه أن يركب الباخرة « الخديو » عند ايابه من كبيرو ويأتى الى وادلاى . وصدع فيتا حسان بالامر وأحضر معه رئيسا من رؤساء الزنوج يقال له كيسا Kissa لكى يقدمه الى امين باشا لأن هذا الرئيس يطلب ان تحتل حامية مصرية قريته .

وعندما وصل فيتا حسان الى وادلاى أحاطه امين باشا علما بأنه عين اليوزباشى احمد افندى محمد محل المرحوم ريحان افندى ليكون قائدا

للأورطة الأولى وانه لهذا السبب رقاه الى رتبة بكباشى وانه يرغب أن يرافقه فيتا حسان الى لادو لكى يقلده وظيفته الجديدة وليتلو على الأخص أمام الأورطة الأولى مكتوب نوبار باشا الأخير الذى وصل بواسطة « ماكاى » و كازاتى . وهذا الكتاب المسطور بالعربية جاء مصدقا لما سبق من القرارات ومانحا أمينا باشا حق التصرف المطلق ويشير عليه بالانسحاب هو وكل من كان بمعيته عن طريق زنزبار لأنها الطريق الوحيد الممكن عبوره . ولم يخف عنه أمين باشا انه لم يجد شخصا يستطيع أن يعهد اليه بهذه المأمورية غيره .

وقبل فيتا حسان هذه المأمورية وسافر مع البكباشى الجديد . وقوبلا عند وصولهما الى كري وهى أول نقطة من نقط الأورطة الأولى بغاية الحفاوة والاعزاز وتأدية التشريفات العسكرية فدهش فيتا حسان كل الدهشة بعد كل الذى ذاع وشاع عن هذه الأورطة وقدمت لهما السفن ليسافرا عليها مباشرة الى لادو وبدون أن يقفا اكثر من بضع ساعات فى نقطتي الرجاف و بيدن . وأبدت الحاميات فى هاتين النقطتين ما أبدته كري من الدقة فى النظام .

وفى وقت وصولهما الى لادو جمع قومندان هذه النقطة فى الحال رجال الحامية وقدمهم لرئيسهم الجديد احمد افندى حمد . وفى اليوم التالى تلا فيتا حسان أمام الجنود أمر نوبار باشا الذى يشير بالانسحاب عن طريق زنزبار فصرح الجميع من ضباط وجنود انهم موافقون ومستعدون للسير صوب الجنوب . وقدم له عندئذ بعض الضباط باسم رفاقهم التصريح الآتى :—

« نحن نعلم اننا معدودون فى صف المتمردين ، وهذا خطأ . لأننـــا كما ترون أنتم أنفسكم ندين لمديرنا بالاحـــترام والطاعة غير انه يبدو لنا انه هجرنا ونسينا بينما هـو يوجه التفاته للأورطة الثانية . فمن البرهة التى تركنا فيها لينتقل الى وادلاى لم تقع أعيننا عليـه قط . ولماذا . ألسنا جنوده أو لم يعد بعد هو مديرنا وولى الأمر فينا . وما الذى رآه منا حتى استطاع أن يرمينا بالتمرد . نحن مستعدون للسفر الى الجنـــوب على شرط أن يرافقنا فى سفرنا اخواننا الذين فى مكراكا إذ أننا لا يمكننا أن نتركهم » .

وفى اللحظة التى أرادوا أن يتخذوا فيها سبيلهم الى الرجـــاف أراد على افندى سيد احمـد مرافقتهم لكن الجنود منعوه عن ذلك لظنهم انهم يريدون أخـذ رئيسهم منهم وتركهم كالغـــنم بلا راع . وبدأت المسألة بعد ذلك بشكل يختلف اختلافا كبيرا . نعم ان الجنـود ما كانت تتحدث جهارا بالقيـــام بثورة إلا ان الحـذر وسوء الظن كان قد تغلغل فى اعمـــاق نفوسهم وأمسى من المتعـذر اجتثاثه . واذا لم يكن هناك شىء يخشى حدوثه منهم فانه يتعذر التعويل عليهم لأنه لا ينتظر منهم اطاعة أى أمر خوفا من الغدر والخيانة .

وانتقل فيتا حسان الى الرجاف ليقف على حالة أفكار الحامية وتلا للجنود مكتوب نوبار باشا وسألهم عما اذا كانوا يريدون الذهاب الى الجنوب . وبما أن الضباط والجنود السودانيين لا يعرفون القراءة فقد استشاروا ضابطا وكاتبا مصريين . وبدا من كليهما محاولة تشكيك الحامية فى صحة المكتوب فاعتقدت هـذه ان فى الأمر سرا وهذا المكتوب ما هـو الا حيلة يراد بها جرها الى الجنوب وربما كان الغرض بيعها لـكبار يجا بصفة رقيق .

وقال يوما دساس لفيتا حسان ان الجنود ينوون حجزه فى الرجاف . ولما عرض هذا القول على الضباط أجابوا .

« لماذا نبغى حجزك . أيقينا تصدقون اننا متمردون عصاة . ربما كانت هذه المخاوف هى المانعة لأمين باشا من المجيء الينا ووجوده بيننا . أدعه للقدوم الى هنا وأكد له انه سيقابل بالتجلة والاحترام التام . نحن نرغب السفر الى الجنوب حسب مشيئته بدون ابداء أية مقاومة أو معارضة ولم يكن هنالك من حاجة لتبليغ أمر من الحكومة كهذا لأن رأينا هو ان حكومتنا فى وادلاى . أما حكومة القاهرة فهذه لم نرها ولم نلقن معرفتها لخديوينا وأبونا هو أمين باشا فهو الذى جعل منا جنودا وأعطانا رتبا وهو وحده الذى نعرفه . ويكدرنا أمران . الأول اتهامنا بالتمرد والعصيان ولا أدل على هذه التهمة من الجواب الذى يهدد بالاعدام رميا بالرصاص جميع العصاة . والثانى شدة وقساوة حواش افندى الذى يخافه ويخشاه حتى اخوانه البيض . فيجب على امين باشا ان يقيل حواش افندى من وظيفته وان يعدنا بان لا نصاب بمكروه . واذا كان امين باشا يبقى على حواش افندى لاهتمامه باحتياجاته واحتياجات جميع المستخدمين فنحن مستعدون ان نتعهد بان نأخذ هذا العبء على كاهلنا . نحن نريد ان نطرح سيوفنا جانبا ونحمل الفاس والمعول لنشتغل بالفلاحة بحيث ان أمينا باشا يستطيع أن يعيش ناعم البال سعيدا بصفته ولى أمرنا .

وأشار فيتا حسان على أمين باشا بنقل حواش افندى لأنه سواء أكان ذلك بحق أم بغير حق فانه غرس الرعب فى قلوب عساكر الأورطة الأولى .

وان يكون هذا النقل مؤقتا وذلك ابتغاء مرضاة الجنود ورجوعهم الى الطاعة وعلى كل حال ففى قدرته ارجاعه فيما بعد الى مركزه . ولكن مع الأسف لم يشأ أمين باشا أن يعمل بهذه المشورة .

وسافر فيتا حسان صوب الجنوب بعد أن أقام ستة أسابيع بين أولئك الجنود . والخلاصة انه عندما يستمع المرء أقوال عساكر الأورطة الأولى يحكم بجنوحهم للطاعة التامة وولائهم لأمين باشا ولكن عندما يدور الحديث عن السفر نحو الجنوب تتيقظ فيهم فى الحال عوامل الحذر وسوء الظن ويحاولون اخفاء نيتهم وراء الف حجة وحجة .

ويعتقد فيتا حسان انه كان فى اليد تبديد تحرزهم وسوء ظنهم بازالة أحد الشبحين اللذين يزعجانهم ليرجعوا لتأدية واجباتهم .

وكتب الى كازاتى أن يبحث من ناحيته عن وسيلة يقنع بها أمينا باشا بضرورة ابعاد حواش افندى . وكان كازاتى على رأى فيتا حسان تماما فكتب هذا الى أمين باشا بهذا المعنى ولكن نداءه ذهب صرخة فى واد ولم يعره أمين باشا أذنا مصغية .

وقد وفق فيتا حسان الى ابعاد الموظفين المصريين عن الأورطة الأولى وكان هؤلاء يزيدون فى الاخلال بالأمن بواسطة الدس وبذر بذور الفتن وبخبثهم غير ان أمينا باشا عوضا عن ان يحاكمهم ويوقع عليهم عقوبات رقاهم الى مناصب أسمى من المناصب التى كانوا فيها .

وبعد أن أقام فيتا يومين فى وادلاى سافر الى جزيرة تونجورو

حيث وصل اليه من كازاتى بلاغ نشر فى الجرائد فحواه ان الحكومة الألمانية أرسلت الطبيب لانز Lanz للبحث عن أمين باشا ولكنه لم يوفق الى العثور عليه . وانه يقال ان حملة انجاد اخرى ألفت فى بلاد الانكليز برياسة استانلى . وعلاوة على ما ذكر فان الطبيب بيتر Peter المرسل أيضا من الحكومة الألمانية مقيم الآن فى أفريقية ووجهة سيره مديرية خط الاستواء .

وما اتصل هذا النبأ بأمين باشا حتى أمر باعادة احتلال فاديبك الواقعة شمال شرق أونيورو والتى كانت أخليت قبلا وذلك لاستقاء خبر وصول الحملتين بأقرب ما يمكن من الزمن . وعهد الى الصاغ ابراهيم افندى حليم استنشاق أخبارهما .

وفى فترة غياب فيتا حسان عن تونجورو حصل الرئيس كيسا من « مسوه » Mswa على جنود لحماية أرض مملكته . وهذا الرئيس هو الذى كان فيتا حسان قد قدمه الى أمين باشا قبل سفره الى مأمورية لادو . ولدى اياب فيتا حسان من هذه الناحية فصل أمين باشا كل أراضى مركز مهاجى Mahagi مع نقطتى تونجورو و مسوه عن قسم المديرية الجنوبى وألف منها مركزا قائما بذاته وفوض الى فيتا حسان القيام بادارته . وكان قد احتل « مسوه » ٤٢ خطريا وعند وصول فيتا حسان أرسل هؤلاء الى تونجورو ابتغاء زيادة تقوية هذه النقطة وبعث بثلة مؤلفة من ٤٢ جنديا نظاميا بصفة حامية فى مسوه وعهد بقيادة هذه الحامية الى اليوزباشى شكرى افندى .

واحتج كباريجا بواسطة كازاتى على احتلال هاتين النقطتين الواقعتين فى مملكته إلا ان هذا الاحتجاج لم يجاوز حد الكلام وظل حبرا على ورق .

وعلم أمين باشا بوصول محمد برى الى كيبيرو وذلك عندما أراد أن يباشر القيام بسياحة فى البحيرة . وكان أمين باشا يرغب فى هذه الريادة من زمن مديد . فانتقل الى هذه الجهة وبعد أن أقام بها ثمانية أيام انقلب راجعا الى وادلاى ومعه فيتا حسان و برى .

١ — ملحق سنة ١٨٨٦ م

رحلة اليوزباشى كازاتى في مديرية خط الاستواء

القسم السابع

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

وفى ٢ يناير سافر جونكر و فيتا حسان ميممين بلد الأونيورو للاقامة فيه . وكانت هذه هى الخطوة الاولى فى سبيل الاقتراب من بلاد المدنية إذ أنهم بذلك يستطيعون الاتصال بالبعثات الانكليزية التى فى أوغندة . ولسوء الحظ ذهبت هذه الآمال مع الرياح ولم يجنيا منها سوى خيبة جديدة تضاف الى ما سبقها . وفى ٢٧ فبراير تلقى أمين باشا خطابا من نوبار باشا رئيس مجلس النظار يدعوه فيه الى إخلاء مديرية خط الاستواء والرجوع الى الديار المصرية عن طريق زنزبار ويصرح فيه بأن الحكومة تخلت نهائيا عن ممتلكاتها فى السودان ابتداء من آخر مايو سنة ١٨٨٥ م . وأطلعهم المستر ماكاى المبشر وكيل البعثة الانكليزية فى أوغندة من جهة أخرى على سلسلة من المكاتبات فيها نعى غوردون باشا وكافة الحوادث الخطيرة التى وقعت فى العالم دون أن تصل اليهم أخبارها .

وهذا البريد ورد لهم بواسطة محمد برى وهو رجل طرابلسى قام

بخـــدمات جليلة للشركة الدولية الأفريقية وأحضر لهم مكاتبات اخرى من السير جون كيرك قنصل انجلترا فى زنزبار أرشدهم فيها عن طرق ووسائل العودة .

أما أمين باشا فالحكومة المصرية فوضت اليه تفويضا تاما أن يتصرف حسبما يراه ويستحسنه .

ومع ذلك فهـــذا الباب الذى انفتـح أمامهم ما كان منظورا أن يبقى مفتوحـا هكذا زمنا طويلا إذ أن الحرب دارت رحاها بين أونيورو و أوغندة والطريق الذى فتح أمامهم لم يلبث أن أوصد ثانية .

وسافر جونكر موليا وجهه شطر أوغنـدة وفى غضون ذلك كان فيتـا حسان قد نزل فى ضفـة بحيرة البرت نيانزا الشرقيـة ومنهـــا ذهب الى وادلاى .

ولما كان أمين باشا يميل كثيرا الى تجـديد العلائق مع كباريجا كلف كازاتى أن يذهب ليخطب وده . وكان أمـين باشا يأمـــل أن يجـنى من وراء هذا الود فوائد جمـــة . وتطوع كازاتى وقبل القيـــام بهذه المهمة التى ليس فيها شىء تشتهيه النفس أو يشرح الصـــدر . وفى ٢٠ مايو ولى وادلاى ظهره راكبا الباخرة « الخـديو » التى أقلعت به الى كيبيرو القائمـة على ضفـة بحيرة البرت نيانزا الشرقية .

وقبيـل آخر مايو بلغ كازاتى عاصمة أونيورو . وفى ٢ يونيه سنة ١٨٨٦ م سمح له كباريجا بالمقابـلة . وكان الملك يبدى نحـــوه فى هـذه المقابلة شيئا كثيرا من العطف فانتهز كازاتى هـذه الفرصة وعرض عليـــه الغرض من

زيارته وقـــدم له طلبات أمين باشا وهى تنحصر فى حرية مبادلة المراسلات وحرية مرور البضائع الواردة عن طريق أوغندة و زنزبار و الموظفـــين و الجنـــود العائدين الى الديار المصرية ثم انتـــداب وكيل له ليقيم فى وادلاى . وكانت الكراهة التى تولدت فى قلب سكان أونيورو من جهة مصر من يوم أن برز لهم سير صمويل بيكر شاهرا السلاح قد بثت فى روع الملك الريبة والحـــذر . وعبثا حاول كاتاجورا ذلك الوزير الذى قد بلغ من الكبر عتيا أن يبين للملك أميال المدير السلمية وبالعكس كان الحزب العسكرى الذى كان يقوده رجل زنزبارى يقال له عبد الرحمن يهتاج ويدس الدسائس السافلة سرا ضد الحكومة .

وقبل الملك فى نهاية الأمر أن يسمح بمبادلة المراسلات ولكنه كان يحجز الخطابات الواردة من أوغندة وقبل أيضا مرور الجنـــود بشرط أن يكون ذلك فى فـــترات متباينة وعلى دفعـــات متعددة وفى كل دفعة عدد معين .

وبسط يده بالوعود فـــيما يختص بصديقه الطبيب كما كان يسمى أمين باشا غير ان كازاتى كانت تساوره الريب من جهة صداقة كباريجا هذه . وقد عقد صلات خفية مع تجار زنزبار الذين فى أونيورو وبواسطة هـــؤلاء أمكنه مراسلة المبشرين الانكليز فى أوغنـــدة . ولم يمض إلا وقت قصير حتى وقف على مجرى الأمور . فلقد كان كباريجا أصـــدر أوامره بحجز محمد برى الطرابلسى فى الحـــدود وكان عائدا بمنسوجات واقترح « أى كباريجا » على موانجا ملك أوغندة الذى جلس على عرش هذه المملكة بعد أبيه أن يشترك معه فى القبض على فصائل الجنود التى تسير منفردة فى جوف

مملكتيهما وتجريدها من الأسلحة .

واستقر الرأى بكازاتى على أن يذهب لمقابلة كباريجا ويبلغه أنه على بينة من مجرى الأحوال فلا تخفى عنه منها خافية .

وفى ١٠ أكتوبر تقابل بالفعل معـــه وبعد محادثة طويلة ذكر له فيها بعض الحقائق المرة حصل منه على توكيد بأن محمد برى سينال ترخيصا بالقدوم ثم الذهاب الى كيبيرو القائمة على الشاطىء الأيسر لبحيرة البرت نيانزا حيث أمين باشا فى انتظاره .

وفى ١٢ منـه ذهب محمـــد برى بالفعـل الى كيبيرو وسلم أمينا باشا المنسوجات و السلع التى كان منتظرا اتيانه بها . وقد أحـدث قدومه بهـذه البضائع أحسن تأثير فى نفوس أهالى وادلاى لأن الجنود الزنوج رأوهـــا بأعينهم ولمسوها بأيديهم . وكيف تبقى الريب بعـد ذلك كامنة فى صدور الجنود من جهة سهر الحكومة عليهم وها هى تمـدهم ليس بجواب فحسب بل برجـل يحمل أحمالا ثقيلة تحتوى على أنواع منوعة من السلع وبما أنه قـدم عن طريق أوغندة و أونيورو فهذا دليل ساطع على أن الطريق مفتوح . وعدا ذلك فان جنـديا يقال له سرور كان سافر مع جونكر قد عـاد أيضا مع برى .

وقد أحدثت كل هذه الأحوال أحسن أثر فى نفوس الجنـــود وفعلت فيهم أيمن وأنفس تأثير لردهم الى الطاعـــة التى كانوا طرحوها ظهـــريا من زمن .

وكتب أمـين باشا الى الملك خطاب شكر وكتب كذلك الى وزرائه

والى عبد الرحمن وهذا الأخير كان على حسب رأى كازاتى من ألد أعدائه وان لا فائدة منه ولا عائدة .

وفى ٢٤ نوفمبر مات الوزير كاتاجورا موتة فجائيــة . ويقال انه مات مسموما . وكان كاتاجورا صديقا حميما للحكومة ولذلك جاءت وفاته ضربة أليمة فوق رأس قضيتها .

وفى ٥ ديسمبر سافر محمــد برى الى أوغندة ثانية ومعه أحمــال ثقيــلة من العاج بقصــد المبادلة عليها بأقمشة أما أولئك الذين ودعهم حــين سفره فهؤلاء دبت فى قلوبهم الشجــاعة وتفتحت أمامهم الآمال .

وكانت الأحــوال فى خلال ذلك تستفحل وتزداد سوءا على سوء فى أونيورو . فالملك والاهالى رأوا انهم أخطئوا عندما قام بظنهم ان فى استطاعتهم ان ينالوا مبتغاهم من جار يحسبونه ثقيلا مرهقا . والعاج وكذلك الأسلحة التى تتوق اليها نفوسهم ويشتهونها كان دون الحصول عليها خرط القتاد بالنسبة لما عاينوه من المقاومة .

ومنع كباريجا بيــع اى شىء للحكومة أو ربط علائق مــع كازاتى ونفى الى الحــدود رجلا يقال له أبو بكر كان ينقــل الطرود الى الحكومة . واستحضر الى قاعــدة المملكة رئيسين وأمر باعدامهما جزاء توريدهما زادا لامين باشا . وحرك الملك سرا عوامــل الثورة بين قبائل الشولى و اللور وعقد النية على ان يهاجم وادلاى اذا انتشرت الثورة وامتد لهيبها .

وفى خلال قيام كباريجا بهذه الأعمال التى كان قد أبلغهـــا كازاتى الى أمين باشا اجترأ هـــذا الملك ودعا المدير لزيارة أونيورو وأكد محض صداقته ومودته غير أن أمينا باشا أذعن لنصائح كازاتى ولم يباشر القيام بهـذه الزيارة ولم يتحرك لها لأنه كان من مصلحة الجميع أن لا يبارح البلد .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها فى الملحق الاول للعام القادم .

فهرس

صور الكتاب

فهرس

موضوعات الجزء الثانى

استدراك

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١	١٤	يسافر	يسافرا
٥٢	٤	وأقامو	وأقاموا
٥٦و٥٧	٢و١٧	خور أيبو	خور أبو
٥٩	٥	الاقصاع	الاصقاع
»	٨	أبو زيد	أبى زيد
٨٩	١٧	وخبر	وخبرا
١٠٣	٤	المستر مكى	المستر ماكاى
١٠٥	٦	وينغير	وينغار
١١٠	١٤	Azangs	Azanga
١٢٦	٢	على افندى جبور	على افندى جابور
١٥٥	٢١	فيجدون	فيجدوا
١٨٨	١٥	لاذو	لاذوا
٣٢٥	٢٠	الفضة	الضفة

استدراك

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصـــواب
١١	١٤	يسافر	يسافرا
٥٢	٤	وأقامو	وأقاموا
٥٦و٥٧	٢و١٧	خور أبيو	خور أبو
٥٩	٥	الاقصاع	الاصقاع
»	٨	أبو زيد	أبى زيد
٨٩	١٧	وخبر	وخبرا
١٠٣	٤	المستر مكى	المستر ماكاى
١٠٥	٦	وينير	وينار
١١٠	١٤	Azangs	Azanga
١٢٦	٢	على افندى جبور	على افندى جابور
١٥٥	٢١	فيجدون	فيجدوا
١٨٨	١٥	لاذو	لاذوا
٣٢٥	٢٠	الفضة	الضفة

فهرس

صور الكتاب

فهرس

موضوعات الجزء الأول

استدراك

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصــــواب
٩	١٩	أمانتهم على	أمانتهم وحرصهم على
١٨ (الصورة)	١	بين فروسكو وأبى حمد	بين كروسكو وأبى حمد
٤٠	١٣	٢٩ يونيو	٢٩ مايو
٧٢	١	Kabb - Miro	Kabba - Miro
٧٨	١٤	كباريحا	كباريجا
٧٨ (الصورة)	٢	٨ يونيه سنة ١٨٧١	٨ يونيه سنة ١٨٧٢
٩٤	٦	رؤسائها	رؤسائهم
١٥٨	١	عبد الرحمن الغوراوى	عبد الرحمن الفوراوى
١٨٨	١٢	أعباء	إعياء
٢٠٠	١٢	دوفيلية	دوفيليه
٢١٤	٨	عند	عن
٢٣١	١٤	« أرجو »	« وارجو »
٢٨٥ (هامش)		والآن أورونDوجانى	والآن انتيبى
٣٥١	١٤	الملحق الأول	الملحق الثانى
٣٦٠	٢١	وعند (فى بعض النسخ)	وعندما
٣٦٨	١٧	أكثر امتداد	اكثر امتدادا
٣٨٥	١	ضعف عزيمته	